علماء معاصرون

نصروا الإسلام

جمع وترتيب

محمد علي أبو زهرة

الجزء الأول

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ

فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ

وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. فإن العلماء ورثة الأنبياء، وهم خيار الناس، ولهم فضل عظيم؛ إذ الناس محتاجون إليهم في كل حين، يدعون مَنْ ضلَّ منهم إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ويكفي في بيان شرفهم وعِظم مسؤوليتهم وأهمية دورهم ما وصفهم الله به في مواضع من كتابه بالخشية والرفعة والأمر بالرجوع إليهم، وما خصهم به النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ من كونهم "ورثة الأنبياء"، فحيثما وقعت الفتن واختلطت الأمور واحتاج الناس إلى المصلح والقائد ولم يجدوا أنبياء لله ورسله فليقصدوا ورثتهم الذين يقولون

بقولهم ويدلُّون على هديهم، وليست تلك المنزلة لغيرهم، وإن سُئلتَ عن السبب ف"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ".

والمقصود العلماء العاملون المجاهدون في سبيل الله الوارثون للأنبياء علماً وعملاً، ويقتدون بهم في السرِّ والعلن، ويلتزمون منهجهم في الغضب والرضا والمنشط والمكره في كل عصر ومصر.

والعصر الحديث من أكثر عصور الإسلام حركة واضطراباً فقد شهد حركات التحرر من الاستعمار ونشوء الكيان الصهيوني وتقسيم الدول العربية وظهور كثير من الأفكار والمذاهب والعادات. لذا فقد جمعت في هذا الكتاب ترجمة لكوكبة من العلماء المعاصرين من بلدان العا لم الإسلامي كافة، لم أعرِّف بهم بل عرَّفت بهم أعمالهم. وكان شرطي الوحيد في الجمع أنهم ممن أدركوا القرن العشرين واشتهروا بالعمل لنصرة الإسلام وصبروا على ما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

أبو زهرة

إهداء

إلى حبيبة أبيها

هناء

إمام الدعاة

محمد متولي الشعراوي

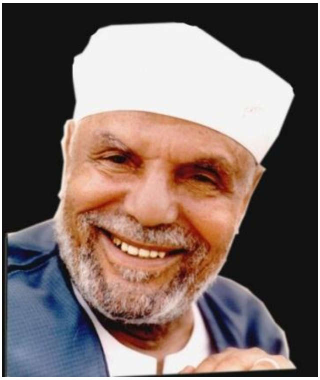

محمد متولي الشعراوي (١٣٢٩ - ١٤١٩ هـ) داعية ووزير أوقاف مصري سابق. يعد من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث؛ حيث عمل على تفسير القرآن الكريم بطرق مبسطة وعامية مما جعله يستطيع الوصول لشريحة أكبر من المسلمين في جميع أنحاء العالم العربي، لقَّبه البعض بإمام الدعاة.

ولد محمد متولي الشعراوي في ١٥ أبريل عام ١٩١١م بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية بمصر، وحفظ القرآن الكريم في

الحادية عشرة من عمره. وفي عام ١٩٢٢م التحق بمعهد الزقازيق الابتدائي الأزهري، وأظهر نبوغاً منذ الصغر في حفظه للشعر والمأثور من القول والحكم، ثم حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة ١٩٢٣م، ودخل المعهد الثانوي الأزهري، وزاد اهتمامه بالشعر والأدب، وحظي بمكانة خاصة بين زملائه، فاختاروه رئيسًا لاتحاد الطلبة، ورئيسًا لجمعية الأدباء بالزقازيق، وكان معه في ذلك الوقت الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والشاعر طاهر أبو فاشا، والأستاذ خالد محمد خالد والدكتور أحمد هيكل والدكتور حسن جاد، وكانوا يعرضون عليه ما يكتبون.

كانت نقطة تحول في حياة الشيخ الشعراوي، عندما أراد والده إلحاقه بالأزهر الشريف بالقاهرة، وكان الشيخ الشعراوي يود أن يبقى مع إخوته لزراعة الأرض، ولكن إصرار الوالد دفعه لاصطحابه إلى القاهرة، ودفع المصروفات وتجهيز المكان للسكن فما كان منه إلا أن اشترط على والده أن يشتري له كميات من أمهات الكتب في التراث

واللغة وعلوم القرآن والتفاسير وكتب الحديث النبوي الشريف، كنوع من التعجيز حتى يرضى والده بعودته إلى القرية. لكن والده فطن إلى تلك الحيلة، واشترى له كل ما طلب قائلاً له: أنا أعلم يا بني أن جميع هذه الكتب ليست مقررة عليك، ولكني آثرت شراءها لتزويدك بها كي تنهل من العلم.

التحق الشعراوي بكلية اللغة العربية سنة ١٩٣٧م، وانشغل بالحركة الوطنية والحركة الأزهرية، فحركة مقاومة المحتلين الإنجليز سنة ١٩١٩م اندلعت من الأزهر الشريف، ومن الأزهر خرجت المنشورات التي تعبر عن سخط المصريين ضد الإنجليز المحتلين. ولم يكن معهد الزقازيق بعيدًا عن قلعة الأزهر في القاهرة، فكان يتوجه وزملاؤه إلى ساحات الأزهر وأروقته، ويُلقي بالخطب مما عرَّضه للاعتقال أكثر من مرة، وكان وقتها رئيسًا لاتحاد الطلبة سنة ١٩٣٤م.

وتخرج عام ١٩٤٠م، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣م. وبعد تخرجه عين الشعراوي في المعهد الديني بطنطا، ثم

انتقل بعد ذلك إلى المعهد الديني بالزقازيق ثم المعهد الديني بالإسكندرية وبعد فترة طويلة انتقل الشيخ الشعراوي إلى العمل في السعودية عام ١٩٥٠ ليعمل أستاذاً للشريعة في جامعة أم القرى.

وفي عام ١٩٦٣ حدث الخلاف بين الرئيس جمال عبد الناصر وبين الملك سعود. وعلى إثر ذلك منع الرئيس جمال عبد الناصر الشيخ الشعراوي من العودة ثانية إلى السعودية، وعُين في القاهرة مديراً لمكتب شيخ الأزهر الشريف الشيخ حسن مأمون.

ثم سافر بعد ذلك الشيخ الشعراوي إلى الجزائر رئيساً لبعثة الأزهر هناك ومكث بالجزائر حوالي سبع سنوات قضاها في التدريس وأثناء وجوده في الجزائر حدثت نكسة يونيو ١٩٦٧، وقد سجد الشعراوي شكراً لأقسى الهزائم العسكرية التي منيت بها مصر، وبرر ذلك بقوله: أبي الله أن تنتصر مصر وهي في أحضان الشيوعية حتى لا يفتن المصريون في دينهم.

وحين عاد الشيخ الشعراوي إلى القاهرة عين مديراً لأوقاف محافظة الغربية فترة، ثم وكيلاً للدعوة والفكر، ثم وكيلاً للأزهر ثم عاد ثانية إلى السعودية، حيث قام بالتدريس في جامعة الملك عبدالعزيز.

وزارة الأوقاف

وفي نوفمبر ١٩٧٦م أسندت إلى الشيخ الشعراوي وزارة الأوقاف وشئون الأزهر. وظل الشعراوي في الوزارة حتى أكتوبر عام ١٩٧٨م.

كان أول من أصدر قراراً وزارياً بإنشاء أول بنك إسلامي في مصر وهو بنك فيصل حيث إن هذا من اختصاصات وزير الاقتصاد أو المالية ووافقه مجلس الشعب على ذلك. وفي سنة ١٩٨٧م اختير عضواً بمجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين). وعرضت عليه مشيخة الأزهر، وعدة مناصب في عدد من الدول الإسلامية لكنه رفض وقرر التفرغ للدعوة الإسلامية.

الرد على المستشرقين

أرجع الشيخ الشعراوي آراء المستشرقين التي اتهمت القرآن الكريم بالباطل بتضارب الآيات، إلى ضعف مَلَكتهم اللغوية، وفنَّد اتهاماتهم وصححها كلما مر مفسِّراً على سور القرآن الكريم.

موهبته الشعرية

عشق الشيخ الشعراوي اللغة العربية، وعرف ببلاغة كلماته مع بساطة في الأسلوب، وجمال في التعبير، ولقد كان للشيخ باع طويل مع الشعر، فكان شاعراً يجيد التعبير بالشعر في المواقف المختلفة، وخاصة في التعبير عن آمال الأمة أيام شبابه، وعندما كان يشارك في العمل الوطني بالكلمات القوية المعبرة، وكان الشيخ يستخدم الشعر أيضاً في تفسير القرآن الكريم، وتوضيح معاني الآيات.

يقول في قصيدة "موكب النور":

أريحيُّ السماحِ والإيثارِ   لك إرث يا طيبة الأنوارِ

وجلالُ الجمال فيك عريق   لا حُرمنا ما فيه من أسرارِ

تجتلي عندك البصائر معنىً   فوق طوق العيون والأبصارِ

نقل مقام إبراهيم

وفي عام ١٩٥٤ كانت هناك فكرة مطروحة لنقل مقام إبراهيم من مكانه، والرجوع به إلى الوراء حتى يفسحوا المطاف الذي كان قد ضاق بالطائفين ويعيق حركة الطواف، وكان قد تحدد أحد الأيام ليقوم الملك سعود بنقل المقام. وفي ذلك الوقت كان الشيخ الشعراوي يعمل أستاذاً بكلية الشريعة في مكة المكرمة وسمع عن ذلك واعتبر هذا الأمر مخالفاً للشريعة فبدأ بالتحرك واتصل ببعض العلماء السعوديين والمصريين في البعثة لكنهم أبلغوه أن الموضوع انتهى وأن المبنى الجديد قد أقيم، فقام بإرسال برقية من خمس صفحات إلى الملك سعود، عرض فيها المسألة من الناحية الفقهية والتاريخية، واستدل الشيخ في حجته بأن الذين احتجوا بفعل الرسول جانبهم الصواب، لأنه رسول ومشرِّع وله ما ليس لغيره وله أن يعمل الجديد

غير المسبوق، واستدل أيضاً بموقف عمر بن الخطاب الذي لم يغير موقع المقام بعد تحركه بسبب طوفان حدث في عهده وأعاده إلى مكانه في عهد الرسول. وبعد أن وصلت البرقية إلى الملك سعود، جمع العلماء وطلب منهم دراسة برقية الشعراوي، فوافقوا على كل ما جاء في البرقية، فأصدر الملك قراراً بعدم نقل المقام، وأمر الملك بدراسة مقترحات الشعراوي لتوسعة المطاف، حيث اقترح الشيخ أن يوضع الحِجْر في قبة صغيرة من الزجاج غير القابل للكسر، بدلاً من المقام القديم الذي كان عبارة عن بناء كبير يضيق على الطائفين، وهو ما كان.

خواطره حول تفسير القرآن

بدأ الشيخ محمد متولي الشعراوي تفسيره على شاشات التلفاز قبل سنة ١٩٨٠م بمقدِّمة حول التفسير ثم شرع في تفسير سورة الفاتحة وانتهى عند أواخر سورة الممتحنة وأوائل سورة الصف وحالت وفاته

دون أن يفسر القرآن الكريم كاملاً. ويُذكر أن له تسجيلاً صوتياً يحتوي على تفسير جزء عم (الجزء الثلاثون).

الشعراوي والسياسة

«أتمني أن يصل الدين إلى أهل السياسة ولا يصل أهل الدين للسياسة»، بتلك الحكمة سار الشيخ محمد متولي الشعراوي في التعامل مع السياسة، واستطاع أن يضرب مثلاً بأفضل تعامل ديني مع تلك المهنة، ويثبت للجميع أن خلط الدين بالسياسة لا يفسد السياسة ولكنه يُصلح حالها.

فصل الدين عن السياسة

وفي تعليق للشعراوي عن دعاوى فصل الدين عن السياسة، قال: «يقولون: لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة، وهذا قول باطل وغير صحيح، والذين فعلوا ذلك يريدون أنْ يجعلوا لأنفسهم سلطة زمنية تخضع لأهوائهم ليفعلوا ما يريدون، لقد تعمدوا عدم الارتباط

بمنهج السماء في إدارة شئون الأرض، لأن منهج السماء يقيد حركتهم، ونسُوا أنه أيضًا يقيد حركة المحكومين لمصالحهم".

وزير الأوقاف

يذكر التاريخ أن الشعراوي دخل قلب السياسة، عندما تولى منصب وزارة الأوقاف، وشغله ذلك كداعية عن الناس، وبالرغم من أنه ندم على قبوله المنصب، إلا أنه لم يندم على التجربة، لأنه استطاع من خلالها تحقيق الكثير، يكفي أنه أوقف "توفيق عويضة" سكرتير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الذي شكاه ثلاثة وزراء أوقاف متعاقبين لسوء تصرفاته المالية، ولكن لم يستطيعوا فعل شيء له، حتى جاء الشعراوي وفجَّر قضية نفوذ هذا الرجل في استجواب قدمه بشأنه في مجلس الشعب، واستطاع إسقاط قلعة من قلاع الفساد بذلك.

وكان وزيرًا ذا طابع خاص، يرفض العمل السياسي رغم أنه في منصب سياسي وظل داعية محتفظًا بتواصله مع الناس، ولم يغير من عاداته شيئًا، حتى أنه استمر في مسكنه المتواضع جدًا في المساكن الشعبية

المجاورة لمسجد الحسين. ويقال إن الشيخ قدم استقالته بسبب شتم السادات للشيخ المحلاوي عندما قال عليه إنه مرمي في السجن زي الكلب، فبعث الشيخ ببرقية للرئيس وقال: "إن الأزهر الشريف لا يخرِّج كلابًا بل يخرِّج شيوخًا أفاضل وعلماء أجلاء".

القضية الفلسطينية

ورغم أنه ترك الوزارة غير آسف، إلا أن السياسة ظلت تطارده، ففي خواطره الإيمانية تناول الآيات التي تحدثت عن اليهود فاضحاً غشَّهم وغدرهم للفلسطينيين، مما جعل السفارة الإسرائيلية بالقاهرة تحتج، وتطالب بوقف بث حلقاته في التليفزيون.

مجلس الشورى

ورغم تحقيقه نجاحات كثيرة بتوليه وزارة الأوقاف، عندما أصدر السادات قراراً بتعيينه عضواً في مجلس الشورى، لم يذهب إلى المجلس

ولم يحلف اليمين، ولذلك لم يسجل اسمه كعضو في المجلس، لأن العضو لا يصير عضواً بمجرد صدور القرار ولكن بعد حلف اليمين.

انفصاله عن العمل السياسي

في سنة ١٩٩٧ أجرت مجلة «أكتوبر» حواراً مع الشيخ، سألته عن علاقته بالسياسة في عهد الملك فاروق وعبدالناصر والسادات ومبارك، وكيف يرى كل عصر منها؟ فأجاب باقتضاب: "ماذا يقدم رأيي أو يؤخر"، ولما ألحوا عليه وقالوا له: يهمنا أن نعرف رأيك، قال: "أنا كنت طالبًا، وكنت رئيس اتحاد طلاب جامعة الأزهر، ولما جيت القاهرة في كلية اللغة العربية بقيت رئيس اتحاد طلاب الأزهر، ودخلت الحركة السياسية، وكان كل شِعري في السياسة".

وصرح الشيخ الشعراوى لحظتها وقال: "الحمد لله لو بقيت في السياسة كنت سأبقى في حمأة السياسة لغاية ما أموت، ولكن ربنا جاب لي فرصة أتفرغ له على السجادة، وأصلي، وأقرأ القرآن. ومن رحمة الله عليَّ أن بعث لي بعثة السعودية سنة ١٩٥٢ حتى سنة

١٩٦٣ حتى استقلَّت الجزائر فذهبت إلى الجزائر رئيسًا للبعثة التعليمية هناك، إلى أن جاء الرئيس السادات، فعدت إلى السعودية، وطول عمرى قاعد هناك، ربنا رحمني من القرف".

معارك فكرية

شهدت الصحف والمجلات معارك فكرية بين الشيخ محمد متولي الشعراوي والأدباء توفيق الحكيم ويوسف إدريس، وبعض الحلفاء من الجانبين، وصلت إلى حد اتهام الشيخ للأدباء بالكفر والإضلال، فيما وصفه "إدريس" بممثل نصف موهوب، لكن كلها انتهت في النهاية بالصلح.

مع يوسف إدريس

كان للأديب الراحل معركة مع الشيخ محمد متولي الشعراوي، فكتب ينتقد طريقته وأسلوبه واعتبره يجامل السلطة والرئيس "السادات"، وطالب بعدم إعطائه الهالة الكبيرة التي تدور حوله، وكتب إدريس في

كتابه "فقر الفكر وفكر الفقر" مقالة بعنوان "العروبة ضد العرب والإسلام ضد المسلمين" وصف فيها يوسف إدريس الشيخ محمد متولي الشعراوي، بأنه ممثل نصف موهوب لديه قدرة على إقناع الجماهير البسيطة وقدرة على التمثيل والحديث بالذراعين وتعبيرات الوجه، والقدرة على جيب كبير مفتوح دائمًا للأموال.

ولاقى هجوم "إدريس" استهجانًا من البعض، فالدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة وقتها، اعتبر انتقاد "إدريس" ساقطًا، ووصف "الشعراوي" بمفخرة مصر، كما اعتبر سعد الدين وهبة هجوم يوسف إدريس بأنه لا علاقة له بأي فكر أو ثقافة بل اعتبره إسفافًا.

وعند ذلك أعلن "إدريس" اعتذاره في مقال نُشر بجريدة الأهرام بعنوان "توضيح عاجل واعتذار"، ووصف ما جاء في مقاله بالخطأ الفني المطبعي، واستنكر هجومه على شخصية عظيمة مثل الشعراوي، وأشار إلى أنه سيصحح ما جاء في الكتاب، وأكد أنه يكنُّ للشيخ

كل التقدير والود والاحترام رغم اختلاف الفكر والرؤى، واعتبره أهم ظاهرة دينية إسلامية ظهرت منذ عهد الأئمة الكبار.

وتم الصلح في لندن أثناء وجود "الشعراوي" في لندن للعلاج بمستشفى ولنجتون، في نفس الوقت الذي كان "إدريس" يتلقى علاجه بنفس المستشفى.

مع توفيق الحكيم

العلاقة بين الشيخ الشعراوي وتوفيق الحكيم توترت عندما نشر "الحكيم" سلسلة مقالات بعنوان "حوار مع الله" في جريدة الأهرام، فرد "الشيخ" بأنه لا يجوز مثل هذا الحوار مع الذات الالهية، قبل أن يمتثل توفيق الحكيم للحملة التي قادها الشيخ الشعراوي واشترك فيها بعض المشايخ الآخرين ويغيِّر الحوار إلى خواطر.

ثم عقدت جريدة اللواء الإسلامي ندوة مع "الحكيم" عن مقالاته "حديث مع الله" واستمرت الندوة أربع ساعات كاملة، شارك فيها

الدكتورة عائشة عبد الرحمن، والدكتور الحسيني هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وقتها، موسى شاهين أستاذ التفسير والحديث بجامعة الأزهر، والدكتور أحمد عمر هاشم أستاذ الحديث بجامعة الأزهر، والشيخ محمد متولي الشعراوي الذي رد على ما كتبه "الحكيم" قائلًا: "الأستاذ توفيق الحكيم لم يقل لنا كيف كلمه الله، هل واجهه أم أرسل إليه ملكًا أم ماذا حدث؟".

تدخل ثروت أباظة للصلح وعرض عزومة على الشيخ والأديب على عدس أباظي، وكتب في جريدة الأهرام عن طريقة طهي العدس الذي سيتناوله الطرفان.

انتهى الخلاف بين الشيخ الشعراوي وتوفيق الحكيم، وذات يوم أصيب "الحكيم" بأزمة صحية شديدة، ألزمته الفراش، ودخل على إثرها مستشفى المقاولون العرب بعد عام تقريبًا من المعركة، وذات صباح وقف "الحكيم" يتمشى في المستشفى بعدما يئس الأطباء من علاجه، فاندهشوا من قدرته على الحركة المفاجئة، وإذا به يقول:

"الحمد لله، لقد رأيت في المنام الشيخ الشعراوي بجواري في هذا السرير يصلي، وبعد الانتهاء من صلاته، توجه بالدعاء لله بشفائي واستيقظت من نومي وأنا في تمام الصحة". وتصادف وجود الكاتب الصحفي صلاح منتصر في هذه اللحظة فكتب هذه القصة في عموده اليومي بجريدة الأهرام "مجرد رأي" في عدد ٤ أغسطس ١٩٨٤، فقرأ "الشعراوي" ما كتبه "منتصر"، فتوجه إلى مستشفى المقاولون العرب وكان هذا اللقاء الأول بينهما بعد الحملات الصحفية والخلافات على صفحات الجرائد.

دخل "الشعراوي" على "الحكيم" الذي دقق في ملامحه، فهب واقفًا وهو يقول: مين؟ الشيخ الشعراوي؟ وأخبره "الشعراوي" أنه قرأ له كتبه "أهل الكهف"، "عودة الروح"، ولما أذِّن للعشاء أثناء اللقاء طلب "الشعراوي" أن يؤديا صلاة العشاء فشكا "الحكيم" من أنه لا يستطيع المشي أو الوقوف على قدميه للوضوء، فأوضح له

"الشعراوي" أنه يجوز له أن يتيمم. حسبما ورد في كتاب الكاتب الصحفي صلاح منتصر "توفيق الحكيم في شهادته الأخيرة".

حتى بعد موته

استمرت الحملة المسعورة على الشيخ الشعراوي حتى بعد موته، وهذا إن دل فإنما يدل على الأثر الكبير الذي تركه الشيخ في العالم الإسلامي وأزعج كثيرين ليس آخرهم مفيد فوزي الذي افترى على الشيخ بأنه (هو من مهَّد التربة المصرية للإرهاب وكرَّس له). وفوزي هو نفسه فوزي الذي كان على علاقة جيدة مع "الشعراوي" إبان توليه الوزارة كعهده مع الرجال وهم في المناصب، ووقتها بدرتْ من فوزي ما أسماه الشعراوي "مشاغبة" أنكرها عليه وسرعان ما بادر فوزي بالاعتذار عنها. ولكنه أسرَّها في نفسه ولم يُبدِها يومها. حتى إذا مات الشيخ وظن أن الساحة قد خلت له قال ما قال بل تقوَّل ما تقوَّل ولكن هيهات.. لقد هب محبو الشيخ ليس في مصر وحدها بل في العالم أجمع وأدخلوا القزم إلى جحره من جديد.

الفنانات التائبات

إذا أخذتك قدماك إلى مسجد السيدة نفيسة فلتنظر عن يمينك لتجد بيتاً على أعلى التبة المواجهة للمسجد.. ذاك هو بيت الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله الذي زارته فيه عدة فنانات، دخلن إلى هذا البيت مرتديات أفخر أنواع الثياب ويضعن أفخم أنواع مساحيق التجميل والزينة وتفوح منهن أزكى الروائح الباريسية ولكن ما هي إلا دقائق حتى تخرج الفنانة منهن من عنده زاهدة في الدنيا وما عليها، وتذهب مباشرة إلى مسجد السيدة نفيسة لتخرج ما غلا ثمنه من حقيبة اليد المصنوعة من الجلود الطبيعية وتضع ما في جيبها من أموال في أيادي السائلين والسائلات.

طرائف الشعراوي

من الجوانب التي تخفى على كثيرين، ظرف الشيخ، ونُكته التي تخرج عفوية، دون افتعال ولا ثِقل دم، بل تأتي – على السجية – رائقة ظريفة! وإليك بعضًا من طرائفه:

مع شوقي

وقد حصلت له في أيام شبابه طرفة مع أمير الشعراء أحمد شوقي رواها هو بنفسه، فقال: «ذهبت في سن الشباب بصحبة صديق إلى القاهرة، وكان لديه علم دائم بمكان تواجد شوقي، فاصطحبني إليه في إحدى جلساته عند الهرم، فعرّف شوقي بي على أنني من أشد المعجبين بشعره، والحافظين له، وأني أود رؤيته فقط». يقول الشيخ: «فسألني شوقي: ما الذي تحفظه عني؟ فذكرت له كثيراً مما حفظت له من شعر. فسألني: وما الذي أجبرك على حفظ كل هذه القصائد؟ فقلت له: لأن والدي كان يمنحني ريالاً عن كل قصيدة أحفظها لك». يقول الشعراوي: «وخلال جلستنا معه عاتبته عتاب المحبين على قوله: رمضان ولّى هاتها يا ساقي *** مشتاقة تسعى إلى مشتاق فضحك شوقي كثيراً ثم سألني: ألست حافظاً للقرآن؟ فرددت عليه «بلى». فقال شوقي: ألا تعرف الآية التي تقول: «وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ

يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ». يقول الشعراوي: «كان رداً أفحمنا، وبعدها بستة أشهر مات شوقي رحمه الله».

الجواز قلة قيمة

ويروي لنا الشيخ الشعراوي حكاية له وهو طالب مع مدير المعهد الأزهري فيقول: ذات مرة تأخر القطار، فوصلت إلى المعهد بالزقازيق متأخرًا، ورأيت شيخ المعهد جالسًا كعادته على بابه، فحاولت الإفلات منه، لكنه كان قد لمحني، فقال لأحد السعاة: هات الواد ده هنا. وسألني: اتأخرت ليه؟ فقلت له إن القطار تأخر نصف ساعة، وليس أنا. فسألني: ولماذا لا تحتاط وتأتي مساء الجمعة، بدلًا من فجر السبت؟ فقلت له: أنا متزوج يا سيدي، فسألني: والجواز كويس واللا وِحِش؟ فخشيتُ أن أقول كويس فيعتبرني قليل الأدب، فقلت له: والله الجواز قلة قيمة. فقال لي: ادخل، وإياك تتأخر تاني. وانتهى الموقف عند هذا الحد. ولكن عندما رآني صباح اليوم التالي، وجدته يناديني: يا ولد، قلة قيمة قلة قيمة. وسأله المشايخ الذين يدرِّسون لي:

إيه حكاية قلة القيمة دي؟ فقال: أنا سألت الشعراوي عن الزواج امبارح، فقال دا قلة قيمة! وهذه المسألة جعلت المشايخ يعتقدون أني قريب شيخ المعهد، وأنه يتبادل حديثًا شخصيًّا معي.

بس يكون راجل

ومما يروون عنه رحمه الله تعالى من الطرائف، أنه سئل ذات يوم عن الشروط التي يلزم أن تتوافر في الرجل ليتزوج بامرأة ثانية، فقال على الفور: (يكون راجل ويقدر يعمِلها)! وبقدر ما في هذه العبارة من عفوية، فهي دقيقة جامعة!

امرأتان في ليلة واحدة

وحُكي أن الدكتور محمد عبده يماني وزير الإعلام السعودي الأسبق جاء مرة يمازحه، وقال له: فلانة وفلانة - من الفنانات التائبات - تعرضان على فضيلتكم الزواج، وتلحان في ذلك، فقال: يا مرحبًا! فقال الدكتور يماني: لكنَّ لهما شرطًا صعبًا! فرد الشعراوي: ما هو؟

قال: أن تدخل بهما معًا في ليلة واحدة! فقال الشيخ مبتسمًا: وليه لأ؟ قل لهما أنا موافق؛ فليس عندي ما تختلفان عليه!

رأسًا لا رقصًا

وأثناء وجوده في فندق الحرم بالمدينة المنورة في الحج، ووسط شدة الزحام نادته فنانة من المعتزلات من بعيد - وقد أراد الله لها التوبة في آخر سنوات حياتها - بشيء من اللهفة، فلم يسمعها بسبب الزحام والمسافة، فما كان منها إلا أن شقَّت نحوه الصفوف بكل قوتها، واتجهت نحوه، حتى اقتربت منه فنادت بصوت مرتفع: انصب طولك يا سيدنا الشيخ وبص في وشي وهتعرفني! فقال لها: مش واخد بالي! فقالت له: أنا الراقصة السابقة فلانة أريد أن أسلم عليك وتدعو لي. فقال لها: لو عرفت أنك أنت التي تنادين عليَّ كل هذه النداءات لاتجهت إليكِ "رأسًا" لا "رقصاً"! فضحك الحاضرون، وأخذ يطيِّب خاطرها ويدعو لها من قلبه، وهي تبكي من الفرح والخشية.

بأحسن منها

ومن طرائف ما وقع له في السعودية، أن الشيخ رحمه الله كان يجلس على منبره الوعظي أمام مريديه، فأقبلت نحوه امرأة متبرجة تبين له أنها ممثلة، وكانت - بحكم عملها - معتادة على أن يكون السلام عمليًّا لا نظريًّا، فلما اقتربت من الشيخ قالت: تسمح لي أبوس فضيلتك يا مولانا؟ فذهل الشيخ وقال: ليه؟ قالت عشان باحبك! فرد الشيخ ضاحكًا: لا، لا يمكن؛ لأن الإسلام يأمرنا بأن نرد التحية بمثلها، أو بأحسن منها، ودا ما ينفعش!

دستور إن شاء الله!

وبقدر ما جعلت شهرة العلامة اللغوي المفسر الشعراوي، ومواقفه الاجتماعية، وحسن سيرته - بقدر ما جعلت منه شخصية شعبية قريبة من قلوب عموم الناس فقد جعلته قريبًا من أهل السلطة والنفوذ في مصر، ورشحته للوزارة، وخلقت مواقف طريفة بينه وبين الساسة خصوصًا الرئيس السادات، وبعض الوزراء الذين ارتبط بهم بشكل ما.

ومن طريف ما حصل له مع الرئيس السادات رحمهما الله، أنه أثناء حلفه اليمين الدستورية، عند اختياره وزيرًا للأوقاف، وقف يقسم على المحافظة على النظام، والدستور، والقانون، وأن يرعى مصالح الوطن، وسلامة أراضيه.. إلخ، فذكر الصيغة كلها، ثم قال في آخر القسم بصوت مرتفع؛ كأنما يحتاط لنفسه: إن شاء الله. فأغرق السادات في الضحك، وحذفوا إن شاء الله في الإذاعة والتليفزيون، عند قراءة نشرات الأخبار!

يا فكيك

وبعد تعيين الشيخ رحمه الله وزيرًا للأوقاف، سأله الرئيس السادات ذات مرة: هل صحيح يا شيخ شعراوي أنك لا تجلس على مكتبك في الوزارة، وتركت الكرسي الفخم وجلست على (كرسي خَرزان) جنب الباب؟ فقال له: نعم يا ريس، صحيح! فسأله: طيِّب ليه؟ فقال الشعراوي: عشان أكون قُرِيِّب من الباب ولما ترفدني أجري

سريعًا وأقول يا فكيك وأحمد الله وأنفد بجلدي. فضحك السادات طويلًا.

اتعدل انت يا ريِّس

وذات مرة أقام السادات حفلًا ساهرًا على شرف شاوشيسكو رئيس رومانيا وسفاحها وديكتاتورها الراحل، الذي (كشحه) الله ثم رمي في مزبلة التاريخ ككل ديكتاتور متفرعن، وبدَهي أن يحضر أعضاء مجلس الوزراء جميعًا الحفل بحسب البروتوكول، وكان في الحفل غناء ورقص وخلاعة، فأعطى الشيخ رحمه الله ظهره للراقصة - رفضًا للأمر كله، واحتجاجًا صامتًا منه على معصية الله - ومنطقي أن يكون منظره هذا في مثل هذه الحفلة الرسمية (الراقصة) نشازًا غير مألوف! ولما رآه السادات على هذا الوضع قال لوزير داخليته ممدوح سالم: خلي الشعراوي يتعدل! فرد الشعراوي قائلًا: أنا برضه اللي اتعدل؟ وانصرف مغادراً المكان.

اجبر بخاطري يا ريس

وفي اليوم الأول لتوليه الوزارة عرف بقصة (عبدالمنعم المغربي) رئيس هيئة الأوقاف، والظلم الذي وقع عليه من جهاز الرقابة الإدارية بإيقافه عن العمل، وتأكد أن الرجل مظلوم، فأصدر قرارًا بعودته إلى العمل، لكن أجهزة الرقابة رفعت قرارًا لتوقيعه من الرئيس لإقصائه عن عمله؛ نتيجة شكاوى كيدية قدمت ضده، فكتب الشعراوي للسادات رحمهما الله: (استشفع بي عبدالمنعم المغربي رئيس هيئة الأوقاف وقد أعلمته أن سيادة الرئيس لم يرفعني إلى مرتبة المستشفعين ولكني أطمع أن يجبر خاطري معكم فأرجو أن تقبل هذه الشفاعة، وإنها الأولى والأخيرة!) وقرأ السادات الرسالة فكتب بالقلم الأحمر: وأنا لا أرد شفاعة الشيخ الشعراوي!

مع عبدالحميد الديب

وللشيخ الشعراوي ذكريات مع الشعراء والأدباء، شهدت معارك أدبية ساخنة، وكان للشيخ فيها مواقف لا تنسى.

يقول الشيخ: حدث أيام الجماعة الأدبية التي كنت أرأسها حوالي عام ١٩٢٨، والتي كانت تضم معي أصدقاء العمر: الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي، والمرحوم محمد فهمي عبداللطيف، وكامل أبوالعينين، وعبدالرحمن عثمان رحمهم الله أجمعين، حدث أن كانوا على صلة صداقة مع شاعر مشهور وقتها بطول اللسان، والافتراء على أي إنسان، اسمه عبدالحميد الديب، صاحب قصيدة "دع الشكوى وهات الكأس واسكر"، والذي لم يسلم أحد من لسانه، وكان يعيش على هجاء خلق الله إلى أن يمنحوه مالًا، وجاءت ذات ليلة سيرتي أمامه، وقال له الأصدقاء أعضاء الجماعة الأدبية عن كل ما قرضته من قصائد شعرية، فرد وقال: الشيخ الشعراوي شاعر كويس، ولكن لا يصح أن يوصف بأنه شاعر، ولما سألوه: لماذا؟ قال: إن المفترض في شعر الشاعر أن يكون مجودًا في كل غرض، وهو لم يقل شعرًا في غرضين بالذات هما الغزل والهجاء!

ولما حكوا لي عن هذا الذي قاله الشاعر عبد الحميد الديب، قلت لهم: أمّا أنني لم أقل شعرًا في الغزل فأرجو أن تبلغوه بأنني قرضت الشعر في الغزل أيضًا، لكنه غزل متورع، وانقلوا إليه الأبيات عني، والتي قلت فيها:

من لم يحركه الجمال فناقصٌ تكوينُهُ

وسويٌّ خلق الله من يهوى ويسمح دينُهُ

سبحان من خلق الجمال والانهزام لسطوتِهْ

ولهذا يأمرنا بغض الطرف عنه لرحمتِهْ

من شاء يطلبه فلا إلا بطهر شريعتِهْ

وبذا يدوم لنا التمتع ها هنا وبجنتِهْ

وأما عن الهجاء فقلت لأصدقائي: إنني لا أجد موضوعًا أتناوله إلا أن أهجو عبدالحميد الديب نفسه، ولن أشهِّر به، ولكن فليأت إلينا،

ويجلس معنا، وأقول له إنني سوف أهجوك بكذا وكذا، ثم أخيِّره بعد ذلك أن يعلن هجائي له أو لا يعلنه!

وقد تحداني وقدِم إلى منزلي بباب الخلق وسألني: ما الذي سوف تقوله في عبدالحميد الديب يابن الشعراوي؟ فقلت له: والله لن أقول شعري في هجائك لأحد؛ إلى أن تقوله أنت! وأنا أقطع بأنك لن تكرر على مسامع الناس هجائي لك!

وبالفعل ما سمعه عبد الحميد الديب مني في هجائه لم يستطع - كما توقعت - أن يكرره على مسامع أحد، ولذلك كنت الوحيد من شلة الأدباء الذي سلِم من لسانه بعدها؛ لأنه خاف مني وعلم قوتي في شعر الهجاء أيضًا، ومن هنا ترسخ يقيني بأن التصدي للبطش والقوة لا يكون إلا بامتلاك نفس السلاح، سلاح القوة ولكن بغير بطش.

قصّرتِ أكماما وشلْتِ ذيولا

وقد يظهر طرفٌ من خفَّة دمه، وميله للدعابة في بعض أشعاره، كهذه القصيدة التي كتبها في الفتاة العصرية، التي يغرِّر بها الماجنون، ويخطف بصرها بريقُ الإغراء والإطراء:

قصَّرتِ أكماماً وشلْتِ ذيولا...... هلّا رحمتِ إهابَك المصقولا

أسئمتِ من برْد الشتاء وسجنه.....فطلبتِ تحريرَ المصيفِ عَجُولا؟!

وخطرتِ تحت غلالةٍ شفّافةٍ...... في فتنة تدَعُ الحليمَ جهولا

محبوكةٍ، لصقتْ بجسمٍ مُشرقٍ...... دفعتْه فورتُهُ، فبان فصولا

ألحمتِ في عرض الجمال وغرَّكِ...... الأغرارُ لما أسمعوك فضولا

شاهدتُ ضِلِّيلًا يطارد غادةً...... فنهرتُه حَنقاً، فقال خجولا:

أبغي الزواجَ بها، فقلتُ مداعباً...... هل كان بيتُ وليِّها مقفولا؟

ورنا فلم يَرَها، فجُنَّ وقال لي:...... أبُعثتَ فينا يا غيورُ رسولا؟

لم يبقَ لي أرَبٌ، فما يضطربني...... حتى أكون مكلفاً مسؤولا؟

قل للفتاة: الغرُّ هذا حبُّه...... إن بات ملتاعاً، وذاب ميولا

يلقاك كالحَمَل الوديع مضلِّلًا...... فإذا تمكن منكِ أمسى غولا

رحم الله العلامة الشعراوي، وتقبله عنده في المرضيين، وغفر للمجترئين، والمتعجلين، وولاد الناس (المؤدبين) الذين لم يقرؤوا، ولم يفهموا، ولم ينصحوا، ولم يتأدبوا.. وما هكذا تورد يا سعد الإبل!

ناصر العقيدة

محمد بن صالح العثيمين

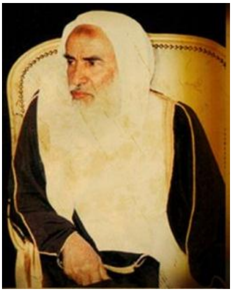

أبو عَبد الله مُحَمّد بن صَالِح بن مُحَمَّد بن سُلَيْمَان بن عبد الرَّحْمن العُثَيْمِين الوهيبي التميمي (٢٩ مارس ١٩٢٩ - ١١ يناير ٢٠٠١). ولد في ليلة ٢٧ رمضان عام ١٣٤٧ هـ، في عنيزة إحدى مدن القصيم. قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ؛ فحفظه ثم اتجه إلى طلب العلم وتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب.

نشأ في أسرة متوسطة الحال، فقد كان والده يعمل في التجارة بين الرياض وعنيزة، ثم استقر في عنيزة وعمل قبل وفاته بدار الأيتام بعنيزة.

وقد سُئل الشيخ: «هل اشتغلت بالتجارة إلى جانب طلبك للعلم؟» فقال: «لا، لأن الوالد كان في الرياض، وكان ميسور الحال». فلم تتيسَّر له سبل الرفاهية في الطلب، حيث يصف الشيخ المكان الذي يقرأ فيه بأنه غرفة من طين تطلُّ على زريبة بقر.

تعلم القرآن على يد جده من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان الدامغ ثم تعلم الكتابة وشيئاً من الأدب والحساب والتحق بإحدى المدارس وحفظ القرآن عن ظهر قلب في سن مبكرة، وكذا مختصرات المتون في الحديث والفقه. كان عبد الرحمن بن ناصر السعدي قد رتب من طلبته الكبار لتدريس المبتدئين من الطلبة وكان منهم محمد بن عبد العزيز المطوع فانضم إليه العثيمين.

بعد دراسة التوحيد والفقه والنحو جلس في حلقة عبد الرحمن بن ناصر السعدي فدرس عليه في التفسير والحديث والتوحيد والفقه وأصوله والفرائض والنحو.

ويعتبر عبد الرحمن السعدي مرجعه الأول الذي تأثر بمنهجه وتأصيله واتباعه للدليل وطريقة تدريسه.

اتصل بعبد العزيز بن عبد الله بن باز فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل ابن تيمية وانتفع منه في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء أهل السنة والجماعة والمقارنة بينها، ويعتبر عبد العزيز بن باز مرجعه الثاني في التحصيل والتأثر به. تخرج في المعهد العلمي ثم تابع دراسته الجامعية انتساباً حتى نال الشهادة الجامعية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض. كما أنه كان أحد المشاركين الرئيسين في إذاعة القرآن الكريم السعودية وخصوصاً في برنامج نور على الدرب.

وكانت عقيدته اعتقاد السلف الصالح؛ أهل السنة؛ في أصول الدين جملةً وتفصيلاً. وقد بين الشيخ عقيدته السلفية في تآليفه وشروحه ودروسه ومحاضراته وخطبه وفتاواه. وقد عاش يدعو إلى هذه العقيدة

حتى آخر أيام عمره، في دروسه التي كان يلقيها في المسجد الحرام من غرفته، وهو على سرير المرض.

تكفير المسلم

وفي مسألة التكفير وخاصة تكفير الحكام بيَّن الشيخ خطورة الكلام في هذه المسألة خاصة ممن لا علم عنده، أو ممن يجري وراء العواطف والحماس المتوقد، وحذَّر أشد التحذير من الولوج في هذه الباب بغير علم وبصيرة، فقال الشيخ العثيمين:

وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان، فعلى المرء ألا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه؛ حتى يتبين له الحق؛ لأن المسألة خطيرة، نسأل الله تعالى أَنْ يُصْلِحَ للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم، كما أن على المرءِ الذي آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام، لتقوم الحجة عليهم، وتبين المحجة، فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن

بينة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه، ولا يهَابنّ أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. والله ولي التوفيق ".

منهيات الألفاظ

بيَّن الشيخ الكثير من الأخطاء التي تقع في كلام بعض الناس، وله كتاب مخصص لهذا الموضوع. ومن تلك الأخطاء عبارة «لا حول الله» الواجب أن تعدل فيقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، «لا سمح الله» تكره؛ لأنها توهم أن أحداً يجبر الله على فعل الشيء. «لا قَدّر الله» لا بأس بها إذا قصد بها الدعاء. «شاءت قدرة الله» لا تصح. «فلان كان المثل الأعلى» وأنها لا تجوز على سبيل الإطلاق، فإذا قيدت فلا بأس. «فلان دفن في مثواه الأخير» وأنها حرام لا تجوز.

تواضعه

وقد كان لا يحب الإطراء عليه، أو مدحه والثناء عليه عند الناس، ويمنع من ذلك، بل يُحرج من يفعل ذلك إذا استمرَّ عليه، ويوقفه عن

ذلك: من ذلك ما اشتهر عنه أنَّ أحد طلابه استأذن منه أن يتلو أمامه قصيدة، فأذن، فقال الطالب:

يَا أمتِي إِن هذَا الليلَ يَعقبهُ   فَجرٌ وأَنوَارهُ في الأَرضِ تَنتَشِرُ

والخَيرُ مُرتقبٌ والفَتْح منْتَظرٌ   والحقّ رغمَ جُهُودِ الشّر منْتَشِرُ

بِصَحوةٍ باركَ البَاري مَسِيرَتَهَا   نقيةٍ مَا بهَا شَوبُ وَلاَ كَدَرُ

ما دَام فِينَا ابنُ صَالح شَيْخ صَحْوَتِنَا   بِمِثْلِه يُرْتَجَى التّأييدُ وَالظّفَرُ

فاعترض الشيخ على الطالب، وقال: أنا لا أوافق على هذا البيت لأني لا أريد أن يربط الحق بالأشخاص، فإذا ربطنا الحقّ بالأشخاص فمعناه أن الإنسان إذا مات قد ييأس الناس. ثم قال: إذا كان يمكنك أن تبدل البيت: ما دام فينا كتاب الله وسنة رسوله هذا طيب. فقال الطالب: ما دام فينا كتاب الله وسنة رسوله - ابن عثيمين — فاعترضه الشيخ قائلاً: لا، الله يهديك، لا، لا هذه لا تجيبها أبداً.

وقِّف وقِّف. ثم قال من حوله: «خلّه يواصل يا شيخ». فاعترض قائلاً: لا، لا والله ما أرضى، لا، لا ما أرغب. ثم علّق قائلاً:

أنا أنصحكم من الآن وبعد الآن، ألا تجعلوا الحق مربوطاً بالرجال، الرجال أولاً يضلّون، حتى ابن مسعودٍ يقول: من كان مستنّاً فليستَنَّ بمن قد مات، فإن الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة، الرّجال إذا جعلتم الحقّ مربوطاً بهم يمكن الإنسان يغترّ بنفسه – نعوذ بالله من ذلك – ويسلك طرقاً غير صحيحة.

أعماله ونشاطه العلمي

بدأ التدريس منذ عام ١٣٧٠ هـ في الجامع الكبير بعنيزة في عهد شيخه عبد الرحمن السعدي وبعد أن تخرج في المعهد العلمي في الرياض عين مدرساً في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ.

في سنه ١٣٧٦هـ توفي شيخه عبد الرحمن السعدي فتولى بعده إمامة المسجد بالجامع الكبير في عنيزة والخطابة فيه والتدريس بمكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع والتي أسسها شيخه عام ١٣٥٩هـ.

ولما كثر الطلبة وصارت المكتبة لا تكفيهم صار يدرِّس في المسجد الجامع نفسه واجتمع إليه طلاب كثيرون من داخل المملكة وخارجها حتى كانوا يبلغون المئات وهؤلاء يدرسون دراسة تحصيل لا لمجرد الاستماع، ولم يزل مدرساً في مسجده وإماماً وخطيباً حتى توفي.

استمر مدرساً بالمعهد العلمي في عنيزة حتى عام ١٣٩٨هـ وشارك في آخر هذه الفترة في عضوية لجنة الخطط ومناهج المعاهد العلمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وألف بعض المناهج الدراسية.

ثم لم يزل أستاذاً بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم بكلية الشريعة وأصول الدين منذ العام الدراسي ١٣٩٨-١٣٩٩هـ حتى توفي.

درّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج وشهر رمضان والعطل الصيفية.

منهجه العلمي

أوضح العثيمين منهجه، وصرّح به مرات عديدة أنه يسير على الطريقة التي انتهجها شيخه عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وهو منهج خرج به عن المنهج الذي يسير عليه علماء الجزيرة عامتهم أو غالبيتهم، حيث اعتماد المذهب الحنبلي في الفروع من مسائل الأحكام الفقهية والاعتماد على كتاب «زاد المستقنع» في فقه الأمام أحمد بن حنبل، فكان الشيخ عبد الرحمن السعدي معروفًا بخروجه عن المذهب الحنبلي وعدم التقيد به في مسائل كثيرة.

مواقف وطرائف

يقول أحد طلبة العلم: من الأجوبة اللطيفة التي سمعتها عن سؤال يقول فيه صاحبه إنه متزوج ويريد الزواج بالثانية بنية إعفاف فتاة.

فقال له الشيخ ابن عثيمين: أعط المال لشاب فقير يتزوجها وتأخذ أجر الاثنين.

ومما نُقل عن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى من هذه المواقف: قابله أحدهم في المستشفى، فسأله: ماذا تفعل هنا يا فضيلة الشيخ؟ قال الشيخ: أحلل السكر. فقال السائل: كلنا نعرف أن السكر حلال، ابحث لنا عن شيء آخر وحلله لنا.

وسأل أحدهم ابن عثيمين: ما يفعل الشخص بعد أن ينتهي من الدعاء؟ فرد الشيخ: ينزل يديه...!!

وكان الشيخ ابن عثيمين يلقي درساً في باب النكاح عن عيوب النساء، فسأله أحدهم: لو تزوجت ووجدت أن زوجتي ليس لها أسنان، هل يبيح لي هذا العيب فسخ النكاح؟ فقال الشيخ: هذه امرأة جيدة، لأنها لا يمكن أن تعضك..!!

وكان الشيخ ابن عثيمين في مكة ذات يوم راكباً تاكسي.. والظاهر أن المشوار كان طويلاً، فأراد سائق التاكسي أن يتعرف – ولم يكن يعرف الشيخ – فقال: ما تعرفنا على الاسم الكريم يا شيخ؟ فرد الشيخ: محمد بن صالح بن عثيمين. فرد السائق: تشرفنا، معك عبدالعزيز بن باز.. فالسواق يحسبه يمزح.. هنا ضحك الشيخ، وقال له: ابن باز أعمى كيف يسوق تاكسي؟ فرد السائق: ابن عثيمين في نجد وش اللي يجيبه هنا، تمزح معي أنت؟ هنا ضحك الشيخ وأفهمه أنه بالفعل ابن عثيمين.

وكان أحد كبار السن من أهل البادية موجوداً صدفة للصلاة في مسجد الشيخ ابن عثيمين من غير ما يعرف، وعندما كان الشيخ في صلاة جهرية بمسجده نسي إحدى الآيات، فذكّره بها أكثر من شخص خلفه، وعندما انتهى الشيخ من الصلاة نبههم إلى أن التذكير لا يكون بهذا الشكل الجماعي وأن واحداً يكفي عن البقية، وهنا

نطق البدوي كبير السن بكل ثقة وقال: المفروض أن الشايب اللي مثلك ما يعرف يقرأ يصفّ ورا ويخلي الصلاة لأهلها!

ومن طرائف الشيخ ابن عثيمين مع الشيخ ابن باز رحمهما الله أنه مرة سألهما شخص فقال: لقد اخترع لنا جهاز ينبّه على السهو أثناء الصلاة، فلا يسهو المصلي إذا استعمله، فما حكمه؟ فسكت الشيخ ابن باز وضحك الشيخ ابن عثيمين رحمهما الله وقال: اسأله أهو يسبح أم يصفق؟ وكان الشيخ يقصد التسبيح للرجال والتصفيق للنساء!

وسئل ابن عثيمين رحمه الله: إذا كان القارئ يستمع إلى المسجّل فجاءت سجدة التلاوة فهل يسجد للتلاوة؟ فقال الشيخ: نعم إذا سجد المسجَّل!

ابن عثيمين الزاهد

حدَّث ابن الشيخ عبدالله بن محمد بن صالح العثيمين قال: "أرسل الأمير عبد الإله بن عبد العزيز آل سعود أمير منطقة القصيم سيارة جديدة أمريكية هدية إلى الشيخ، فلمَّا قدم الشيخ إلى البيت وإذا بالسيارة بجوار البيت فأُخبر عنها فبقيت عند البيت خمسة أيام لم تتحرك، ثمَّ اتَّخذ الشيخ قراره وقال لابنه عبد الله: "تأخذ السيارة إلى الأمير وتشكره على صنيعه، وتخبره أنني غير محتاج إليها"، فرُدَّت السيارة إلى الأمير علمًا أنَّ لدى الشَّيخ سيارة قديمة من النوع الرخيص، فلم يكن يهتم بمظهر مركبه، وتوفي الشيخ وهو متمسك بسيارته القديمة.

ومن عجائب ورعه عندما كان يتغيب عن إمامة الجامع الكبير في عنيزة حيث كان يتقاضى راتباً شهرياً مقابل إمامته للجامع؛ فإنه يدفع مقابل تغيبه ولو كان يوماً واحداً لمن استخلفه في الإمامة، وكذلك إذا تأخر عن العمل عندما كان يدرِّس في المعهد العالي في

عنيزة ولو لبضع دقائق أثبت ذلك في سجل الحضور وكتب أمامه بغير عذر.

يقول الشيخ عقيل بن عبد العزيز العقيل: سلمني الشيخ كيساً كبيراً فيه أموال جمعت لصالح المسلمين خارج المملكة، ولما خرجت من بيته وأردت أن أركب السيارة وإذا بالشيخ يقبل علينا قائلاً: يوجد نصف ريالٍ في الكيس انتبهوا إليه لئلا يقع".

وبينما كان الشيخ - رحمه الله - يسجل إحدى حلقات البرنامج الإذاعي الشهير «نور على الدرب» ويجيب عن أسئلة المستمعين في ملحق منزله المخصص لذلك، دخلت أصوات طرْق بعض العمال لجدار المنزل المجاور - على صوت التسجيل الذي بدأ للتو - كونهم يقومون بتكسير «بلُوك الجدار»، فقام الشيخ حتى يطلب منهم التوقف ليتمكن من التسجيل ثم يعاودوا التكسير بعد ذلك.. ولكن الشيخ عاد دون أن يخرج من الباب، وقال للإعلامي عبدالكريم المقرن مذيع البرنامج: من الذي بدأ أولاً يا عبدالكريم؟ فقال هم يا فضيلة

الشيخ، قال إذن نؤجل التسجيل لبعض الوقت حتى يفرغ عامل التكسير من عمله.

وأخيراً يحكي هذا الموقف الشيخ خالد بن عبد الله الحمودي عن الشيخ - رحمه الله - وهو يدل على رقة قلب الشيخ وشدة تأثره بالموعظة وكان هذا الموقف قبيل وفاته في أحد المجالس حيث تليت قصيدة عن ذكر الموت فبكى الشيخ بكاء شديداً، وهو يسأل الله قائلاً: "اللهم أعنا على الموت اللهم أعنا على الموت".

مؤلفاته

له مؤلفات كثيرة منها:

- من أحكام الصلاة.
- شرح ثلاثة الأصول.
- الشرح الممتع على زاد المستقنع (وهو واحد من أشهر كتبه).
- شرح مقدمة التفسير.

- أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها.
- شرح العقيدة الواسطية.
- القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى.
- مختصر لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد.
- فتح رب البرية بتلخيص الحموية.
- مجموعة أسئلة في بيع وشراء الذهب.
- شرح الأربعين النووية.
- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين.
- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام.
- إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار.
- الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع.
- القول المفيد على كتاب التوحيد.
- شرح العقيدة السفارينية.
- شرح كتاب السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- فتاوى أركان الإسلام.

- الرسائل والمتون العلمية.
- صفة الحج والعمرة.
- أصول في التفسير.
- شرح مقدمة التفسير لابن تيمية.
- شرح الآجرومية.
- شرح الدرة اليتيمة في النحو.
- شرح ألفية ابن مالك.

وفاته

كان الشيخ محمد العثيمين يعاني من الالتهاب الرئوي، وقد نُقل من الحرم بعدما انتهى الدرس لشدة التعب إلى جدة في العيد، وفي صباح يوم الأربعاء يوم وفاته في تاريخ ١٥/ ١٠ /١٤٢١هـ خلال الساعة الواحدة ظهراً، وكان القلب وجميع أجهزة الجسم والتنفس طبيعية، إلى أن هبط الأوكسجين، وحضر الأطباء وتأكدوا أن ذلك بداية خروج الروح، وحوله أخوه عبد الرحمن وابنه عبد الرحمن يذكرون الله ويقرؤون

عليه سورة يس، ثم تلتها رعشة خفيفة إيذاناً بوفاة الشيخ رحمهُ الله، وقد توفي في تمام الساعة الخامسة وخمس وخمسين دقيقة قبل غروب شمس يوم الأربعاء، وعمرهُ أربعة وسبعون عاماً وثمانية عشر يوماً.

ناصر السُّنة

محمد ناصر الدين الألباني

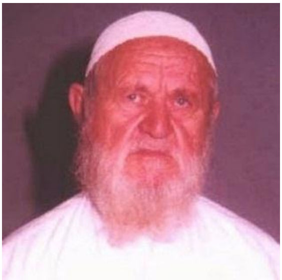

الإمام والمحدِّث أبو عبد الرحمن محمد بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني الأرنؤوطي المعروف باسم محمد ناصر الدين الألباني (١٩١٤ - ١٩٩٩) باحث في شؤون الحديث ويعد من علماء الحديث ذوي الشهرة في العصر الحديث، له الكثير من الكتب والمصنفات في علم الحديث وغيره وأشهرها السلسلة الصحيحة والسلسلة الضعيفة وصحيح الجامع وضعيف الجامع وصفة صلاة النبي.

زار الكثير من الدول للتدريس وإلقاء المحاضرات، منها السعودية وقطر والكويت، ومصر، والإمارات، وإسبانيا، وإنجلترا، وألمانيا وأستراليا ولبنان. وتخصص الألباني في مجال الحديث النبوي وعلومه وتتلمذ على يديه كثير من الطلبة، منهم من غدا من باحثي الدراسات الإسلامية بعد ذلك، وله أكثر من ٣٠٠ مؤلف بين تأليف وتخريج وتحقيق وتعليق. كما تعرض للاعتقال مرتين إحداهما قبل عام ١٩٦٧ لمدة شهر في قلعة دمشق وهي نفس القلعة التي اعتقل فيها ابن تيمية، بعدها انتقل من دمشق إلى عمان بالأردن وأقام هناك حتى وفاته.

منح جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية لعام ١٩٩٩م وموضوعها الجهود العلمية التي عنيت بالحديث النبوي تحقيقاً وتخريجاً ودراسة؛ تقديرًا لجهوده القيمة في خدمة الحديث النبوي وذلك في كتبه الوفيرة. يراه البعض كأحد مجددي الإسلام في زمانه.

ولد محمد ناصر الدين الألباني عام ١٩١٤م في أشقودرة العاصمة القديمة لألبانيا، درس والده الشريعة في إسطنبول وعاد إلى بلده

وأصبح أحد كبار علماء المذهب الحنفي هناك، لكنه اختلف مع توجهات الملك أحمد زوغو الغربية بعد منعه النساء من ارتداء النقاب، فهاجر هو وأسرته إلى دمشق ومعه ابنه محمد.

أتم خلالها الألباني دراسته الابتدائية في مدرسة الإسعاف الخيري في دمشق بتفوق، ونظراً لرأي والده الخاص في المدارس النظامية من الناحية الدينية، قرر عدم إكمال ابنه الدراسة النظامية ووضع له منهجاً علمياً مركزاً قام من خلاله بتعليمه القرآن الكريم والتجويد والنحو والصرف وفقه المذهب الحنفي، واستطاع الألباني حفظ القرآن على يد والده برواية حفص عن عاصم. ومن الكتب التي درّسها له كتاب مختصر القدوري في فقه الأحناف، كما درس على الشيخ سعيد البرهاني مراقي الفلاح في الفقه الحنفي وبعض كتب اللغة والبلاغة. كما أخذ الألباني عن أبيه مهنة إصلاح الساعات فأجادها حتى صار من أصحاب الشهرة فيها، وأخذ يتكسب رزقه منها، وقد وفرت له هذه المهنة وقتاً جيداً للمطالعة والدراسة، وهيأت له هجرتُه

للشام معرفةً باللغة العربية والاطلاع على العلوم الشرعية من مصادرها الأصلية.

وعلى الرغم من توجيه والده المنهجي له بتقليد المذهب الحنفي وتحذيره الشديد من الاشتغال بعلم الحديث، فقد توجه نحو البحث عن الدليل واتباع السُّنة واشتغل بعلم الحديث، فتعلم الحديث النبوي في نحو العشرين من عمره متأثرًا بأبحاث مجلة المنار التي كان يصدرها محمد رشيد رضا، وكان أول عمل حديثي قام به هو نسخ كتاب المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للحافظ العراقي مع التعليق عليه.

كان ذلك العمل بداية للألباني حيث أصبح الاهتمام بالحديث وعلومه شغلَه، فأصبح معروفًا بذلك في الأوساط العلمية بدمشق، حتى أن إدارة المكتبة الظاهرية بدمشق خصصت غرفة خاصة له ليقوم فيها بأبحاثه، بالإضافة إلى منحه نسخة من مفتاح المكتبة حيث يدخلها وقتما شاء، أما عن التأليف والتصنيف، فقد ابتدأهما في

العقد الثاني من عمره، وكان من أول مؤلفاته كتاب تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد وهو مطبوع مرارًا.

موقف مع والده

كان في دمشق في ذلك الوقت تُقام الصلاة في المساجد أكثر من مرة، بحيث يصلي كل مذهب على حدة، فكان المسجد الذي يصلي فيه الشيخ الألباني ووالده تُقام فيه الصلاة أولًا للمذهب الشافعي، وبعد فراغ الشافعية من صلاتهم، تُقام الصلاة مرة أخرى للأحناف وكان الشيخ نوح نجاتي والد الشيخ الألباني حنفي المذهب، وكان الشيخ الألباني في أول أمره يصلي مع الأحناف ولكن بعد دراسته لعلم الحديث وما تبين له من أن الصلاة بهذه الطريقة خطأ، بدأ يصلي في الجماعة الأولى بغض النظر عن المذهب.

وفي يوم من الأيام عرض لإمام المذهب الحنفي طارئ، فطلب من الشيخ نوح نجاتي الصلاة مكانه، وأيضًا وقع للشيخ نوح عارض

فطلب من ولده ناصر الدين الألباني الصلاة مكانه. فقال له الشيخ الألباني: أنت تعلم أني لا أصلي إلا في الجماعة الأولى.

فقال له الشيخ نوح: إما الوفاق أو الفراق (يعني إما أن نتفق في المذهب أو نفترق).

فقال له الشيخ الألباني: أمهلني ثلاث أيام أنظر في أمري، ثم فارقه بعدها.

وكان الشيخ الألباني يزوره في منزله وتدور بينهما نقاشات، وكان والده يقول له: أنا لا أنكر أني استفدت منك. قال الشيخ الألباني: وأنا لاحظت عليه هذا، حيث أنه ترك زيارة المساجد التي بها قبور الصالحين.

العمل الحديثي

ومن أوائل تخاريجه الحديثية المنهجية أيضًا كتاب الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير. وبعد فترة بدأ في إعطاء درسين

أسبوعياً في العقيدة والفقه والأصول وعلم الحديث، وكان يحضر دروسَه طلبةُ الجامعة وأساتذتُها، كما بدأ ينظم رحلات شهرية للدعوة في مختلف مدن سوريا والأردن، وحصل على إجازة من محمد راغب الطباخ لتدريس أحد كتب علم الحديث، كما اختارته الجامعة الإسلامية في المدينة لتدريس علوم الحديث لثلاث سنوات - من ١٣٨١ حتى ١٣٨٣ هـ - وبعدها عاد إلى دمشق لاستكمال دراسته للحديث وعمله في المكتبة الظاهرية، حيث ترك محلَّه لأحد إخوته.

في السجن

وفي أوائل ١٩٦٠ كان الألباني مراقباً من قبل الحكومة في سوريا، مع العلم أنه كان بعيدًا عن السياسة، وقد سبب ذلك نوعًا من الإعاقة له؛ فقد تعرض للاعتقال مرتين الأولى كانت قبل عام ١٩٦٧ حيث اعتقل لمدة شهر في قلعة دمشق وهي نفس القلعة التي اعتقل فيها ابن تيمية، وعندما قامت حرب ١٩٦٧ رأت الحكومة أن تفرج عن جميع

المعتقلين السياسيين، فأفرج عنه، لكن بعدما اشتدت الحرب أعيد الألباني إلى المعتقل مرة أخرى، ولكن هذه المرة في سجن الحسكة شمال شرق سوريا، وقد قضى فيه ثمانية أشهر، وخلال هذه الفترة حقق مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري واجتمع مع شخصيات كثيرة في المعتقل إلى أن استقبلته الأردن.

وعن تلك الفترة يقول الألباني: وشاء الله تبارك وتعالى ذلك، حيث قدر علي أن أسجن في عام ١٣٨٩هـ الموافق لسنة ١٩٦٩ م مع عدد من العلماء من غير جريرة اقترفناها سوى الدعوة إلى الإسلام وتعليمه للناس، فأُساقُ إلى سجن القلعة وغيره في دمشق. ثم يُفرج عني بعد مدة لأساق مرة ثانية وأنفى إلى الجزيرة لأقضي في سجنها بضعة أشهر أحتسبها في سبيل الله عز وجل.

وقد قدر الله ألا يكون معي فيه إلا كتابي المحبب "صحيح الإمام مسلم" وقلم رصاص وممحاة، وهناك عكفت على تحقيق أمنيتي، في اختصاره وتهذيبه. وفرغت من ذلك في نحو ثلاثة أشهر، كنت أعمل

فيه ليل نهار، ودون كلل ولا ملل. وبذلك انقلب ما أراده أعداء الأمة انتقامًا منا إلى نعمة لنا. يتفيأ ظلالها طلاب العلم من المسلمين في كل مكان، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. كما يسر الله تعالى لي التفرغ لعدد كبير من الأعمال العلمية ما كان يتاح لي أن أعطيها الوقت اللازم لو بقيت حياتي تسير على النهج المعتاد، فقد قامت بعض الحكومات المتعاقبة بمنعي من الخروج إلى المدن السورية في الزيارات الشهرية التي كنت أقوم بها في الدعوة إلى الكتاب والسنة. وهو نوع مما يُسمى في العرف الشائع بـ"الإقامة الجبرية"، كما أنني قد مُنعت خلال فترات متلاحقة من إلقاء دروسي العلمية الكثيرة التي كان التحضير لها يأخذ جزءًا كبيرًا من وقتي، وهذا كله قد صرف عني الكثير من الأعمال، حال بيني وبين لقاء عدد كبير من الناس الذين كانوا يأخذون من وقتي الشيء الكثير".

مؤلفاته

وللألباني مؤلفات وتحقيقات، ربت على المائة، وتُرجم كثير منها إلى لغات مختلفة، وطُبع أكثرُها طبعاتٍ متعددة ومن أبرزها:

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة
- صفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها
- أحكام الجنائز
- آداب الزفاف
- أداء ما وجب في بيان وضع الوضّاعين في رجب
- الإسراء والمعراج
- الآيات البينات في عدم سماع الأموات
- التوسل
- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد

- حكم تارك الصلاة
- حَجة النبي
- صلاة التراويح
- خطبة الحاجة
- تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق
- فتنة التكفير

رأيه في الجماعات والأحزاب

يقول الألباني: (..لذلك نعتقد جازمين أن كل جماعة لا تقوم قائمتها على هذا الأساس من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ودراسة واسعة جداً محيطة بكل أحكام الإسلام كبيرها وصغيرها أصولها وفروعها، فليست هذه الجماعة من الفرقة الناجية التي تسير على الصراط المستقيم الذي أشار إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح.

وإذا فرضنا أن هناك جماعات متفرقة في البلاد الإسلامية على هذا المنهج، فهذه ليست أحزاباً، وإنما هي جماعة واحدة ومنهجها منهج واحد وطريقها واحد، فتفرقها في البلاد ليس تفرقاً فكرياً عقدياً منهجياً، وإنما هو تفرق بتفرقهم في البلاد بخلاف الجماعات والأحزاب التي تكون في بلد واحد ومع ذلك فكل حزب بما لديهم فرحون. هذه الأحزاب لا نعتقد أنها على الصراط المستقيم بل نجزم بأنها على تلك الطرق التي على رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه..).

مضايقات وافتراءات

حفظ الله للشيخ الألباني من مكائد خصومه كثيراً ومن ذلك أن الشيخ الألباني استُدعي للتحقيق حول عقيدته ودعوته وكتب الشيخ الألباني رحمه الله في أوراقٍ في إحدى الكتب في مكتبته المحفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ويقول عن ذلك:

(دُعِيتُ صباح يوم الاثنين ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ هـ إلى الشُّرَط، وحققوا معي هناك عن عقيدتي ودعوتي التي أَدْعو إليها، بناءً على مضبطة قُدِّمَت إليهم موقَّعة بعشرات التواقيع، منها كلمة من المفتي أبي اليسر، واستمروا في التحقيق معي حتى بعد الدوام الرسمي بنصف ساعة، ثم أطلقوا سبيلي على أنّي أعود إليهم صباح الثلاثاء، بناءً على أن يحيلوني إلى النيابة للمحاكمة! فعُدْتُ إليهم وقدَّمْتُ إلى أحدهم هدية كتابي "تحذير الساجد"، ويبدو أنه تبيَّن له منه كذبَ ما في المضبطة، وكان فيها أشياء كثيرة من الأكاذيب؛ منها أنني أقول: إن محمداً صلى الله عليه وسلم رجلٌ عادي! وإنّ كل شخص بإمكانه يصير أفضل منه! فدُعِيتُ إلى رئيس ديوان الشّعبة السياسية، فسألني بعض الأسئلة، أجبته عليها بكل حرية وتفصيل، فكان جوابه: اذهب مع السلامة. فسبحان ربي الأعلى). ومن هذه المواقف التي تعرض لها يوم أن اتصل هاتفيًّا بالشيخ الألباني رحمه الله أحد المشايخ الصوفيين في الأردن قبل عشرين عاماً في بداية مقدمِ الشيخ إلى عمان، قائلاً له:

- "يا شيخ ناصر! الغريب لا بد أن يكون أديباً".
- فقال الشيخ الألباني رحمه الله: "ما هذه الإقليمية التي عندك يا شيخ فلان؟!"
- قال الشيخ الصوفي: "لأنك وتلاميذك تكفِّرون المسلمين".
- فقال الشيخ الألباني رحمه الله: "نحن؟".
- فقال الشيخ الصوفي: "نعم".
- فقال الشيخ الألباني رحمه الله: "إني سائلك سؤالاً".
- قال الشيخ الصوفي: "سَلْ".
- قال الشيخ الألباني رحمه الله: "ماذا تقول في رجل يقف أمام قبر يقول ناوياً بصوت مرتفع: نويت أن أصلي ركعتين لصاحب هذا القبر؟!".
- قال الشيخ الصوفي: "هذا كافر مشرك".
- فقال الشيخ الألباني رحمه الله: "نحن لا نقول: كافر مشرك! نحن نقول: جاهل، ونعلمه، فمن الذي يكفر الناس يا شيخ فلان؟! نحن أم أنت؟".

فإذا بهذا الشيخ الصوفي يستسمح الشيخ الألباني رحمه الله عما بدر منه ويأتي إلى الشيخ في بيته ويعتذر إليه ويقبِّل يده.

وصيته الأخيرة

قال: أوصي زوجتي وأولادي وأصدقائي وكل محب لي إذا بلغه وفاتي أن يدعو لي بالمغفرة والرحمة، أولاً: وألا يبكوا عليَّ نياحة أو بصوت مرتفع.

وثانيًا: أن يعجلوا بدفني، ولا يخبروا من أقاربي وإخواني إلا بقدر ما يحصل بهم واجب تجهيزي، وأن يتولى غسلي (عزت خضر أبو عبد الله) جاري وصديقي المخلص، ومن يختاره - هو - لإعانته على ذلك.

وثالثًا: اختيار الدفن في أقرب مكان، لكي لا يضطر من يحمل جنازتي إلى وضعها في السيارة، وبالتالي يركب المشيعون سياراتهم، وأن يكون القبر في مقبره قديمة يغلب على الظن أنها سوف لا تنبش.

وعلى من كان في البلد الذي أموت فيه ألا يخبروا من كان خارجها من أولادي - فضلاً عن غيرهم - إلا بعد تشييعي، حتى لا تتغلب العواطف، وتعمل عملها، فيكون ذلك سببًا لتأخير جنازتي. سائلاً المولى أن ألقاه وقد غفر لي ذنوبي ما قدمت وما أخرت.

وأُوصي بمكتبتي - كلِّها - سواء ما كان منها مطبوعًا، أو تصويرًا، أو مخطوطًا - بخطي أو بخط غيري - لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، لأن لي فيها ذكريات حسنة في الدعوة للكتاب والسنة، وعلى منهج السلف الصالح - يوم كنت مدرسًا فيها - راجيًا من الله أن ينفع بها روادَّها، كما نفع بصاحبها - يومئذ - طلابَها، وأن ينفعني بهم وبإخلاصهم ودعواتهم. (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين). ٢٧ جمادى الأول ١٤١٠ هـ.

توفي الألباني يوم السبت في الثاني من أكتوبر ١٩٩٩ في مدينة عمّان عاصمة الأردن في حي ماركا الجنوبية، ودفن بعد صلاة العشاء، وعُجل بدفنه لأمرين اثنين الأول: تنفيذ وصيته كما أمر، الثاني: الأيام التي حصل فيها موته والتي تلت هذه الأيام كانت شديدة الحرارة، فخُشي أنه لو تأخر بدفنه أن تقع بعض الأضرار أو المفاسد على الناس الذين يأتون لتشييع جنازته فلذلك أوثر أن يكون دفنه سريعًا، بالرغم من عدم إعلام أحد عن وفاته إلا المقربين منهم حتى يعينوا على تجهيزه ودفنه بالإضافة إلى قِصَر الفترة ما بين وفاته ودفنه، إلا أن آلاف المصلين قد حضروا صلاة جنازته حيث تداعى الناس بأن يُعلم كل منهم أخاه.

قالوا عن الشيخ

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: ما رأيت تحت أديم السماء عالماً بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني، وسئل سماحته عن حديث رسول الله – صلى الله عليه و سلم-: "إن

الله يبعث لهذه الأمه على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" فسئل من مجدد هذا القرن؟ فقال – رحمه الله –: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني هو مجدد هذا العصر في ظني والله أعلم.

فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد: لقد كان رحمه الله من العلماء الأفذاذ الذين أفنوا أعمارهم في خدمة السنة والتأليف فيها والدعوة إلى الله عز وجل ونصرة العقيدة السلفية ومحاربة البدعة، والذب عن سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم– وهو من العلماء المتميزين، وقد شهد تميزه الخاصة والعامة. ولاشك أن فقد مثل هذا العالم من المصائب الكبار التي تحل بالمسلمين. فجزاه الله خيراً على ما قدم من جهود عظيمة خير الجزاء وأسكنه فسيح جناته.

العلامة محمد بن صالح العثيمين: فالذي عرفته عن الشيخ من خلال اجتماعي به وهو قليل، أنه حريص جداً على العمل بالسنة، ومحاربة البدعة، سواء كان في العقيدة أو في العمل، أما من خلال قراءتي لمؤلفاته فقد عرفت عنه ذلك، وأنه ذو علم جم في الحديث، رواية

ودراية، وأن الله تعالى قد نفع فيما كتبه كثيراً من الناس، من حيث العلم ومن حيث المنهاج والاتجاه إلى علم الحديث، وهذه ثمرة كبيرة للمسلمين ولله الحمد، أما من حيث التحقيقات العلمية الحديثية فناهيك به.

ورعُه وزهدُه رحمه الله

حج رحمه الله أكثر من ثلاثين حجة، وربما اعتمر في السنة مرتين، وكان يحرص على صيام يوم الإثنين والخميس في الصيف والشتاء، وكان إذا دخل المسجد يوم الجمعة لا يزال يصلي ركعتين ركعتين حتى يصعد الإمام إلى المنبر. واتصلت به فتاة تبشره أنها رأته ورسول الله صلى الله عليه وسلم على الطريق، فجعل يبكي ولا يرد عليها ودعا من عنده من الحضور للانصراف.

أديب الدعوة

محمد الغزالي

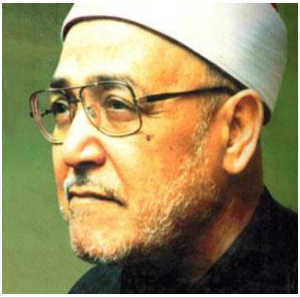

محمد الغزالي (١٩١٧م – ١٩٩٦م) عالم ومفكر إسلامي مصري، يعد أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، عُرف عنه تجديده في الفكر الإسلامي وكونه من "المناهضين للتشدد والغلو في الدين"، كما عُرف بأسلوبه الأدبي في الكتابة واشتهر بلقب أديب الدعوة. سببت انتقادات الغزالي للأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي العديد من المشاكل له سواء أثناء إقامته في مصر أو في السعودية.

ولد في قرية نكلا العنب، إيتاي البارود، محافظة البحيرة بمصر في (٢٢ سبتمبر ١٩١٧م). ونشأ في أسرة "متدينة"، وأتم حفظ القرآن بكتّاب

القرية في العاشرة، ويقول الإمام محمد الغزالي عن نفسه وقتئذ: "كنت أتدرب على إجادة الحفظ بالتلاوة في غدوي ورواحي، وأختم القرآن في تتابع صلواتي، وقبل نومي، وفي وحدتي، وأذكر أنني ختمته أثناء اعتقالي، فقد كان القرآن مؤنساً في تلك الوحدة الموحشة".

والتحق بعد ذلك بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي وظل بالمعهد حتى حصل منه على شهادة الكفاءة ثم الشهادة الثانوية الأزهرية، ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة سنة (١٩٣٧م) والتحق بكلية أصول الدين بالأزهر، حتى تخرَّج بعد أربع سنوات وتخصص بعدها في الدعوة والإرشاد حتى حصل على درجة العالمية سنة (١٩٤٣م) وعمره ست وعشرون سنة، وبدأت بعدها رحلته في الدعوة من خلال مساجد القاهرة، وقد تلقى العلم عن الشيخ عبد العظيم الزرقاني، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد أبو زهرة والدكتور محمد يوسف موسى والشيخ محمد محمد المدني وغيرهم من علماء الأزهر.

سمي الشيخ "محمد الغزالي" بهذا الاسم رغبة من والده بالتيمن بالإمام الغزالي فلقد رأى في منامه الشيخ الغزالي وقال له إنه سوف ينجب ولداً ونصحه أن يسميه على اسمه الغزالي فما كان من الأب إلا أن عمل بما رآه في منامه.

سافر إلى الجزائر سنة ١٩٨٤ م للتدريس في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، درَّس فيها رفقة العديد من الشيوخ كالشيخ البوطي حتى تسعينات القرن العشرين. نال العديد من الجوائز والتكريم فحصل على جائزة الملك فيصل للعلوم الإسلامية عام ١٩٨٩م.

بعد تخرّجه عمل إمامًا وخطيبًا في مسجد العتبة الخضراء ثم تدرَّج في الوظائف حتى صار مفتشًا في المساجد، ثم واعظًا بالأزهر ثم وكيلاً لقسم المساجد، ثم مديرًا للمساجد، ثم مديرًا للتدريب فمديرًا للدعوة والإرشاد.

وفي سنة ١٩٧١م أعير للمملكة العربية السعودية أستاذًا في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ودرَّس في كلية الشريعة بقطر.

وفي سنة ١٩٨١م عُيِّن وكيلاً لوزارة الأوقاف بمصر.

كما تولى رئاسة المجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر الجزائري الإسلامية بالجزائر لمدة خمس سنوات وكانت آخر مناصبه.

الغزالي المصلح

الشيخ الغزالي كان رجل دعوة في المقام الأول، وهو كذلك رجل من رجالات التجديد والإصلاح الذين شغلوا بهموم المجتمع من حولهم، وما تعانيه أمتهم من اختلال في الأوضاع والأنظمة، ومن فساد في الأفكار والأخلاق، ومن عوج شمل الماديات والمعنويات، والأفراد والجماعات.

ولم يكن الغزالي مصلحًا مصريًّا، وإن كانت مصر تأخذ الحظ الأول في تفكيره واهتمامه، ولا مصلحًا عربيًّا وإن كانت العروبة وعاء

الإسلام، والعربية لسانه، والعرب جملة دعوته، ولكنه مصلح على مستوى الأمة الإسلامية كلها، من المحيط إلى المحيط، فهو يتحدث عن مأساة المسلمين في الحبشة، كما يتحدث عن نكبتهم في البوسنة، وعن أوضاعهم في إندونيسيا كأوضاعهم في المغرب.

وكان مقاوماً للاستبداد والتسلط السياسي، فهو ينتصر لحرية الجماهير، وترسيخ الشورى، وعَدِّها فريضة لا مجرد فضيلة، وملزمة لا مجرد معلمة، والاقتباس من النظم الحديثة – كالديمقراطية – ما يدعم هذا المبدأ، ويجعله قابلًا للتطبيق العلمي في حياتنا المعاصرة؛ لهذا كان من أوائل كتبه: «الإسلام والاستبداد السياسي».

خصومات علمية

أما كتابه الأخير «السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث» فقد أهاج عليه خصومات الكثيرين، واستثار أقلامًا عدة، لترد عليه بقسوة وحِدّة، وكان منطلقه فيه الدفاع عن السنة أمام فريق «العقلانيين».

ولو أدى ذلك إلى رد بعض الأحاديث الثابتة في الصحاح إذا ناقضت منطق العقل، أو منطق العلم، أو منطق الدين نفسه، حسبما يراه.

والأمر الآخر الذي أُخذ على الشيخ، وكتب فيه الكاتبون، وردده المرددون، وشنّع به المشنعون، هو رده لبعض الأحاديث الصحيحة من أحاديث الآحاد.

وما رده الشيخ من هذا النوع ردًّا صريحًا ليس بكثير، إنما هي أحاديث قليلة محدودة. وهو لم يردها لهوى في نفسه، ولا لوهن في دينه، ولا لتنكُّر للسنة، ولا لتنقُّص للوحي، بل حرصًا على الدين نفسه أن يجد العلمانيون واللادينيون فيه ثغرة ينفذون منها للطعن فيه، والتشكيك في قضاياه، وتوهين أصوله. فرده لتلك الأحاديث القليلة إنما هو دفاع عن الدين في مواجهة خصومه وأعدائه الكائدين له والمتربصين به.

وهذه الأحاديث التي ردها الشيخ لا يتوقف عليها أي أمر من أمور الدين. فلو مات المسلم ولقي ربه دون أن يقرأها أو يعرف عنها شيئًا ما نقص من إيمانه ذرة. وذلك، مثل حديث لطم موسى عليه السلام

لعين ملك الموت حتى فقأها! وحديث: «لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم «أي: لم يفسد»، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها»... إلخ

وما يؤسف له أن كثيرًا من الناس يجهل الموقف المبدئي للشيخ الغزالي من السُّنة، وهو موقف الالتزام الكامل بها، والمحاماة عنها، والاشتباك مع خصومها، بقلمه البليغ، وبيانه الدفاق. ولكم شدد النكير في أكثر من كتاب له على الذين يزعمون الاستغناء بالسنة عن القرآن، مسفهًا رأيهم، ومضللًا اتجاههم. كما حمل في الوقت نفسه على الدين يخوضون في السنة، ويتحدثون عنها، دون أن يعايشوا القرآن، ويضربوا في معرفته بسهم وافر.

شهادته في قضية فرج فودة

في شهادة الشيخ محمد الغزالي في أثناء محاكمة قاتل فرج فودة أفتى بجواز "أن يقوم أفراد الأمة بإقامة الحدود عند تعطيلها.. وإن كان هذا افتياتاً على حق السلطة.. ولكن ليس عليه عقوبة، وهذا يعني أنه لا يجوز قتل من قتل فرج فودة" حسب تعبيره.

موقفه مع صلاح جاهين

يذكر الشيخ هيكل أن الشيخ الغزالي رحمه الله كان شجاعاً ولا يخشى في الحق لومة لائم. واستشهد الشيخ هيكل بموقف للشيخ الغزالي مع أحد الممثلين يدعى صلاح جاهين. يذكر أن الشيخ الغزالي رحمه الله تناول في أحد خطبه حديثاً من أحاديث النبي الصحيحة وهو "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد..." الخ الحديث. وقام صلاح جاهين بالسخرية من هذا الحديث ومن الشيخ ورسم كاريكاتير يتهكم فيه. غضب الشيخ الغزالي رحمه الله وأوصى جميع أئمة المساجد بتناول هذا الأمر في خطبة الجمعة التالية بعد أن رفضت الصحف نشر رد الشيخ الغزالي على تهكم جاهين.

وفي موقف آخر يحكيه الشيخ بنفسه، يقول الشيخ الغزالي "انعقد المؤتمر الكبير وافتتحه الرئيس جمال عبد الناصر وكان يعاونه السيد كمال الدين حسين وينوب عنه في غيابه وكان الأمين العام السيد أنور السادات..

وكنت من أوائل الذين طلبوا الكلمة.. ومضيت في شرح الحقائق الإسلامية الضائعة مطالباً بعودة المجتمع إليها.. وكنت في حديثي سهل العبارة، متودداً إلى الجميع وكنت قبل الحديث قد دعوت الله أن يلهمني الرشد وأن يفتح لي القلوب.

ويظهر أن الله استجاب لي، فإن كلمتي بلغت أعماق النفوس ولقيت ترحاباً واضحاً وتصفيقاً شديداً".

وتابع الشيخ الغزالي "وكان بين أعضاء المؤتمر سبعون شيوعياً أفزعهم هذا الجو الإسلامي، وزاد من ضيقهم أن جماعات ضخمة كانت تؤدي الصلوات في الأوقات وتتحدث عن ضرورة التمسك بالإسلام.

وقد اتفقت كلمتهم على توجيه ضربة سيئة لي توقف نشاطي، فأوعزوا إلى الرسام الهزلي صلاح جاهين ألا يدع الكلمة التي ألقيتها تمر دون تعليق ساخر يفقدها قيمتها!

وظهرت صحيفة الأهرام في اليوم التالي وقد صورتني عاري الرأس، ساقط العمامة على الأرض، لأن قوانين الجاذبية شدتها وفق التطور العلمي، ونظرت إلى الصورة وقد تملكني الغضب، فإن العمامة ليست لباساً خاصاً بي، وإنما هي رمز العلماء المسلمين، والرسام الشيوعي يريد الإيحاء بأن القوانين العلمية ستعصف بالإسلام".

وتابع الغزالي: "يا عجباً إنه عندما كان الملك فاروق يبحث عن الشهوات، كان أولئك المهاجمون لي من رجال الصحافة يشتغلون قوادين للملك الماجن.

وفي اليوم التالي، وكان يوم جمعة نشرت الأهرام عشر صور هزلية في صفحة كانت فيما يبدو مخصصة للنيل مني، ولكني هذه المرة لم أكترث لهذا الهزل، ولم أعتبر نفسي مهزوماً".

وتابع الشيخ الغزالي: "وألقيت خطبة الجمعة في الأزهر مختاراً لها موضوعاً أبعد ما يكون عن قضية الساعة، وأحسست أن الزحام شديد جداً، وبعد الصلاة سكنت مكاني دقيقة واحدة، انفجر

المسجد المكتظ بعدها بصياح اختلط فيه التكبير بالبكاء وبالهتاف، ورأيتني محمولاً فوق الرءوس، لا أعرف ما أصنع!

وكان المصلون في المسجد يزيدون على عشرين ألفاً، انضم إليهم مثلهم من مسجد الحسين والمساجد القريبة، وانطلقت المظاهرة إلى جريدة الأهرام لتحرقها، وكلما قاربت هدفها تضاعف عددها.

عندما أقبل صباح الغد علمنا أن المظاهرات لم تكن مقصورة على القاهرة وحدها، بل إن بعض عواصم الأقاليم تحركت فيها الجماهير مناصرة للإسلام وناقمة على النيل من علمائه".

وتابع الغزالي: "ولذلك قرأنا ونحن نضحك ما كتبه الأستاذ محمد حسنين هيكل يوم السبت من أن الشيخ الغزالي سيَّر لفيفاً من تلامذته لتهاجم الأهرام!

إن الحشود التي سارت صوب الصحيفة المتجنية فوق المائة ألف، فهل أولئك جميعاً تلامذتي الذين أوعزت إليهم بما حدث؟

معاركه الفكرية

عاش الشيخ الغزالي رحمه الله، عمره كلَّه محارباً للقوى المعادية للإسلام في الداخل والخارج، والتصدِّي لتياراتها، والعمل على هدم أوكارها، وهتك أستارها، وكشف عملائها. وهو هنا مقاتل عنيد، لا يستسلم ولا يطأطئ، ولا يلين يوماً.

- وقف في وجه الاستعمار، وكشف عن حقيقته ودوافعه، وأنها (أحقاد وأطماع).
- وفي وجه الصهيونية، التي اغتصبت الأرض المقدَّسة، وشرَّدت الأهل، وخطَّطت لهدم المسجد الأقصى، وإقامة هيكل سليمان علي أنقاضه.
- وفي وجه التنصير، الذي يريد أن يسلخ المسلمين من عقيدتهم، ليصبح المسلمون عبيداً للصليبية الغربية.

- وفي وجه الشيوعية التي سمَّاها (الزحف الأحمر)، ونبَّه على خطرها من قديم، واكتساحها للجمهوريات الإسلامية في آسيا.
- وفي وجه الحضارة المادية، وإباحتها الجنسية، وعصبيَّتها العنصرية، ومحاولتها للسيطرة الإمبريالية، وإن لم ينكر ما فيها من عناصر إيجابية، يمكن الاستفادة منها.
- وفي وجه العلمانية اللادينية، التي تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض، تريد الإسلام عقيدة بلا شريعة، وسلاماً بلا جهاد، وديناً بلا دولة، واتباعاً أعمى للغرب "شبراً بشبر، وذراعاً بذراع".

وقد بدأ الشيخ هذه المعركة من قديم، حين ردَّ علي صديقه الشيخ خالد محمد خالد في كتابه (من هنا نعلم)، ولكنه لم يقسُ عليه، وكان يظنُّ به خيراً، وأنكر على الأزهر حين فكَّر بعضهم أن يجرِّد

الشيخ خالداً من شهادة العالمية. وقد صدَّقت الأيام ظنَّ الغزالي، وعاد خالد إلى رحاب الإسلام الذي نشأ في ظلِّه، وتربَّى في أحضانه.

وبقدر لين الشيخ الغزالي مع الأستاذ خالد، كان نارا تكوي وتحرق، على العلمانيين المعادين علناً لشريعة الإسلام. وهو يقول: لماذا لا نسمِّي هؤلاء باسمهم الحقيقي؟ إنهم المرتدون!

القسوة على الشباب

كان الشيخ رحمه الله يبدو في نصحه للشباب قاسياً عنيفاً.. ولكنها قسوة الأب الذي يريد الخير والنجاح لأبنائه. ففي ندوة أقيمت له بمجلة "لواء الإسلام" ووجِّه إليه سؤال واتهام البعض إياه بالقسوة على الشباب الإسلامي أكثر من قسوته على الشباب غير الملتزمين، فأجاب الشيخ والألم يعتصره قائلاً:

"أنا أقسو عليه لأنني أحبه وأخاف عليه". وعلت نبرة شيخنا وهو يبرر قسوته في النصح لهؤلاء الشباب، ثم بكى وهو يقول: "أنا أخاف

على هذا الشباب من أن يستدرجه الأعداء إلى العنف أو التطرف ليُجهزوا عليه.. هذا الشباب هم الأمل ليقظة هذه الأمة ونهضتها، وعندما أنصحه وأقسو عليه أحياناً فإنما أهدف إلى إيقاظه وتنبيهه لما يحاك ضده من مؤامرات تريد شغله بقضايا تهدر طاقته أو تصرف الناس عنه، أو تعطي أعداء الداخل والخارج مبرراً لضربه والإجهاز عليه".. كانت دموع الشيخ وكلماته المؤثرة الصادرة من القلب تدل على صدقه وحبه للشباب، وخوفه على تلك الصحوة التي يرى فيها الأمل الكبير.

ومن مؤلفاته:

- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث
- عقيدة المسلم
- فقه السيرة
- كيف تفهم الإسلام
- هموم داعية

- سر تأخر العرب والمسلمين
- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين
- خلق المسلم
- معركة المصحف
- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية
- الإسلام المفترى عليه
- الإسلام والمناهج الاشتراكية
- الإسلام والأوضاع الاقتصادية
- الإسلام والاستبداد السياسي
- الإسلام والطاقات المعطلة
- الاستعمار أحقاد وأطماع
- في موكب الدعوة
- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام
- حقيقة القومية العربية
- مع الله

- الحق المر
- قذائف الحق
- كفاح دين
- من هنا نعلم
- نظرات في القرآن
- صيحة التحذير من دعاة التنصير
- جدد حياتك
- الدعوة الإسلامية
- الطريق من هنا
- الفساد السياسي
- المحاور الخمسة للقرآن الكريم

قالوا عنه

لقد عرفتُ الشيخ منذ نحو نصف قرن، فعرفت فيه العقل الذكيّ، والقلب النقيّ، والخلق الرضيّ، والعزم الأبيّ، والأنف الحميّ. عرفتُ

الغزالي، فما عرفتُ فيه إلا الصدق في الإيمان، والسداد في القول، والإخلاص في العمل، والرشد في الفكر، والطهارة في الخلق، والشجاعة في الحق، والمعاداة للباطل، والثبات في الدعوة، والمحبة للخير، والغيرة علي الدين، والحرص علي العدل، والبغض للظلم، والوقوف مع المستضعفين، والمنازلة للجبابرة والمستكبرين، مهما أوتوا من قوة.

عرفت الشيخ الغزالي فعرفت رجلاً يعيش للإسلام، وللإسلام وحده، لا يشرك به شيئاً، ولا يشرك به أحداً، الإسلام لُحمته وسُداه، ومصبحه وممساه، ومبدؤه ومنتهاه. عاش له جندياً، وحارساً يقظاً، شاهر السلاح، فأيما عدو اقترب من قلعة الإسلام يريد اختراقها، صرخ بأعلى صوته، يوقظ النائمين، وينبِّه الغافلين.

قد تختلف مع الشيخ الغزالي في قضية أو أكثر، وقد تنقده في بعض ما ذهب إليه من آراء، ولكنك لا تستطيع أن تشكَّ في صدقه وإخلاصه وغيرته. وهو على كل حال مجتهد في فَهم دينه، وفي

خدمته بالطريقة التي يراها أصلح وأصوب، فان أصاب فله أجران، وان أخطأ فله أجر واحد.

لقد ترك الشيخ الغزالي بصمات واضحة علي العقل الإسلامي، لا يمحوها اختلاف الليل والنهار: بما ألَّف من عشرات الكتب، وما أنشأ من مئات المقالات، وما أقام من آلاف الدروس والخطب والمحاضرات، وما أُذيع له من أحاديث لا تحصر في الإذاعات والتلفازات.

وفاته

توفي يوم السبت ٩ مارس ١٩٩٦م في الرياض في السعودية أثناء مشاركته في مؤتمر حول الإسلام وتحديات العصر الذي نظمه الحرس الوطني في فعالياته الثقافية السنوية المعروفة ب (المهرجان الوطني للتراث والثقافة – الجنادرية). وأخيراً أغمد قلم كان سيفاً على أعداء الله، لم يفل له حدٌّ، طالما أرعب الملاحدة والمنافقين، وسكت لسان

ظلَّ يجلجل ويدوِّي خلال ستين عاماً، بالدعوة إلى الله، يحشد الناس ألوفاً ألوفاً في ساحته، ويجمعهم صفوفاً صفوفاً على دعوته.

مات الشيخ الغزالي، وهو في قلب المعركة لم يُلقِ السلاح، ولم يطوِ الشراع، بل ظلَّ يصارع الأمواج، ويواجه العواصف التي هبَّت من يمين وشمال علي سفينة الإسلام، تريد أن يبتلعها اليم.

فقد نشرت وكالات الأنباء أن الشيخ أصيب بأزمة قلبية حادة، وهو يحاضر في ندوة (الإسلام والغرب)، التي عقدت في الرياض. لقد سقط الفارس والسيف مصْلت في يده! وأحسبه من (الشهداء) إن شاء الله، فقد مات وهو يدعو ويدافع عن الإسلام، كما مات غريباً.

ودفن بمقبرة البقيع بالمدينة المنورة. حيث كان قد صرح قبله بأمنيته أن يدفن هناك. وقد أخبر صديقه الدكتور محمد عمر زبير، الذي حضر جنازته ودفنه بالمدينة أن قبره في موضع متميِّز، قريب جدًّا من قبر الإمام مالك، بينه وبين قبر الإمام نافع أحد القراء السبعة، رضي الله عنهم جميعاً.

مفتي الإسلام
عبدالعزيز بن باز

عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٢ ذو الحجة ١٣٣٠ هـ - ٢٢ نوفمبر ١٩١٢ / ٢٧ محرم ١٤٢٠ هـ - ١٣ مايو ١٩٩٩)، قاض وفقيه سعودي، ولد في الرياض لأسرة علم، وتلقى علومه من مشايخ بلدته وعلمائها، شغل منصب مفتي عام المملكة العربية السعودية منذ عام ١٤١٣ هـ الموافق ١٩٩٢ حتى وفاته، بالإضافة لرئاسة هيئة كبار العلماء السعودية، ورئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ورأس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ورئاسة المجمع الفقهي الإسلامي، وشغل مدير الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لخمس سنوات، حصل ابن باز على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام سنة

١٤٠٢ هـ الموافق ١٩٨٢. وبلغت مؤلفاته أكثر من ٤١ كتابًا، شملت العديد من علوم الشريعة من فقه وعقيدة وفتوى وفكر إسلامي، والعديد من الردود على المذاهب والفرق الدينية والفكرية التي نشأت سابقًا وحديثًا، هذا عدا عشرات الرسائل الصغيرة.

يعد ابن باز أحد كبار علماء السنة في عصره، وحظى بإكبار وإجلال كل مشايخ عصره في أرجاء العالم الإسلامي، أما علماء السلفية فيعتبرونه إمام عصرهم، فهذا محمد ناصر الدين الألباني يقول «هو مجدد هذا القرن»، ويقول عبد الرزاق عفيفي: «ابن باز طراز غير علماء هذا الزمان، ابن باز من بقايا العلماء الأولين القدامى في علمه وأخلاقه ونشاطه»، ويقول محمد السبيل: «الشيخ ابن باز هو إمام أهل السنة في زمانه».

وقد كان ابن باز مبصرًا في أول حياته وأصابه مرض في عينيه سنة ١٣٤٦ هـ وعمره آنذاك ستة عشر عامًا، فضعف بصره في سنة ١٣٤٦ هـ، وعمره حينذاك عشرون سنة، ثم ذهب كله في عام

١٣٥٠هـ. توفي والد ابن باز وهو صغير حيث إنه لا يذكر والده، أما والدته فقد توفيت وعمره خمس وعشرون سنة، وقد كان في صباه ضعيف البنية، ولم يستطع المشي إلا بعد أن بلغ الثالثة من عمره، وقد أجاد الكتابة والقراءة في صباه قبل أن يذهب بصره، يقول ابن باز: «أنا أقرأ وأكتب قبل أن يذهب بصري، ولي تعليقات على بعض الكتب التي قرأتها على المشايخ مثل الآجرومية في النحو، وغيرها».

نشأ ابن باز في بيئة علم شرعي، إذ كانت الرياض في ذلك الوقت بلدة علم، يسكن فيها عدد كبير من كبار العلماء وأئمة الدين، فبدأ بتلقي العلم على علماء الرياض ومكة المكرمة؛ وبدأ بدراسة وحفظ القرآن الكريم كما هي عادة علماء السلف، فحفظ القرآن قبل أن يتم مرحلة البلوغ، ثم أخذ بعدها في طلب العلم الشرعي على يد علماء بلدته الرياض.

وكان أول عمل تولاه ابن باز هو القضاء، حيث عين قاضيًا في بلدة الدلم، من عام ١٣٥٧ هـ حتى عام ١٣٧١ هـ، وفي هذه الفترة عمل

أيضًا إمامًا وخطيبًا لمسجد عمه الشيخ عبدالله المعروف بمسجد الشيخ، كما كان يقوم بالتدريس فيه حتى قبيل وفاته، وقد تتلمذ على يديه عدد من العلماء والقضاة. وفي عام ١٣٧١ هـ انتقل للتدريس في المعهد العلمي في الرياض.

ثم انتقل إلى كلية الشريعة واستمر فيها حتى عام ١٣٨١ هـ، وفي عام ١٣٨١ هـ انتقل ابن باز إلى المدينة النبوية، ليعمل نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وكان في المدينة المنورة يلقي الدروس في المسجد النبوي الشريف بين المغرب والعشاء عدا ليلة الثلاثاء، وفي عام ١٣٩٠ هـ صدر الأمر الملكي بتعيينة رئيسًا للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وفي شهر شوال من عام ١٣٩٥هـ انتقل ابن باز إلى الرياض وعين رئيسًا لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة وزير.

وقد عُين ابن باز في عام ١٣٨١ هـ نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واستمر نائبًا حتى عام ١٣٩٠ هـ، ثم بعد ذلك تولى

رئاسة الجامعة بعد وفاة رئيسها محمد بن إبراهيم آل الشيخ، من عام ١٣٩٠ هـ حتى عام ١٣٩٥ هـ، وأخذ ابن باز في تلك الفترة في التوسع نحو امتداد الدعوة إلى خارج المملكة العربية السعودية، ولم يقف نشاط الجامعة العلمي والعملي عند حدود الجامعة وحدها، بل امتد إلى مناطق كثيرة في العالم الإسلامي، فانتُدب المدرسون باسم الجامعة للتدريس في أكثر من مؤسسة علمية، أو مدرسة وجامعة أثرية، بخاصة في الهند وإفريقية وباكستان.

وفي عام ١٣٩٥ هـ صدر أمر ملكي بتعيين ابن باز في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة وزير، وظل في هذا المنصب ثمانية عشر عامًا، حتى عام ١٤١٣ هـ حيث صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب مفتي عام المملكة السعودية بالإضافة إلى رئاسة هيئة كبار العلماء، ورئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، وظل في هذا المنصب سبع سنوات، حتى وفاته في عام ١٤٢٠ هـ.

فتواه الشهيرة في تحرير الكويت

وكان من أبرز فتاوى ابن باز جواز الاستعانة بدول التحالف لتحرير الكويت في حرب الخليج الثانية، يقول ابن باز في فتواه: «وأما ما وقع من الحكومة السعودية من طلب الاستعانة من دول شتى للدفاع وحماية أقطار المسلمين لأن عدوهم لا يؤمن هجومه عليهم، كما هجم على دولة الكويت فهذا لا بأس به، وقد صدر من هيئة كبار العلماء وأنا واحد منهم، بيان بذلك أذيع في الإذاعة ونشر في الصحف، وهذا لا شك في جوازه، إذ لا بأس أن يستعين المسلمون بغيرهم للدفاع عن بلاد المسلمين وحمايتهم وصد العدوان عنهم، وليس هذا من نصر الكفار على المسلمين الذي ذكره العلماء في باب حكم المرتد، فذاك أن ينصر المسلم الكافر على إخوانه المسلمين، فهذا هو الذي لا يجوز، أما أن يستعين المسلم بكافر ليدفع شر كافر آخر أو مسلم معتد، أو يخشى عدوانه فهذا لا بأس به وقد ثبت عنه

صلى الله عليه وسلم استعان بدروع أخذها من صفوان بن أمية استعارها منه، وكان صفوان كافرًا في قتال له لثقيف يوم حنين....».

نور على الدرب

نور على الدرب، هو برنامج يومي يجيب فيه عدد كبير من العلماء وأهل الفتوى على أسئلة المستمعين، يبث البرنامج على إذاعة القرآن الكريم من الرياض المملكة العربية السعودية، مكث عبد العزيز بن باز في برنامج نور على الدرب أكثر من ٣٠ عامًا، وقد بلغ مجموع فتاوى ابن باز في البرنامج ١١.٣٠٨ فتاوى.

مراسلة الحكام والرؤساء

رسالته لحافظ أسد:

أرسل ابن باز برقية باسمه عن المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، موجهة لحافظ أسد الرئيس السوري الراحل، ونشرتها مجلة الاعتصام المصرية في يناير ١٩٨٠، قال فيها ابن باز:

لقد هال المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية المنعقد بالمدينة المنورة، والذي يحضره ممثلون من علماء المسلمين وقادة الفكر في العا لم الإسلامي ما جرى ويجري في سوريا المسلمة، من إعدام وتعذيب وتنكيل بالمسلمين الذين يطالبون بتحكيم شريعة الله في المجتمع، وذلك تحت ستار حادثة حلب، التي نقلت وكالات الأنباء والصحف العربية والعالمية أنها تمّت بين أجنحة الحزب الداخلية، بسبب ما تشعر به أكثرية المواطنين من عنت وإرهاق وإهدار للقيم في كل الميادين. على صعيد الممارسات اليومية، ونتيجة الاختلاف في نوع الانتماء والولاء الطائفي. والمفروض أن يقضى على الأسباب الجذرية للفتنة، لا أن يسار في تعميق تلك الأسباب. كما أن الواجب أن يشجع الشباب المخلصون لدينهم ولأمتهم، ويوقف ما يتخذ ضدهم وضد أسرهم من إجراءات منكرة، تفويتاً لفرصة الكيد اليهودي، وضماناً لوحدة الصف، والإفادة من كل الطاقات الخيرة في معركة المصير مع العدو المتربص، وحرصاً على أن تؤدي سورية المسلمة المعروفة بأصالتها دورها كاملًا غير منقوص في جهاد أعداء الإسلام. وقد

بات هذا الأمر آكد وآكد بعد ما ارتكبته العصابات اليهودية الحاقدة وأعوانها صباح مساء في جنوب لبنان، لأغراض معروفة. إن المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية يأسف أشد الأسف لما يجري في هذا البلد الغالي من سفك دماء الذين ينشدون ما هو واجب على كل حكومة تؤمن بالله ورسوله، من تحكيم شرع الله تعالى، والعودة إلى ما كانت به عزيزة قوية مرهوبة الجانب، حين قامت للدنيا أسمى حضارة عرفها الإنسان. ويستغرب المجلس الأعلى أشد الاستغراب أن تكون هذه الدعوة في بلد إسلامي عريق جرمًا يستوجب أهله الاعتقال والإيذاء والقتل، دون أن يسمح للمتهم بأدنى قدر من الحرية لجلاء الحقيقة. وإننا لنهيب بكم وبكل المسؤولين في كل البلاد العربية والإسلامية أن يجمعوا الصفوف على كلمة الله، وتطبيق شريعته، ويعدوا العدة، ويوحدوا القوى، في ظلال العقيدة الإسلامية، وحب الجهاد والاستشهاد، فذلك طريق النصر والفلاح. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

رسالته لعبد الناصر

لما أعدم جمال عبد الناصر سيد قطب في مصر، وذلك يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٦، وجه ابن باز رسالة إلى عبدالناصر قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى الرئيس جمال عبد الناصر، السلام على من اتبع الهدى. يقول الله عز وجل (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا). والسلام.

رسالته لبورقيبة

كان الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة قد ألقى كلمة في إحدى المناسبات، حول الثقافة الذاتية والوعي القومي، تضمن الطعن في القرآن الكريم والقول بأنه متناقض، فأرسل ابن باز رسالة قال فيها:

(نشرت صحيفة الشهاب بعدد ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٩٤ هـ، حديثًا نسب إليكم غاية في الخطورة، يتضمن الطعن في القرآن الكريم

بالتناقض، والاشتمال على الخرافات، والطعن في مقام الرسالة المحمدية العظيم، وقد أزعج ذلك المسلمين واستنكروه غاية الاستنكار، فإن كان ذلك صدر منكم فالواجب شرعاً المبادرة إلى التوبة النصوح منه، وإعلانها بطرق الإعلان الرسمية، وإلا وجب إعلان بيان رسمي صريح بتكذيبه، واعتقاد خلافه كي يطمئن المسلمون، وتهدأ ثائرتهم، من هذه التصريحات الخطيرة، ونسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، وللتوبة من جميع الآثام، سرها وجهرها، وأن يعز الإسلام وأهله وأوطانه إنه سميع مجيب).

وكان الشيخ يمكث بعد صلاة الفجر بالمسجد ليقرأ أوراد الصلاة وأذكار الصباح؛ فإذا انتهى من ذلك قام على كرسي الدرس متجهاً للقبلة والتلاميذ حوله عن اليمين والشمال، ثم يبدأ الشيخ بمخاطبة تلاميذه إما بـ«نعم» أو «سم» إشارةً منه للبدء؛ فيَشرع القارئُ بعد حمد الله بالقراءة، ويبدأ الشيخ بتعليقاته وشرحه للكتاب المقروء،

ويتخللها بعض الأسئلة الشفهية من قبل الطلبة؛ فيُجيب عليها الشيخ.

وقد كانت دروسه تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الخاص بطلبة العلم، وكان هذا القسم ينقسم إلى فترتين صباحية ومسائية، أما الصباحية: فهي فجر يوم الأحد والأثنين والأربعاء والخميس، والدروس المسائية: وهي من مغرب يوم الأحد ليلة الأثنين.

القسم الثاني: يبدأ بعد صلاة الجمعة في منزل الشيخ حيث كان يقرأ فيها عدة كتب.

القسم الثالث: وهي الدروس المقامة في مسجد اليحيي المجاور لمنزله، ووقتها يبدأ من بعد صلاة العصر وبين الآذان والإقامة من صلاة العشاء.

مواقف بارزة

كانت مواقف الشيخ في مجالسه العلمية عظيمة عظمةَ صاحبِها رحمه الله. ومن ذلك:

- في مجلس الشيخ ابن باز يتخذ الحضور أماكنهم دون تمييز، فالسابق يجلس حيث شاء، ومَن أقامه أحدٌ من موظفي الشيخ من مكانه أنزل الشيخ عليه سخطه! ومن ذلك أن وجيهاً دخل إلى مجلس ابن باز، فأراد أحد موظفيه التقرب لذلك الوجيه، فأقام أفريقياً من مكانه ليجلس ذاك فيه، فأخبر الشيخَ، فغضب وزجر موظفَه ونهره.

- كان الشيخ ابن باز رحمه الله، يعول عشرات طلاب العلم في دول العالم كافة، مع مئات الفقراء، ولم يعلم بحجمهم أحد، ولا يُعرف كثير منهم حتى اليوم! وعندما مات الشيخ ابن باز رحمه الله، أعلن أحد أكابر الوجهاء والأثرياء تحمل من كان الشيخ يعولهم، فلما تبيَّن له عددُهم ذُهل وانسحب خلسة!

- أتى شيخ من البادية وسأل ابن باز عن جواز تسميته ابنه بحنظل فقال: سمِّه عبدالله أو عبدالرحمن فقال غاضباً: لم أسألك عن رأيك! هل يجوز أم لا؟ فقال يجوز!

- أتى وجيه الشيخَ ابن باز في مسجده قبل إقامة صلاة العصر، وأعطاه قارورتَيْ عطر نفيس، فأخذهما وشكره، وأعطاهما للجالسَيْنِ بجواره من عموم طلابه!

- كان بعض الأحداث وغيرهم يأتون الشيخَ ابنَ باز فيعظونه! فيتأثر الشيخُ ويُرَى هذا في وجهه ويُكثِرُ الاستغفار، ثم يشكرهم ويدعو لهم.

- جاء صالحٌ للشيخ ابن باز زمن حرب الصرب على البوسنة، فسأله عن جواز تبرعه لهم ومقاتلوهم يشربون الخمر على الجبهات، فقال له: لا تكن عوناً على إخوانك.

- كان الشيخ ابنُ باز إذا علم بطالب علم أتاه مغترباً عرض عليه الإقامة عنده في بيته واستضافته وألحّ عليه وإن لم يكن ذا صلة سابقة بالشيخ.

- كان الشيخ ابن باز قليل الغضب، فإن غضب فلله، لا يغضب لنفسه ولو شُتم، فإذا سمع ما يكره استغفر وأكثر التسبيح وانصرف ولم يفه بحرف منكر مطلقاً.

طرائف العلماء

هذه الحكاية الطريفة عن الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ الألباني رحمهما الله: ركب أحد طلبة العلم مع الشيخ الألباني رحمه الله في سيارته وكان الشيخ يسرع في القيادة فقال له الطالب: خفف يا شيخ فإن الشيخ ابن باز يرى أن تجاوز السرعة إلقاء بالنفس إلى التهلكة. فقال الشيخ الألباني رحمه الله: هذه فتوى من لم يجرب فن القيادة. فقال الطالب: هل أخبر الشيخ ابن باز؟ قال الألباني: أخبره. فلما

حدَّث الطالب الشيخ ابن باز رحمه الله بما قال الشيخ الألباني ضحك وقال: قل له هذه فتوى من لم يجرب دفع الديات

وفاته

وفي أواخر عام ١٤١٩ هـ أخذت حالة ابن باز الصحية في التدهور، حيث كان يعاني من آلام في المريء والقلب، ما استوجب عليه أن يترك حج عام ١٤١٩ هـ الذي كان عازمًا على أدائه، ووجه بأن يقوم نائبه عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مقامه بالحج، وكان يقول: «الله المستعان سبعة وأربعون سنة متتابعة لم أترك الحج»، وفي أواخر شهر ذي الحجة أقام ابن باز في الطائف، وازداد عليه الألم، واستمر على ذلك حتى توفي في فجر يوم الخميس ٢٧ محرم ١٤٢٠ هـ الموافق ١٣ مايو ١٩٩٩ عن عمر ناهز ٨٩ عاماً، في مستشفى الملك فيصل بالطائف، ثم نقل إلى مستشفى القوات المسلحة في الهدا، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة يوم ٢٨ محرم في المسجد الحرام، حضر الصلاة عليه الملك فهد بن عبد العزيز ملك السعودية، وعبد

الله بن عبد العزيز ولي العهد آنذاك، وسلطان بن عبد العزيز النائب الثاني، ثم دفن في مقبرة العدل في مكة المكرمة، وقد صدر أمر ملكي بإقامة صلاة الغائب على ابن باز في جميع مساجد المملكة العربية السعودية بعد صلاة الجمعة.

ترك ابن باز أكثر من ٤١ مؤلفًا، اشتملت على مسائل الفتاوى والفقة والعقيدة، أبرزها:

- فتاوى نور على الدرب.
- الدروس المهمة لعامة الأمة.
- العقيدة الصحيحة وما يضادها ونواقض الإسلام.
- إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله.
- حكم السِّحر والكهانة وما يتعلق بها.
- دروس للشيخ عبد العزيز بن باز.
- العقيدة الصحيحة وما يضادها.
- الغزو الفكري ووسائله.

- منهج أهل السنة والجماعة في السمع والطاعة.
- حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض.

شيخُ الإسلامِ المالكيُّ
الطاهر بن عاشور

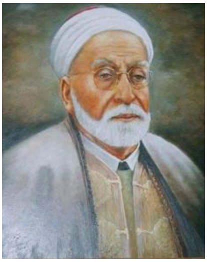

محمد الطاهر بن عاشور (١٨٧٩- ١٩٧٣) عالم وفقيه تونسي، أسرته منحدرة من الأندلس ترجع أصولها إلى أشراف المغرب الأدارسة تعلَّم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته.

كان على موعد مع لقاء الإمام محمد عبده في تونس عندما زارها الأخير في ١٩٠٣م. سمي حاكماً بالمجلس المختلط سنة ١٩٠٩ ثم قاضياً مالكياً في سنة ١٩١١. ارتقى إلى رتبة الإفتاء وفي سنة ١٩٣٢ اختير لمنصب شيخ الإسلام المالكي، ولما حذفت النظارة العلمية أصبح أول شيخ لجامعة الزيتونة وأُبعد عنها لأسباب سياسية ليعود إلى منصبه سنة ١٩٤٥ وظل به إلى ما بعد استقلال البلاد التونسية سنة

١٩٥٦. من أشهر أقرانه الذين رافقهم في جامعة الزيتونة: شيخ الأزهر الراحل محمد الخضر حسين، وابنه محمد الفاضل بن عاشور الذي كان بدوره من علماء الدين البارزين في تونس.

يُعتبر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور صاحب أسرع خُطبة جمعة في تاريخ الإسلام، حيثُ صعد على منبر جامع الزيتونة في إحدى خطب الجمعة وفي الخطبة الأولى نظر إلى المصلين وقال: "نساء شكون إليَّ في الأسواق" فلم يتكلم المصلون، ثم قالها مرة ثانية: "نساء شكون إليَّ في الأسواق" فلم يتكلم المصلون، فجلس الشيخ ثم قام وقال: "لا خير في صلاتكم ونساؤكم عرايا" ثم قال أقم الصلاة.

كان أول من حاضر بالعربية بتونس في القرن العشرين، أما كتبه ومؤلفاته فقد وصلت إلى الأربعين وهي غاية في الدقة العلمية. وتدل على تبحر الشيخ في شتى العلوم الشرعية والأدب. ومن أجلِّها كتابه في التفسير "التحرير والتنوير". وكتابه الثمين والفريد من نوعه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، وكتابه حاشية التنقيح للقرافي، و"أصول العلم

الاجتماعي في الإسلام"، والوقف وآثاره في الإسلام، ونقد علمي لكتاب أصول الحكم، وكشف المعطر في أحاديث الموطأ، والتوضيح والتصحيح في أصول الفقه، وموجز البلاغة، وكتاب الإنشاء والخطابة، شرح ديوان بشار وديوان النابغة...إلخ. ولا يزال العديد من مؤلفات الشيخ مخطوطاً منها: مجموع الفتاوى، وكتاب في السيرة، ورسائل فقهية كثيرة.

التحرير والتنوير

وقد قسمت مؤلفاته إلى قسمين منها مؤلفات في العلوم الإسلامية، وأخرى في العربية وآدابها، أعظمها تفسير التحرير والتنوير الذي فسَّر فيه الشيخ ابن عاشور القرآن الكريم تفسيراً كاملاً سماه: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، واختصر هو نفسه هذا الاسم تحت عنوان "تفسير التحرير والتنوير". ويعتبر هذا التفسير موسوعة من المعارف، وقد أتى فيه الشيخ ابن عاشور بالجديد، بحيث لم يكرِّر أقوال السابقين، بل أتى بأفكار أصيلة

واجتهادية. وقد صدر هذا العمل في مجموعة واحدة تتركب من ٣٠ جزءاً في ١٥ مجلداً بعدما نُشر جزء منه في تونس سنة ١٩٥٦، وفي القاهرة سنتي ١٩٦٥ و١٩٦٦، ثم طبعت الأجزاء منجَّمة في تونس ابتداء من سنة ١٩٦٨. وقد بذل الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور جهداً كبيراً في هذا العمل إذ تعمق في معاني القرآن وإعجازه.

خلافه مع الرئيس بورقيبة

تعرّض ابن عاشور لمحن سياسية كثيرة سواء من الاستعمار الفرنسي لبلاده، أو من السلطة التي جاءت في أعقاب إزاحة الاستعمار. وقد مرّ في عهد الرئيس التونسيّ الحبيب بورقيبة، وبالتحديد في عام ١٩٦١م بفتنة كبيرة واختبارٍ صعب، حيث إنّ الرئيس التونسي دعا العمالَ إلى الفطر في رمضان بدعوى زيادة الإنتاج، وطلب من ابن عاشور أن يفتي في الإذاعة بما يوافق ذلك، حيث ترقَّب النّاس ظهوره من خلال البثّ الإذاعيّ، ليرَوا ماذا يقول، فصرّح بما يوافق شرع الله في هذه القضية، وذكر أنّ كلّ مفطرٍ بدون عذرٍ شرعيّ، كالمرض

والسفر وما إلى ذلك من الأعذار التي حددها الشرع، يجب عليه فيها القضاء، وذكر شهود أنّه قرأ آية الصيام: "يا أيها الذين آمنوا كُتِب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" ثمّ قال بعدها: "صدق الله وكذب بورقيبة"!

محنة التَّجْنيس

لم يكن الطَّاهِر بن عاشور بَعيدًا عَن سِهَام الاستعمار والحاقدين عَلَيْهِ والمخالفين لمنهجه الإصلاحي التجديدي، فتعرض الشَّيْخ لمحنة قاسية استمرت ٣ عُقُود عرفت بمحنة التَّجْنِيس، وملخصها أَن الاستعمار الفرنسي أصدر قانونًا فِي (١٩١٠م) عرف بقانون التَّجْنِيس، يتيح لمن يرغب من التونسيين التجنس بالجنسية الفرنسية؛ فتصدى الوطنيون التونسيون لهَذَا القانون وَمنعُوا المتجنسين من الدّفن فِي الْمَقَابِر الإسلامية؛ مِمَّا أربك الفرنسيين فلجأت السلطات الفرنسية إِلَى الْحِيلَة لاستصدار فَتْوَى تضمن للمتجنسين التَّوْبَة من خلال صِيغَة سُؤال عَامَّة لَا تتَعَلَّق بالحالة التونسية توجه إِلَى الْمجْلس الشَّرْعِيّ. وَكَانَ

الطَّاهِر يتوَلَّى فِي ذَلِك الْوَقْت سنة (١٩٣٣م) رئاسة الْمجْلس الشَّرْعِيّ لعلماء الْمَالِكِيَّة فَأفْتى الْمجْلس صَرَاحَة بِأَنَّهُ يتَعَيَّن على المتجنس عِنْد حُضُوره لَدَى القَاضِي أَن ينْطق بِالشَّهَادَتَيْنِ ويتخلى فِي نفس الْوَقْت عَن جنسيته الَّتِي اعتنقها، لَكِن الاستعمار حجب هَذِه الْفَتْوَى، وبدأت حَملَة لتلويث سمعة هَذَا الْعَالم الْجَلِيل، وتكررت هَذِه الحملة الآثمة عدَّة مَرَّات على الشَّيْخ، وَهُوَ صابر محتسب.

قالوا عنه

قال عنه صديقه الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر رحمه الله: "وللأستاذ فصاحةُ منطقٍ، وبراعةُ بيانٍ، ويضيف إلى غزارة العلم وقوّة النظر: صفاءَ الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة... كنت أرى فيه لساناً لهجته الصدق،... وهمَّةً طمَّاحة إلى المعالي، وجِداً في العمل لا يَمَسه كلل، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم" انتهى.

ووصفه العلاّمة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله قائلاً: "عَلَم من الأعلام الذين يعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحِّر في العلوم الإسلامية، مستقلّ في الاستدلال، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بتحمّلها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطلاع على المنقول منها، أقْرَأ، وأفاد، وتخرَّجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي" انتهى.

توفي في تونس سنة (١٣٩٤هـ) الموافق (١٩٧٣م) عن عمر يناهز (٩٨) عاماً رحمه الله.

شيخ إسلام روسيا الحديثة

موسى جار الله

أحد أعلام القرن الرابع عشر الهجري الكبار في العالم الإسلامي وإمام الجامع الكبير في (لنينغراد) وحج وجاور بمكة ثلاث سنين.

إنه موسى جار الله التركستاني القازاني التتاري الرُّوسي (١٨٧٨ – ١٩٤٩م)، شيخ الإسلام في روسيا أيام القياصرة وبداية عهد الثورة الرُّوسية.

لما عاد جار الله من الحج إلى بلاده أنشأ مطبعة في (بتروغراد) خدم بها اللغات العربية والفارسية والتترية والتركية والروسية خدمة مفيدة. وكان يُحسن هذه اللغات، وإذا تكلم بالعربية فحديثه بالفصحى أنفةً

من العامية. ونشر كتاباً بالتركية عن علاقة المسلمين بالثورة الروسية، أغضب حكومتَها فانتزعت منه المطبعة. وقُبض عليه وسُجن.

وفى مقدمة أشهر كتبه وهو (الوشيعة في نقض عقائد الشيعة) وصفٌ لرحلته بعد ذلك، هذا موجزه:

(هاجرت من بيتي ووطني سنة ١٩٣٠ هجرة اضطرارية، وقد سُدت عليَّ طرقُ النجاة، فساقتني الأقدارُ من طريق التركستان الغربي إلى التركستان الشرقي الصيني، فالبامير، فأفغانستان، وانتهزت الفرصة للسياحة في البلاد الاسلامية. وكنت قد سحت من قبل في الهند وجزيرة العرب ومصر وكل بلاد تركيا وكل التركستان الغربي إذ أنا طالب صغير، ودامت سياحتي في تلك المرة ستة أعوام. وعدت في سياحتي الأخيرة هذه فمررت بتلك الأقطار، وزدت عليها إيران والعراق). انتهى

وبعد تمكنه من العلوم الشرعية، نشط جار الله في المجال الديني والسياسي واعتنى بترجمة ونشر الكتب الإسلامية.وقد برز نشاطه في المؤتمرات والندوات الإسلامية، ففي ١٩١٤ كان السكرتير العام للمؤتمر الإسلامي الرابع الذي عقد في مدينة سانت بطرسبرغ

الروسية. وفي ١٩١٧ شارك في مؤتمر مسلمي روسيا في موسكو وانتخب عضواً في "المجلس الإسلامي الروسي". وفي العام ذاته، وبعد اكتمال الثورة البلشفية تقلد إمامة جامع "لييننغراد"، ثم أصدر مجلة المنبر وأنشأ مدارس لتعليم التتار المسلمين.

وكان يعتبر شيخ الإسلام في روسيا في نهاية حقبة القياصرة وبداية الثورة البلشفية. لكن حكومة موسكو غضبت من جار الله بعد أن نشر كتاباً بألمانيا عام ١٩٢٣ بعنوان "نداء لبناء الأمة الإسلامية"، فاعتقلته السلطات عندما كان يغادر إلى مؤتمر في الهند، ثم أفرجت عنه وأخضعته للإقامة الجبرية سنتين في موسكو.

ولاحقاً عاد لنشاطه السياسي والديني، وفي عام ١٩٢٦ مثَّل روسيا في أول مؤتمر إسلامي تستضيفه مكة المكرمة. وفي عام ١٩٢٧ أعلن رفضه لممارسات الشيوعية ضد الفلاحين وعارض قمع الأقليات والطوائف الدينية في الاتحاد السوفياتي.

وفي عام ١٩٣٠ اضطر جار الله إلى مغادرة روسيا بعد أن حُرم من العمل وحتى من الحصول على ما يكفي عائلتَه من الطعام، فتجول في

بلدان عربية وإسلامية وأوروبية عديدة، والتقى كثيراً من العلماء والمفكرين، وأصدر العديد من الكتب.

يقول عن نفسه: "كان بوسعي أن أغدوَ كاتبَ روسيا الأول وأحدَ زعماء الطليعة فيها لو أنني تخليت عن إيماني، ولكنني آثرت أن أشتريَ الآخرةَ بالدنيا".

حاول جار الله التقريب بين السُّنة والشيعة فمكث أشهراً في إيران يحضر المناسبات الدينية ويناظر العلماء، وزار النجف في العراق للغرض ذاته لكن هذه الجهود انتهت بصدام قوي، فقد أنكر على الشيعة مسائل عديدة ألف فيها كتابه الشهير "الوشيعة في نقد عقائد الشيعة".

قالوا عنه

كتب عنه محبُّ الدين الخطيب فقال: "كان من كبار علماء مسلمي الشمال في روسيا، وقد نزح عن وطنه فراراً من وجه البلاشفة الذين

اتخذوا أسرته المؤلفة من حَرمه وستة أولاد رهينة وجردوهم من حقوقهم لأن عائلهم رفض القيام بالدعاية للبلشفية".

ووصفه محمد كرد علي في «مذكراته» فقال: «وهو من الأفراد الذين لا يُحسن بهم الدهرُ على العالم إلا في العصر بعد العصر، وحياتُهم من أولها إلى آخرها حافلة بالخير والنفع».

وقد وصفته جريدة الأهرام المصرية في ١٩٤٩/١٠/٢٦ بأنه: «كان من كبار علماء مسلمي الشمال في روسيا، وقد نزح عن وطنه فراراً من وجه البلاشفة الذين اتخذوا أسرته المؤلفة من حرمه وستة أولاد رهينة وجرَّدوهم من حقوقهم لأن عائلهم رفض القيام بالدعاية للبلشفية».

محنته ووفاته

وقد تعرض جار الله لمضايقات كثيرة واعتقله الإنجليز في الهند في خلال الحرب العالمية الثانية. وانتهى به المطاف مشرداً في دار العجزة بمصر (ملجأ العجزة) وتوفي فيه ودفن بمقابر الأسرة الخديوية في القاهرة.

مؤلفاته

خلّف التركستاني عدداً كبيراً من المؤلفات والمقالات التي كان يوقِّع عليها باسم (ابن فاطمة) ومن أهم مؤلفاته:

- تاريخ القرآن والمصاحف.
- الوشيعة في نقض عقائد الشيعة
- شرح ناظمة الزهر في عدِّ الآيات الكريمة
- نظام التقويم في الإسلام
- نظام النسيء عند العرب
- شرح بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني في الحديث الشريف
- شرح عقيلة أتراب القصائد. وهو في رسم المصاحف
- مقدمة الموافقات للشاطبي بالتركية.
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر - لابن الجزري.
- أيام حياة النبي
- صرف القرآن الكريم
- في حروف أوائل السور

- صحيفة الفرائض في علم الميراث
- الآيات في خلقة الإنسان تاريخ التشريع الإسلامي
- النقوض على تفاصيل عقود كتاب إحياء النحو
- الأحرف القرآنية وتاريخ القراءات
- حقوق النساء في الإسلام
- نظام الخلافة الراشدة الإسلامية اليوم
- رسالة تأمين الحياة والأموال والأملاك
- نظام الجامعة الإسلامية العلمية
- الأصول الجلالية
- تاريخ مصاحف الأمصار
- المعرفة هي القوة
- الأدب العربي والعلوم الإسلامية
- تاريخ القرآن والمصاحف

سفير الإسلام
أبو الحسن الندوي

أبو الحسن الندوي مفكر إسلامي وداعية هندي ولد بقرية تكية، عام ١٩١٤م وينتهي نسبه إلى عبد الله الأشتر بن محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم. هاجر جدُّه وهو الأمير قطب الدين محمد المدني (٦٧٧هـ) إلى الهند في أوائل القرن السابع الهجري.

وأبوه عبد الحي بن فخر الدين الحسني صاحب المصنَّفات المشهورة: (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر في تراجم علماء الهند وأعيانها) في ثمانية مجلدات عن أعلام المسلمين في الهند، وطبع أخيراً باسم (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام) حتى لُقِّب بابن خلّكان الهند. وأمُّه من المؤلِّفات، الحافظات للقرآن الكريم، تقرض الشعر،

وقد نظمت مجموعة من الأبيات في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بدأ تعلُّمَه للقرآن الكريم في البيتِ تُعاوِنُه أمُّه، ثم بدأ في تعلُّم اللغتَينِ الأوردية والفارسية. وتُوُفِّيَ أبوه عام ١٩٢٣م وهو دون العاشرة، فتولَّت تربيتَه أمُّه، وأخوه الأكبرُ الدكتور عبد العلي الحسني الذي كان هو الآخَرُ طالباً في كلية الطب بعد تخرُّجِه في دار العلوم ندوة العلماء ومن دار العلوم ديوبند.

ثم بدأ تعلُّمَ العربية على خليل بن محمد الأنصاري اليماني عام ١٩٢٤م وتخرَّج عليه، كما استفاد في دراسة اللغة العربية وآدابها من عمَّيهِ عزيز الرحمن ومحمد طلحة، وتوسع فيها وتخصص على الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي عند مقدِمه إلى ندوة العلماء عام ١٩٣٠م.

حضر احتفالَ ندوة العلماء بكانفور عام ١٩٢٦م، وشدَّ انتباه المشاركين في الاحتفال بكلامه العربي، واستعان به بعضُ الضيوفِ العرب في تنقُّلاتهم خارجَ مقرِّ الحفل. والتحق بجامعة لكهنؤ في القسم

العربي عام ١٩٢٧م وكان أصغرَ طُلاب الجامعةِ سِنّاً وحصل على شهادة فاضل أدب في اللغة العربية وآدابها.

قرأ في أيام دراسة اللغة العربية الأولى كتباً في اللغة الأوردية وآدابها، مِمَّا أعانه على الدعوة، وشرْح الفكرة الإسلامية، وإقناع الطبقة المثقَّفة بالثقافة العصرية. وعكف على دراسة اللغة الإنجليزية في الفترة من ١٩٢٨ إلى ١٩٣٠م مما مكَّنَه من قراءة الكتب الإنجليزية في المواضيع الإسلامية والحضارة الغربية وتاريخها وتطورها، والاستفادة منها.

التحق بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٢٩م، وحضَر دروسَ الحديث الشريف للمحدِّث حيدر حسن خان - وكان قد دَرَسَ كتاب الجهاد من صحيح مسلم على شيخه خليل الأنصاري - ولازَمَه سنتَيْنِ كاملَتَينِ فقرأ عليه الصحيحين، وسنن أبي داوود، وسنن الترمذي، وقرأ عليه دروساً في تفسير البيضاوي، وقرأ على شبلي الجيراجبوري الأعظمي بعض كتب الفقه.

تلقَّى تفسيرَ سورٍ مختارة من شيخه خليل الأنصاري، ثم تلقَّى دروساً في التفسير من عبدالحي الفاروقي، وحضر دروس البيضاوي للمحدِّث

حيدر حسن خان، ودَرَسَ التفسير لكامل القرآن الكريم - حسب المنهج الخاص للمتخرجين في المدارس الإسلامية - على أحمد علي اللاهوري في لاهور عام ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢م.

تَعيَّن مُدَرِّساً في دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٣٤م، ودرَّس فيها التفسير والحديث، والأدب العربي وتاريخه والمنطق. وتزوج عام ١٩٣٤م، وعوضه الله عن أولاده من الصلب ابنَ الأخ الداعية الكاتب محمد الحسني وأبناءَ الأخت الدعاة محمد الثاني، محمد الرابع، ومحمد الخامس وهو المعروف بواضح رشيد.

استفاد من الصُّحف والمجلات العربية الصادرة في البلاد العربية - والتي كانت تصل إلى أخيه الأكبر، أو إلى دار العلوم ندوة العلماء - مما عرَّفَه على البلاد العربية وأحوالها، وعلمائها وأدبائها ومفكِّريها. بدأ يتوسع في المطالعة والدراسة - خارجاً عن نطاق التفسير والحديث والأدب والتاريخ أيضاً - منذ عام ١٩٣٧م، واستفاد من كتب المعاصرين من الدعاة والمفكرين العرب، وفضلاء الغرب، والزعماء السياسِيِّينَ.

قام برحلة استطلاعية للمراكز الدينيَّة في الهند عام ١٩٣٩م تعرَّف فيها إلى عبدالقادر الراي بوري والداعية محمد إلياس الكاندهلوي، وبقي على صلة بهما، فتلقَّى التربيةَ الروحيةَ من الأول وتأسَّى بالثاني في القيام بواجبِ الدعوة وإصلاح المجتمع، وقضى زمناً في رحلات دعوية متتابعة للتربية والإصلاح والتوجيه الديني على منهجه، واستمرت الرحلات الدعوية - على اختلاف في الشكل والنظام - إلى مرض وفاته في ذي الحجة عام ١٤٢٠ هـ.

وقد أسَّسَ مركزاً للتعليمات الإسلامية عام ١٩٤٣م، ونظَّم فيه حلقاتِ درسٍ للقرآن الكريم والسنَّة النَّبويَّةِ فتهافتَ عليها الناسُ من الطبقة المثقفةِ والموظَّفِين الكبار. اختير عضواً في المجلس الانتظامي أو الإداري لندوة العلماء عام ١٩٤٨م، وعُيِّن نائباً لمعتمد أو وكيل ندوة العلماء للشؤون التعليمية بترشيحٍ من المعتمد سليمان الندوي عام ١٩٥١م، واختير معتمداً إثرَ وفاته عام ١٩٥٤م، ثم وقع عليه الاختيارُ أميناً عاماً لندوة العلماء بعد وفاة أخيه الدكتور عبدالعلي الحسني عام ١٩٦١م.

مؤلفاته

نُشِرَ له أوَّلُ مقالٍ بالعربية في مجلة المنار للسيد رشيد رضا عام ١٩٣١م حول حركة أحمد بن عرفان (الشهيد في بالاكوت عام ١٨٣١م)

ظهر له أوَّلُ كتاب بالأردية عام ١٩٣٨ م بعنوان سيرة سيد أحمد شهيد ونال قبولاً واسعاً في الأوساط الدينية والدعوية.

ألّف كتابَه مختارات في أدب العرب عام ١٩٤٠م، وسلسلة قصص النبيين للأطفال وسلسلةً أخرى للأطفال باسم القراءة الراشدة، في الفترة ما بين ١٩٤٢-١٩٤٤م.

بدأ في تأليف كتابه المشهور ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين عام ١٩٤٤ م، وأكمله عام ١٩٤٧م، وقد طُبِعت ترجمتُه الأوردية في الهند قبل رحلته الأولى للحج عام ١٩٤٧م.

دُعِي أستاذاً زائِراً في جامعة دمشق عام ١٩٥٦م، وألقى محاضرات بعنوان: التجديد والمجدِّدون في تاريخ الفكر الإسلامي ضُمَّت - فيما بعد - إلى كتابه رجال الفكر والدعوة في الإسلام.

ألقى محاضرات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - بدعوة من نائب رئيسها عبد العزيز بن عبدالله بن باز- عام ١٩٦٣م، طُبِعت بعنوان: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن.

سافر إلى الرياض - بدعوة من وزير المعارف السعودي - عام ١٩٦٨م للمشاركة في دراسة خطة كلية الشريعة، وألقى بها عدَّةَ محاضرات في جامعة الرياض وفي كلية المعلِّمين، وقد ضُمَّ بعضُها إلى كتابه: نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية.

ألّف - بتوجيهٍ من شيخه عبد القادر الراي بوري - كتاباً حول القاديانية بعنوان: القادياني والقاديانية عام ١٩٥٨م.

ألَّف كتابه الصِّراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية عام ١٩٦٥م، وكتابه الأركان الأربعة عام ١٩٦٧م، والعقيدة والعبادة والسلوك عام ١٩٨٠م، وصورتان متضادتان لنتائج

جهود الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية عام ١٩٨٤م، والمرتضى في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عام ١٩٨٨م. وله كتاب بعنوان: منذ خمسين عاماً أريد أن أتحدث إلى الإخوان.

وفي الصحافة شارك في تحرير مجلة الضياء العربية الصادرة من ندوة العلماء عام ١٩٣٢م، ومجلة الندوة الأوردية الصادرة منها أيضاً عام ١٩٤٠ م، وأصدر مجلة التعمير الأوردية عام ١٩٤٨م. وتولَّى كتابة افتتاحيات مجلة "المسلمون" الصادرة من دمشق في الفترة ما بين ٥٨- ١٩٥٩ م وكانت أُوْلاها هي التي نُشِرت فيما بعد بعنوان: رِدَّة ولا أبا بكر لها، كما ظهرت له مقالات في مجلة الفتح للأستاذ محب الدين الخطيب. وأشرف على إصدار جرائد ومجلات كثيرة.

ومما ناله من تقدير وتكريم أنه اختير عضواً مراسِلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٥٦م. وأدار الجلسة الأولى لتأسيس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٩٦٢م نيابةً عن رئيسها مفتي عام المملكة العربية السعودية محمد بن إبراهيم آل الشيخ - وقد حضر أولَّها الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود كما حضرها الملك

محمد إدريس السنوسي حاكم ليبيا، وشخصيات أخرى ذات شأن – وقدَّم فيها مقالَه القيِّمَ بعنوان: الإسلام فوق القوميات والعصبيات.

واختير عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ تأسيسها عام ١٩٦٢م، وظلَّ عضواً فيه إلى انحلال المجلس– وانضمام الجامعة في سلك بقية الجامعات السعودية تابعةً لوزارة التعليم العالي – قبل أعوام.

أقيمت ندوة أدبية حول حياته وجهوده الدعوية والأدبية عام ١٩٩٦م في تركيا على هامش المؤتمر الرابع للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

ومنح جائزة الشخصية الإسلامية لعام ١٩٩٨م في رمضان ١٤١٩هـ وقدم إليه الجائزة ولي العهد لحكومة الإمارات العربية المتحدة محمد بن راشد آل مكتوم.

ومنح جائزة السلطان حسن البلقية العالمية في موضوع سير أعلام الفكر الإسلامي من مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٨م.

ومنحه معهد الدراسات الموضوعية بالهند جائزة الإمام ولي الله الدهلوي لعام ١٩٩٩م – والتي تم منحها لأول مرة – وكان قد تقرر اختياره لهذه الجائزة في حياته ولكن وافته المنية قبل الإعلان الرسمي.

سفير الإسلام

كان الشيخ الندوي أحد العلماء والدعاة الأفذاذ في هذا العصر، تلقى العالم الإسلامي كتبه بالقبول، ابتداء من كتابة الفريد الشهير (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟)، وهذا الكتاب أول ما عرفه به العالم العربي، فيه نظرة تاريخية حضارية شمولية إلى الإسلام وأمته وحضارته وثقافته وتاريخه؛ فهو يرى أن العالم خسر خسارة كبيرة بتخلف المسلمين عن قيادة ركب الحضارة. حينما قاد المسلمون ركب الحضارة الإسلامية قدموا للإنسانية رسالة حضارية متوازنة، تجمع بين العلم والإيمان، بين الرقي المادي والسمو الروحي والأخلاقي. رسالة وصلت الأرض بالسماء، وجمعت بين العقل والقلب، ومزجت الروح بالمادة، ووازنت بين حق الفرد ومصلحة المجموع. ووضَح فيه كيف كانت حال أوروبا، عندما كان المسلمون في القمة كانت أوروبا في الحضيض.

كان الشيخ مقبولًا من القدماء والعصريين، ومن السلفيين، ومن الصوفية، رزقه الله القبول؛ لأنه كان رجلًا سمحًا معتدلًا وسطيًّا، حتى إنه كان مقبولًا من الهندوس أنفسهم، أعني: كان له منزلة عندهم، وحينما يتعرض المسلمون لشيء يتعلق بشريعتهم، يقف كالطود الشامخ، ويجاهد من أجل مصلحة المسلمين. كما حاول الهندوس في الهند ذات مرة، أن يعتدوا على بعض حقوق المسلمين في الأحوال الشخصية، فوقف الشيخ، ومن ورائه علماء الهند جميعًا، حتى استطاعوا أن يردوا الأمور إلى نصابها.

وكان للشيخ أبي الحسن صلة كبيرة بالعالم العربي، فهو يجيد العربية كأحد أبنائها، ويكتب بها مؤلفاته، يعني هو في العربية كالأردية - التي هي لغته الأساسية - سواء.

وكان للشيخ الندوي اهتمامه بالجانب التربوي، خصوصًا التربية الفكرية، والتربية الروحية التي سماها (ربانية لا رهبانية)، عبر عن التصوف بهذه الكلمة، فقد وجد أن كلمة (التصوف) عليها اعتراضات من كثير من الناس، فترك المصطلح المختلف فيه، وتمسَّك

بالمتَّفق عليه، وكلمة (الربانية) متَّفَقٌ عليها، فاعتمدها للتعبير عن التربية في جانبها الروحي.

قالوا عنه

لقد كان الشيخ الندوي واحدًا من الأفذاذ، الذين بعثهم الله لهذه الأمة ليجددوا لها دينها، ويعيدوا إليها يقينها، وينهضوا بها لتؤدي رسالتها، ومن حق الشيخ أبي الحسن على من يعرفه من علماء الأمة ودعاتها وأدبائها، أن يكتبوا عن الشيخ، ويجلوا مآثره وفضائله، لتعرفه أجيال الأمة الصاعدة، وتتخذ منه أسوة وإماماً. وبهذا يتواصل الأبناء والآباء، والأحفاد والأجداد، والخلف والسلف).

وصيته

وله وصية شهيرة اسمها (اسمعوها مني صريحةً أيها العرب: بالإسلام أعزَّكم الله) قال فيها:

لو جُمع لي العربُ في صعيدٍ واحد واستطعت أن أوجِّه إليهم خطاباً تسمعه آذانُهم، وتعيه قلوبُهم لقلتُ لهم: أيها السادة! إنَّ الإسلام

الذي جاء به محمد العربي هو منبع حياتِكم، ومِنْ أُفُقِه طلع صبحُكم الصادق، وأن النبي هو مصدرُ شرفِكم وسببُ ذكرِكم، وكل خير جاءكم - بل وكل خير جاء العالم - فإنَّما هو عن طريقه وعلى يديه، أبى الله أن تتشرفوا إلا بانتسابكم إليه وتمسُّكِكُم بأذياله والاضطلاع برسالته، والاستماتة في سبيل دينه، ولا رادَّ لقضاء الله ولا تبديل لكلمات الله، إن العالم العربي بحرٌ بلا ماءٍ كبحر العَروض حتى يتخذ محمداً إماماً وقائداً لحياته وجهاده، وينهض برسالة الإسلام كما نهض في العهد الأول، ويخلص العالَم المظلومَ من براثن مجانين أوروبا - الذين يأبَوْن إلا أن يَقبروا المدنيَّة ويقضوا على الإنسانية القضاء الأخير بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم - ويوجِّه العالم من الانهيار إلى الازدهار، ومن الخراب والدَّمار والفوضى والاضطراب إلى التقدم والانتظام، والأمن والسلام، ومن الكفر والطغيان إلى الطاعة والإيمان، وإنه حق على العالم العربي سوف يُسألُ عنه عند ربه فلينظر بماذا يجيب؟!

توفي رحمه الله يوم الجمعة ٢٣ رمضان ١٤٢٠هـ الموافق ٣١ ديسمبر ١٩٩٩م في قرية تكية كلان بمديرية رائ بريلي (يوبي) الهند.

مجدد الصحوة الإسلامية
أبو الأعلى المودودي

أبو الأعلى المودودي (١٩٠٣م - ١٩٧٩م) ولد في يوم الجمعة بمدينة جيلى بورة القريبة من أورنج أباد في ولاية حيدر أباد بالهند من أسرة مسلمة محافظة اشتهرت بالتدين والثقافة. لم يعلِّمه أبوه في المدارس الإنجليزية واكتفى بتعليمه في البيت. درس على يد أبيه اللغة العربية والقرآن الكريم والحديث النبوي والفقه الإسلامي وكانت أسرته أسرةَ علم وفضل.

بدأ المودودي العمل في الصحافة عام ١٣٣٧ هـ. وأصدر مجلة ترجمان القرآن عام ١٣٥١ هـ. والمجلة تصدر حتى يومنا هذا. أسس الجماعة

الإسلامية في الهند عام ١٣٦٠ هـ وقادها ثلاثين عاماً ثم اعتزل الإمارة لأسباب صحية عام ١٣٩٢ هـ وتفرغ للكتابة والتأليف.

وكان الشخص الثاني في التاريخ الذي صليت جنازته الغائبة في الكعبة المشرفة بعد الملك النجاشي.

اعتقل في باكستان ثلاث مرات وحكم عليه بالإعدام عام ١٣٧٣ هـ ثم خفف حكم الإعدام إلى السجن مدى الحياة نتيجة لردود الفعل الغاضبة والاستنكار الذي واجهته الحكومة الباكستانية آنذاك ثم اضطروا بعد ذلك إلى إطلاق سراحه. كما تعرض المودودي لأكثر من محاولة اغتيال. وهو صاحب فكرة ومشروع إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وبعد إنشائها صار عضواً في مجلس الجامعة. وكان عضواً مؤسساً في المجلس التأسيسي لرابطة العا لم الإسلامي. وله من المؤلفات الكثيرة عدها بعضهم فتجاوزت الستين كتاباً. توفي في ٣١ ذو القعدة من عام ١٣٩٩ هـ ودفن في ساحة منزله بمدينة لاهور الباكستانية.

جاء أبوه إلى هذه المدينة ليترافع في قضية حيث كان يشتغل بالمحاماة ثم أشار عليه أخوه محيي الدين الذي كان يشغل منصباً قضائياً في المدينة أن يعمل محامياً في المدينة فعاش بها أربع سنوات وولد أبو الأعلى أثناءها. وقد تأثر أبو الأعلى كثيراً بالبيئة التي نشأ فيها حيث كان شغوفاً بالمسائل الدينية التي كان أبوه على علم بها وكان يذهب بصحبته لأداء الصلوات الخمس بالمسجد بانتظام وقد حفظ الكثير من آيات القرآن الكريم وهو في الخامسة وكان يصوم وهو لم يزل صغيراً قبل سن التكليف وقد وهبه الله عز وجل القدرة على الكتابة.

وعقب وفاة والده عام ١٩١٧ أدرك أنه أصبح لا يملك إلا بناء الذات فاتجه إلى الصحافة وانضم إلى جريدة مدينة "بجنوز" عام ١٩١٨م ومنها إلى جريدة "تاج" الأسبوعية وفيها كتب افتتاحيات عديدة تتحمس للمحافظة على الخلافة الإسلامية وفي هذه الأثناء كتب كتاب "النشاطات التبشيرية في تركيا". ونتيجة احتكاكه بحركة الخلافة انتقل إلى دلهي عاصمة الهند وقابل مفتي الديار الهندية "كفاية الله" و"أحمد سعيد" وكانا من كبار جمعية العلماء في الهند، ووقع الاختيار عليه لرئاسة تحرير الصحيفة التي ستصدرها الجمعية تحت

اسم "المسلم" بين عام ١٩٢١م إلى عام ١٩٢٣م وفي عام ١٩٢٤م أُصدِرت جريدة الجمعية ورأس المودودي تحريرها حتى عام ١٩٤٨م.

خلال إقامته في دلهي تعمق المودودي في العلوم الإسلامية والآداب العربية كما تعلم الإنجليزية في أربعة أشهر بالجهد الذاتي، وحصل قراءات فاحصة للآداب الإنجليزية والفلسفة والعلوم الاجتماعية؛ الأمر الذي مكنه من إجراء المقارنة بين ما تنطوي عليه الثقافة الإسلامية وما تتضمنه الثقافية الغربية. أصدر مجلة "ترجمان القرآن" الشهرية المستقلة عام ١٩٣٢م وكان لها دور أساسي في الحركة الإسلامية في القارة الهندية. وتقابل مع الشاعر محمد إقبال الذي أقنعه بالمجيء إلى لاهور ليتعاونا معاً في بعث الإسلام وساند مسلمي الهند حتى قيام دولتهم باكستان.

في عام ١٩٢٦م وقعت اضطرابات في الهند على إثر مقتل زعيم "حركة إكراه المسلمين على اعتناق الهندوسية" المدعو "سوامي شردهانند" وواجه المسلمون هجوماً عنيفاً وكان بين الشباب المسلم الذين وقفوا في وجه الهجوم وأصدر كتابه الأول "الجهاد في الإسلام"

وفي عام ١٩٤١م قام بإنشاء الجماعة الإسلامية للدعوة لله وإقامة المجتمع الإسلامي.

وسخر قواه وجماعته لمناصرة قضية فلسطين ومع إعلان قيام دولة باكستان في ٢٨ أغسطس عام ١٩٤٧م انتقل المودودي مع زملائه إلى لاهور حيث أسس مقر الجماعة الإسلامية بها وفي يناير عام ١٩٤٨م بعد قيام باكستان بنحو خمسة أشهر. وأسس المودودي في العام ١٩٤٧ مدرسة إسلامية للاقتصاد تعمل على التخلص من الإرث البريطاني.

ألقى المودودي أول خطاب له في كلية الحقوق وطالب بتشكيل النظام الباكستاني طبقًا للقانون الإسلامي وظل المودودي يلح على الحكومة بهذا المطلب، فألقى خطابًا آخر في اجتماع عام بكراتشي في مارس عام ١٩٤٨م تحت عنوان "المطالبة الإسلامية بالنظام الإسلامي". وقبض عليه عدة مرات لأسباب مختلقة.

عقب أحداث العنف الطائفي التي اندلعت في لاهور سنة ١٩٥٣ اعتُقل المودودي وحُكم عليه سريعاً بالإعدام بتهمة التأجيج الطائفي،

إلا أنه رفض تقديم التماس يقرُ فيه بالذنب ويطلب العفو عنه. بعدها أدى الضغط الشعبي الإسلامي إلى تخفيف الحكم إلى السجن مدى الحياة، ثم لاحقاً أسقِطت التُهم عنه كلياً سنة ١٩٥٥م.

وقد أسهم المودودي في إنشاء جمعية الجامعات الإسلامية كمنظمة دائمة. وفي عام ١٣٩٩هـ مُنح جائزة الملك فيصل تقديرًا لجهوده وتضحياته في خدمة الإسلام وتبرع بها لخدمة الإسلام أيضًا. وهو أول من حصل على الجائزة وأتى بعده أبو الحسن الندوي من الهند.

وفي أبريل ١٩٧٩ ساءت حالة أبو الأعلى الصحية بسبب علة الكُلى المزمنة وزادت عليها علة في القلب، فسلم قيادة الجماعة إلى محمد طفيل وسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لتلقي العلاج حيث كان ابنه الثاني يعمل طبيباً، مواصلاً نشاطه الفكري. ثم ما لبث أن توفي يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩ بعد عدة عمليات جراحية.

مؤلفاته

وقد بلغت مؤلفات المودودي (١٢٠) مصنفًا ما بين كتاب ورسالة، ومن أبرز تلك المؤلفات:

- الجهاد في الإسلام: وكان سبب تأليفه لهذا الكتاب أن المهاتما غاندي نُقل عنه قولُه بأن الإسلام انتشر بحدِّ السيف. وخطب الإمام "محمد علي الجوهري" خطبة في الجامع الكبير بدلهي، وصدح بقولته: "ليت رجلاً من المسلمين يقوم للرد"؛ فأراد المودودي أن يكون هذا الرجل، وغربل أمهات الكتب في هذا الموضوع، وأخذ يطالع تاريخ الحروب عند جميع الشعوب قديمًا وحديثًا وكتب حلقات متواصلة في جريدة الجمعية، ثم صدرت في كتاب عام ١٩٢٨، وكان الدكتور "محمد إقبال" ينصح دائمًا الشباب المسلمين باقتناء هذا الكتاب.
- المسألة القاديانية، وكشف فيه بإيجاز عن عقائد هذه الفرقة ومخططاتها.
- دين الحق
- الجهاد في سبيل الله
- مصدر قوة المسلم
- النشاطات التبشيرية في تركيا
- تفهيم القرآن. وهو كتاب تفسير

قالوا عنه

إنني لا أعرف رجلاً أَثَّرَ في الجيل الإسلامي الجديد، فكريًّا وعمليًّا مثل المودودي، فقد قامت دعوته على أسس علميَّة، أعمق وأمتن من تلك التي تقوم عليها الدعوات سياسية، أو ردود فعل للاستعمار الأجنبي، وكانت كتاباته وبحوثه موجهة إلى معرفة طبيعة هذه الحضارة الغربية، وفلسفتها في الحياة وتحليلها تحليلاً علمياً، قلما يوجد له نظير في الزمن القريب، ولقد عرض الإسلام ونظم حياته وأوضاع حضارته وحكمة سياسته وصياغته للمجتمع والحياة، وقيادته للركب البشري والمسيرة الإنسانية في أسلوب علمي رصين، وفي لغة عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف، وتملأ الفراغ الذي يوجد في الأدب الإسلامي من زمن طويل، ومن مآثره الخالدة، أنه حارب (مُرَكَّب النقص) في نفوس الشباب الإسلامي فيما يتصل بالعقائد والأخلاق ونظام الحياة الإسلامية، وكان لكتاباته فضل كبير لإعادة الثقة إلى نفوس هؤلاء الشباب بصلاحية الإسلام لمسايرة العصر الحديث".

"المفكر المجدد، صاحب النظر العميق، والتحليل الدقيق، ناقد الحضارة الغربية على بصيرة، والداعي إلى نظام الإسلام على بينة، صاحب الكتب والرسائل التي ترجمت إلى عشرات اللغات، الذي وقف في وجه دعاة (التغريب) وأعداء (السنة)، والمنادين بنوبة جديدة (القاديانية)، و(المرتزقة) من الخرافيين والقبوريين و(مشوشي الفكر) من المقلدين الجامدين".

حبيب المسجد النبوي
أبو بكر الجزائري

أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر المعروف ب أبو بكر الجزائري. ولد في قرية ليوة القريبة من طولقة والتي تقع اليوم في ولاية بسكرة جنوب الجزائر عام ١٩٢١م، وفي بلدته نشأ وتلقى علومه الأولية، وبدأ بحفظ القرآن الكريم وبعض المتون في اللغة والفقه المالكي، ثم انتقل إلى مدينة بسكرة، ودرس على مشايخها جملة من العلوم النقلية والعقلية التي أهلته للتدريس في إحدى المدارس الأهلية.

ثم ارتحل مع أسرته إلى المدينة المنورة، وفي المسجد النبوي الشريف استأنف طريقه العلمي بالجلوس إلى حلقات العلماء والمشايخ حيث حصل بعدها على إجازة من رئاسة القضاء بمكة المكرمة للتدريس في

المسجد النبوي. فأصبحت له حلقة يدرس فيها تفسير القرآن الكريم، والحديث الشريف، وغير ذلك. عمل مدرساً في بعض مدارس وزارة المعارف، وفي دار الحديث في المدينة المنورة، وعندما فتحت الجامعة الإسلامية أبوابها عام ١٣٨٠ هـ كان من أوائل أساتذتها والمدرسين فيها، وبقي فيها حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٤٠٦ هـ. له جهود دعوية في الكثير من البلاد التي زارها. توفي في المدينة المنورة يوم الأربعاء ٤ ذو الحجة ١٤٣٩ هـ الموافق ١٥ أغسطس ٢٠١٨.

وقد درس على يد العديد من المشايخ في بلاده الجزائر وفي المدينة المنورة.

وقبل مغادرة وطنه الجزائر انخرط في المجال السياسي وشارك في حزب البيان، كما شارك في تأسيس حركة شباب الموحدين ذات التوجه الإسلامي الوحدوي، وعرف لاحقًا بمعارضته لنظام هواري بومدين. وبعد استقراره في السعودية، ركز الجزائري على الجانب العلمي دون أن يغفل الحديث في جوانب فكرية وعقدية ترتبط بالسياسة، فقد أعلن معارضته لتكفير الحكام المسلمين والخروج عليهم، ورأى أن ذلك كله لا يتحقق إلا في ضوء الكتاب والسنة والرجوع إليهما، كما أيد

انخراط الشباب العربي والإسلامي في الجهاد ضد الاحتلال السوفياتي لأفغانستان في ثمانينات القرن العشرين. ورغم كونه عالماً سلفياً من حيث الفكر والمعتقد فإن الجزائري أفتى بمشروعية النظام الديمقراطي، وقد حث الجزائريين على التصويت في بعض المناسبات الانتخابية.

عُرف أبو بكر الجزائري على نطاق واسع بحكم ممارسته للتدريس بالحرم النبوي الشريف لخمسين عامًا مما أكسب دروسه وكتبه زخمًا كبيرًا، ويُعد كتابه منهاج المسلم من أكثر مصنفاته قبولاً وانتشاراً في البلدان العربية.

اكتسب الجزائري مكانة مهمة في الوسط الأكاديمي الشرعي من خلال عمله أستاذاً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لأكثر من عشرين عامًا، وقد رفض الجزائري مجاملة القطاع المالي فحذَّر من الربا في كتابه إلى اللاعبين بالنار، كما رد على علماء الشيعة وشنَّع عليهم بخصوص استئثار آل البيت بمعارفَ نبوية وإلهية، وألف كتاباً بالخصوص عَنونه نصيحتي إلى كل شيعي.

قام بتأليف عدد كبير من المؤلفات، منها:

- رسائل الجزائري. وتبحث في الإسلام والدعوة.
- منهاج المسلم. كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات.
- عقيدة المؤمن. يشتمل على أصول عقيدة المؤمن.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير.
- المرأة المسلمة.
- الدولة الإسلامية.
- الضروريات الفقهية رسالة في الفقه المالكي.
- هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب
- كمال الأمة في صلاح عقيدتها.
- هؤلاء هم اليهود.
- التصوف يا عباد الله.
- نداءات الرحمن لأهل الإيمان.

مواقف وطرائف

كان في ما مضى للجامعة الإسلامية مخيم في زمن الحج في منى يكون فيه عدد من مدرسي الجامعة وطلابها يُلقَى فيه دروس وكلمات لتوعية الحجاج، وقد أُلقي على الشيخ أبي بكر رحمه الله سؤال عن الفرق بين

الشيوعية والرأسمالية؟ فبادر إلى الجواب قائلا: «كالفرق بين إبليس والشيطان»! ثم تكلم عن الشيوعية والرأسمالية.

حصل في سنة من السنوات في حياة الشيخ رحمه الله أنه ذكر في إحدى الإذاعات وقيل بعد ذكر اسمه: «رحمه الله»، والمألوف عند الناس أن هذا الدعاء يقال لمن يتوفى، ولشهرته وقبوله عند الناس ذُكر أن بعض الجمعيات في أمريكا صلوا عليه صلاة الغائب.

حصل فيما مضى في فترة من الزمان الافتتان بالقومية العربية والإشادة بها والانشغال فيها، وفي ذلك الوقت ألف شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله رسالته القيمة وهي: «نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع»، وقد ألقى أحد طلاب الجامعة العراقيين بمخيم الجامعة بمنى كلمة في نقد القومية العربية، وسمعت الشيخ أبا بكر رحمه الله يداعب ذلك الطالب قائلا: «نسفت قوميتنا يا ابن الرافدين»، والرافدان هما: دجلة والفرات.

وفي ملتقى في الجامعة حضره الشيخ عبدالعزيز ابن باز والشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ محمد ناصر الدين الألباني والشيخ أبو بكر الجزائري رحمهم الله، وقد بُدئ الملتقى بتلاوة آيات من أول سورة لقمان، فتكلم الشيخ أبو بكر رحمه الله على هذه الآيات، وجاء في كلامه ذكر حديث «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً»، فعلق عليه الألباني رحمه الله بقوله: هذا الحديث ضعيف، فقال الشيخ أبو بكر: أنا واعظ في المسجد النبوي، والواعظ يأتي بما يؤثر على الناس من ترغيب ترهيب.

وفي محاضرة في الجامعة أُلقي عليه بعدها أسئلة، وكان منها سؤال فيه غرابة لا أذكره، فوصف الشيخ هذا السؤال بوصف أضحك الحاضرين فقال: «هذا السؤال يضحك النمل في قراها، والنحل في خلاياها».

توفي أبو بكر الجزائري في فجر يوم الأربعاء ١٥ أغسطس ٢٠١٨ عن عمر ناهز ٩٧ عاماً، بعد صراع مع المرض وصلي عليه صلاة الجنازة بعد ظهر يوم وفاته في المسجد النبوي الشريف، ووري جثمانه الثرى في مقبرة البقيع.

بديع الزمان خادم القرآن
سعيد النورسي

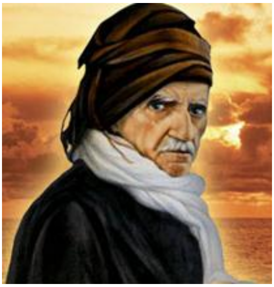

سعيد النورسي المعروف ب "بديع الزمان النورسي" عالم مسلم كردي من عشيرة أسباريت (١٨٧٧ - ١٩٦٠) وهو أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في عصره. ولد في قرية نُورْس ببلاد الأكراد في فترة "الخلافة العثمانية".

مرت حياة بديع الزمان سعيد النورسي بطورين أو كما كان يفضل أن يسميهما مرحلة "سعيد القديم" ومرحلة "سعيد الجديد":

سعيد القديم: وتمتد هذه المرحلة من ولادته ولغاية إقامته الجبرية في بارلا سنة ١٩٢٦م. ففي هذه المرحلة نلاحظ أن سعيداً حاول خدمة

الإسلام بالدخول في عالم السياسة وذلك عن طريق كتابة المقالات لرد شبهات حزب الاتحاد والترقي. أما السنون الثمانية الأخيرة من هذا المرحلة فهي تعتبر مرحلة انتقالية إلى مرحلة سعيد الجديد.

ولد سعيد النورسي في قرية نُورْس الواقعة شرقي الأناضول في تركيا عام ١٨٧٧م من أبوين صالحين كرديين كانا مضرب المثل في التقوى والورع والصلاح ونشأ في بيئة كردية يخيم عليها الجهل والفقر كأكثر بلاد المسلمين في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وإلى قريته نُورْس ينسب. واسم والده ميرزا بن علي بن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا رشان من عشيرة أسباريت. أما والدته فاسمها نورية بنت ملا طاهر من قرية "بالك" وهي من عشيرة خاكيف والعشيرتان من عشائر قبائل "الهكارية" في تركيا.

لم تكن حياة سعيد النورسي إلا ملحمة من الوقائع والأحداث التي وضع جميعها في خدمة القرآن العظيم وتفسير نصوصه وبيان مرامي آياته البينات ضمن رؤية تبلورت مع الزمن ومع أطوار رحلة العمر،

وكانت غايتها النهائية بثَّ اليقظة وإعادة الحياة والفعل للأمة الإسلامية بعد طول رقاد. وما برح سعيد أن التحق بمجموعة من الكتاتيب والمرافق التعليمية المبثوثة في تلك النواحي من حول قريته نورس. وكان يستوعب كل ما يقدم له من علم، وسرعان ما أضحى لا يجد ما يستجيب لنهمه التحصيلي في المراكز التي يقصدها؛ ومن هنا كانت إقامته في تلك المراكز ظرفية إذ كان يتوق إلى الاستزادة المعرفية الحقة. وظل يرتحل من مركز إلى مركز ومن عالم إلى آخر حتى حفظ ما يقرب من تسعين كتابًا من أمهات الكتب.

وتهيأ بعد ذلك وبفضل المحصول العلمي الجمّ الذي اكتسبه في طفولته المبكرة تلك أن يجلس إلى المناظرة ومناقشة العلماء وانعقدت له عدة مجالس تناظر فيها مع أبرز الشيوخ والعلماء في تلك المناطق وظهر عليهم جميعًا. وانتشرت شهرته في الآفاق. وفي سنة ١٨٩٧م ذهب إلى مدينة وان، وانكب فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات وعلم الفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة

والتاريخ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها فسمي ببديع الزمان اعترافًا من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع.

في هذه الأثناء نُشر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني غلادستون قد صرح في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب قائلاً: «ما دام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به».

زلزل هذا الخبر كيان بديع الزمان وأقض مضجعه فأعلن لمن حوله: «لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها» فشد الرحال إلى اسطنبول عام ١٩٠٧م وقدم مشروعًا إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول أطلق عليها اسم "مدرسة الزهراء" – على غرار جامع الأزهر – تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية الحديثة.

وفي سنة ١٩١١م سافر إلى دمشق والتقى برجالاتها وعلمائها وبسبب ما لمسوا فيه من علم ونجابة استمعوا إليه في الجامع الأموي الشهير بدمشق وهو يخطب في الآلاف من المصلين خطبة حفظها لنا الزمن واشتهرت في تراثه "بالخطبة الشامية". وكانت تلك الخطبة برنامجًا سياسيًا واجتماعيًا متكاملاً للأمة الإسلامية.

وباندلاع الحرب العالمية الأولى كان طبيعيًا أن يهبَّ بديع الزمان في طليعة المجاهدين فشكل فرقاً فدائية من طلابه واستمات معهم في الدفاع عن حمى الوطن في جبهة القفقاس وجرح في المعارك مع الروس وأُسر واقتيد شبه ميت إلى "قوصتورما" من مناطق سيبيريا في روسيا حيث قضى سنتين وأربعة أشهر، وهيأ له الله أثناء الثورة البلشفية الانفلات فعاد إلى بلاده في ١٩ رمضان ١٩١٨م واستُقبل استقبالاً رائعاً من قِبل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية ومُنح وسام الحرب. وكلفته الدولة بتسلُّم بعض الوظائف التي رفضها جميعًا إلا ما عينته له القيادة العسكرية من عضوية في "دار

الحكمة الإسلامية" التي كانت لا توجَّه إلا لكبار العلماء فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته باللغة العربية منها: تفسيره القيم "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" الذي ألفه في خضم المعارك و"المثنوي العربي النوري".

وبعد دخول الغزاة اسطنبول في ١٣ نوفمبر عام ١٩١٩م أحس سعيد النورسي أن طعنة كبيرة وجهت إلى العالم الإسلامي فكان حتماً أن يقف في طليعة من يتصدى للقهر والهزيمة فسارع إلى تحرير كتيب "الخطوات الست" حرك به همة مواطنيه ووضع تصوره لرفع المهانة وإزالة عوامل القنوط التي ألحقتها الهزيمة بالدولة العثمانية والمسلمين عامة. وفي هذه الفترة وُضعت قوانين واتُخذت القرارات لقلع الإسلام من جذوره في تركيا وإخماد جذوة الإيمان في قلب الأمة التي رفعت راية الإسلام طيلة ستة قرون من الزمن فأُلغيت السلطنة العثمانية في الأول من نوفمبر عام ١٩٢٢م وأعقب ذلك إلغاء الخلافة الإسلامية في ٣ مارس عام ١٩٢٤م. ولم ينجُ بديع الزمان من شرارة الفتن

والاضطرابات فنفي مع الكثيرين إلى بوردو ووصل إليها في شتاء عام ١٩٢٦م. ثم نفي وحده إلى ناحية نائية وهي بارلا جنوب غربي الأناضول. ويقول عن نفسه في هذه الفترة:

«صرفت كل همي ووقتي إلى تدبّر معاني القرآن الكريم. وبدأت أعيش حياة سعيد الجديد فأخذتني الأقدار نفيًا من مدينة إلى أخرى وفي هذه الأثناء تولَّدت من صميم قلبي معاني جليلة نابعة من فيوضات القرآن الكريم أمليتها على من حولي من الأشخاص تلك الرسائل التي أطلقت عليها رسائل النور».

وهكذا استمر النورسي على تأليف رسائل النور حتى عام ١٩٥٠م، وهو يُنقل من سجن إلى آخر ومن محكمة إلى أخرى وهكذا طوال ربع قرن من الزمن لم يتوقف خلاله عن التأليف والتبليغ حتى أصبحت أكثر من ١٣٠ رسالة جُمعت تحت عنوان كليات رسائل النور ولم يتيسر لها الطبع في المطابع إلا بعد عام ١٩٥٤م. وكان النورسي يشرف بنفسه على الطبع حتى أكمل طبع الرسائل جميعها.

وكانت تدور مواضيعها حول تفسير آيات القرآن بأسلوب علمي عصري وكان من أقواله:

«ان الدين هو ضياء القلوب أما العلوم الحديثة فهي نور العقول».

وفي مرحلته الثانية (سعيد الجديد) نرى أن سعيداً الجديد قد طلّق الحياة السياسية تحت شعاره المعروف (أعوذ بالله من الشيطان والسياسية)، وأخذ على عاتقه مسألة (إنقاذ الإيمان)، في تركيا وذلك بعد أن أيقن استحالة خدمة الإسلام بالدخول في معترك السياسة ودهاليزها وصراعاتها العقيمة خاصة بعد أن أغلقت المدارس الدينية والجوامع والمساجد؛ فصرف اهتمامه إلى النواحي الإيمانية والقضايا الاعتقادية ففوَّت على أعداء الإسلام كل فرصة أو حجة للوقوف أمام نشاطه. وبالرغم من أنه قُدِّم إلى المحاكم ست مرات فإن هذه المحاكم لم تكن تجد أي دليل ملموس على أنه يقوم بشيء مخالف للنظام أو الأمن.

يقول جمال الدين فالح الكيلاني: "كرَّس النورسي حياته بعد تحوله الحاسم إلى "سعيد الجديد" للقيام بمشروعٍ سماه "إنقاذ الإيمان وخدمة القرآن". يقوم المشروع على تحويل إيمان الناس من مجرد إيمان تقليدي موروث إلى إيمان تحقيقي مشهود، كما يقوم مشروعه في شِقِّه الآخر على تبيان "حقائق" القرآن للناس وأبرزها التوحيد والنبوة والحشر".

توفي سعيد النورسي في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٩٦٠م، ودفن في مدينة أورفة. ولكن السلطات العسكرية الحاكمة لتركيا لم تدعه في قبره إذ قاموا بعد أربعة أشهر من وفاته بهدم القبر ونقل رفاته بالطائرة إلى جهة مجهولة وبعد أن أعلنوا منع التجول في مدينة أورفة. فأصبح قبره مجهولاً حتى اليوم لا يعرفه الناس.

وللنورسي مؤلفات عديدة منها:

- رسائل النور.
- المثنوي العربي النوري.
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز.

- الكلمات.
- اللمعات.
- الشعاعات.
- المكتوبات.
- المحاكمات.
- سيرة ذاتية.
- قطوف من أزاهير النور.(من كليات رسائل النور).
- الآية الكبرى.
- الملاحق.
- صيقل الإسلام.

رئيس علماء الهند
سليمان الندوي

سيد سليمان الندوي رئيس علماء الهند، ورئيس المجمع الإسلامي العريق (دار المصنفين) لكناو، ومؤسس مجلة (معارف) العلمية الشهيرة، الإمام العلامة المؤرخ اللغوي الأديب المحقق الجليل السيد سليمان الندوي الحنفي النقشبندي المجددي (١٣٠٢ - ١٣٧٣هـ)، من أبرز تلامذة وخلفاء حكيم الأمة المحمدية مولانا أشرف على العمري التهانوي (١٢٨٠ - ١٣٦٢هـ) ومن كبار علماء الشريعة الإسلامية وعلومها ومعارفها وآدابها في شبه القارة الهندية. نشأ في أسرة عريقة من أسر السادات، فيتصل نسبه من جهة أبيه إلى الإمام

موسى الرضا ومن جهة الأم إلى الإمام زيد. ذكر الأستاذ غلام محمد في كتابه (تذكرة سليمان) بلغة أوردية أنه قد سمع من العلامة الندوي أن أجداده نزحوا من الجزيرة العربية قبل مائتي ٢٠٠ عام حتى وصلوا إلى سواحل السند، ولكن السيد الأستاذ أبا عاصم زوج كريمة العلامة وابن أخيه يذكر أن هذه الرواية مجافية للصواب والحقيقة أنهم كانوا في واسط ثم انتقلوا إلى مشهد إيران ثم نزحوا إلى هراة وأخيراً استقر بهم المقام في الهند.

ولد في قرية دسنه من أعمال محافظة بتنه (بهار) في يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر ١٨٨٤ فأسماه جده أنيس الحسن وكانت الكنية شائعة بين أفراد أسرته فأخوه أبو حبيب وأحد أعمامه أبو تراب وآخر أبو حبيب فكني هو بأبي نجيب.

تلقى تعليمه الابتدائي في قريته فحفظ القرآن الكريم وقرأ الكتب الأوردية والفارسية كعادة أهل بلاده ثم انضم إلى حلقة أخيه فتعلم على يديه اللغة العربية ثم التحق بمدرسة صغيرة في إسلام بور زاوية

مجيبي. وفي عام ١٩٠١ التحق بدار العلوم ندوة العلماء وظل بها سبع سنوات حتى حصل على شهادة التخرج ١٩٠٧ حين أراد والده أن يتوجه لدراسة الطب العربي القديم كي يزاول مهنة آبائه وأجداده ولكنه لم يكن راغباً في ذلك وكان أستاذه شبلي نعماني يلمس استعداداته ويرى أن يتفرغ للتحقيقات العلمية فكتب إلى والده في ذلك فاستجاب إلى رغبته وكان يتقن اللغة العربية والفارسية بالإضافة إلى الأوردية كما تعلم العبرية على يد أستاذ يهودي إبان عمله في كلية بونا التابعة لجامعة تومباي.

في الفترة من ١٩٠٧م إلى ١٩٢٩م برز نشاط العلامة الندوي السياسي والعلمي والأدبي وكان أول عمل أسند إليه وظيفة أستاذ الأدب العربي بجامعة (ندوة العلماء) الإسلامية العالمية (تأسست ١٣١٠هـ)، مع احتفاظه بمنصب نائب مديرها، وإلى جانب ذلك كان مديراً لمجلة البيان الشهرية التي كانت تصدر باللغة العربية. وفي

عام ١٩٠٧م كتب سلسلة من المقالات حول شجاعة نساء الإسلام طبعت عدة مرات وترجمت إلى الإنكليزية.

وفي عام ١٩١٠م صنف قاموساً صغيراً للألفاظ الجديدة والاستعمالات العربية الحديثة وقدمه للعلامة المحقق الجليل السيد محمد رشيد رضا الحسيني (١٢٨٣ - ١٣٥٤هـ) تلميذ وخليفة مفتي الديار المصرية الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده الحنفي (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ)، فحاز إعجابه واستحسانه، وهذا عمل تظهر قيمته بالنسبة للمهتمين بالدراسات العربية في شبه القارة الهندية. وفي هذه الأثناء كان شبلي النعماني قد أنشأ شعبة خاصة لتدوين وترتيب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فانضم إليها. في عام ١٩١٣م اشترك في تحرير الهلال مع أبو الكلام آزاد وكتب عدة مقالات ألهبت شعور المسلمين ضد المستعمر الإنكليزي.

وعند وفاة أستاذه شبلي النعماني كان يعمل بالكلية الحكومية في (بونا) فترك العمل فيها وانتهى من تأليف كتابه تاريخ (أرض القرآن)

وتعاون مع مسعود الندوي في تأسيس المجمع العلمي الإسلامي: (دار المصنفين) وظل يعمل فيها لمدة اثنتين وعشرين عاماً حتى أصبحت محط أنظار العلماء والباحثين والمفكرين وكبار الزعماء السياسيين. وفي عام ١٩١٩م ساهم بدور كبير في حركة الخلافة وانتخب عضواً في الوفد الذي سافر إلى أوروبا تحت رئاسة الزعيم السياسي المجاهد الجليل مولانا محمد علي جوهر (١٨٧٨ - ١٩٣١م) دفين بيت المقدس - فلسطين.

وفي يونيو ١٩٥٠م بعد تقسيم الهند بثلاث سنوات نزح إلى باكستان وتوفي في كراتشي في غرة ربيع الآخر عام ١٣٧٣هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٩٥٣م ودفن بها.

ومن أهم مؤلفاته:

- السيرة المحمدية، في سبعة (٧) أجزاء.
- تاريخ أرض القرآن.
- خطبات مدراس.

- سيرة أم المؤمنين عائشة.
- العلاقة العربية الهندية.
- الإمام عمر الخيام.
- حياة شبلي.
- خطبات أحمدية.
- الملاحة العربية والاكتشافات البحرية.
- قاموس في ألفاظ اللغة العربية.
- نساء الإسلام.
- تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها.

وقد قال عنه الباحث الباكستاني مسعود الندوي: (الفضل في نشر معارف السنة النبوية والدفاع عن حظيرة الدين الحق يرجع إلى العا لم الأكبر الأستاذ المحقق السيد سليمان الندوي صاحب مجلة (معارف) الشهيرة ورئيس جمعية (دار المصنفين) والمشرف على (دار العلوم) التابعة لندوة العلماء، وفي لكناو لا يختلف اثنان أن السيد سليمان

الندوي إمام الدفاع الإسلامي وبطله المغوار فإن مؤلفاته العلمية المستفيضة من عيون الكتاب والسنة أثرت تأثيراً بالغاً في تكوين عقائد المسلمين وتقويم أفكارهم).

كما قال عنه أيضاً العالم الهندي حكيم الأمة المحمدية مولانا أشرف علي التهانوي: (يتشابه شبلي النعماني وسليمان الندوي تشابه ابن تيمية وصاحبه ابن القيّم).

وقال سماحة المفكر شيخ الإسلام أبي الحسن الندوي: (كان السيد سليمان الندوي راسخاً في العلوم العربية وآدابها، عالي الكعب، دقيق النظر في علوم القرآن وعلم التوحيد والكلام، واسع الاطلاع، غزير المادة في التاريخ، وعلم الاجتماع والمدنية، منشِئاً، صاحب أسلوب أدبي في اللغة الأردية، كاتباً مترسلاً في اللغة العربية، شاعراً مقلاً في اللغتين، مع إحسان وإجادة).

فقيه السُّنة

سيد سابق

السيد سابق (١٩١٥- ٢٠٠٠) صاحب كتاب فقه السنة الشهير وأحد علماء الأزهر تخرج في كلية الشريعة. من مواليد محافظة المنوفية مركز الباجور قرية إسطنها في يناير عام ١٩١٥م. بدأ يكتب في مجلة أسبوعية مقالة مختصرة في فقه الطهارة، معتمدًا على كتب فقه الحديث وهي التي تعنى بالأحكام، مثل سبل السلام للصنعاني شرح (بلوغ المرام) للحافظ ابن حجر، ومثل نيل الأوطار للشوكاني شرح (منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار) لابن تيمية الجد ومستفيدًا من كتاب (الدين الخالص) للعلامة الشيخ محمود خطاب

السبكي، ومن غير ذلك من المصادر المختلفة، مثل المغني لابن قدامة، وزاد المعاد لابن القيم، وغيرهما.

عين مديرًا لإدارة الثقافة في وزارة الأوقاف، في عهد وزير الأوقاف المعروف الشيخ أحمد حسن الباقوري وظل الشيخ مرموق المكانة في وزارة الأوقاف، حتى جاء عهد وزيرها المعروف الدكتور محمد البهي، فساءت علاقته بالشيخين الغزالي وسابق، رغم أنها كانت من قبل علاقة متينة، وقد نقل الشيخان إلى الأزهر، لإبعادهما عن نشاطهما المعهود، وإطفاءً لجذوتهما، وقد بقيا على هذه الحال، حتى تغير وزير الأوقاف. وانتقل الشيخ في السنين الأخيرة من عمره إلى (جامعة أم القرى) بمكة المكرمة، سعيدًا بمجاورة البيت الحرام، وفي سنة ١٤١٣ هـ حصل الشيخ على جائزة الملك فيصل في الفقه الإسلامي مشاركةً.

منهجه

اعتمد الشيخ سيد منهجًا يقوم على طرح التعصب للمذاهب مع عدم تجريحها، والاستناد إلى أدلة الكتاب والسنة والإجماع، وتبسيط

العبارة للقارئ بعيدًا عن تعقيد المصطلحات، وعمق التعليلات، والميل إلى التسهيل والتيسير على الناس، والترخيص لهم فيما يقبل الترخيص، وحتى يحبَّ الناسُ الدين ويُقبلوا عليه، كما يحرص على بيان الحكمة من التكليف، اقتداءً بالقرآن في تعليل الأحكام.

وكان من التسهيل الذي اتبعه في منهجه الذي ارتضاه في كتابة الفقه البعد عن ذكر الخلاف إلا ما لا بد منه، فيذكر الأقوال في المسألة، ويختار الراجح أو الأرجح في الغالب، وأحيانًا يترك الأمر دون أن يرجح رأيًا، حيث لم يتضح له الراجح، أو تكافأت عنده الأقوال والأدلة، فيرى من الأمانة أن يدع الأمر للقارئ يتحمل مسئولية اختياره، أو يسأل عالماً آخر، وهذا ما لا يسع العالمَ غيرُه.

فقه السُّنة

كتب الكثير من الكتب وأهم كتاب له على الإطلاق هو كتاب فقه السُّنة الذي سَدَّ فراغًا في المكتبة الإسلامية في مجال فقه السنة، الذي لا يرتبط بمذهب من المذاهب، ولهذا أقبل عليه عامة المثقفين الذين لم

ينشؤوا على الالتزام بمذهب معين أو التعصب له، وكان مصدرًا سهلاً لهم يرجعون إليه كلما احتاجوا إلى مراجعة مسألة من المسائل. وقد انتشر الكتاب انتشارًا، وطبعه بعض الناس بدون إذن مؤلفه مرات ومرات، كما يفعلون مع غيره من الكتب التي يطلبها الناس. كما تطوع أشهر علماء التخريج في العصر الحديث (الشيخ محمد ناصر الدين الألباني) بتخريج أحاديث الكتاب، وخرَّج أحاديث معظم الجزء الأول فقط حتى نهاية باب الصوم، ولم يكمل رحمه الله تخريج بقية الأجزاء، ومعروف أن علماء التخريج لا يهتمون بتخريج أحاديث كتاب إلا إذا كان له قيمة علمية كبرى.

مع الألباني

قال الشيخ الألباني في مقدمة كتابه "تمام المنة عن كتاب فقه السنة":

(أما بعد، فإن كتاب فقه السنة للشيخ سيد سابق من أحسن الكتب التي وقفتُ عليها مما ألف في موضوعه، في حسن تبويب، وسلاسة أسلوب، مع البعد عن العبارات المعقدة التي قلما يخلو منها كتاب

من كتب الفقه، الأمر الذي رغب الشباب المسلم في الإقبال عليه والتفقه في دين الله به، وفتح أمامهم آفاق البحث في السُّنة المطهرة، وحفزهم على استخراج ما فيها من الكنوز والعلوم التي لا يستغني عنها مسلم أراد الله به خيرا كما قال صلى الله عليه وآله: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.

ولقد كان صدور هذا الكتاب – فيما أرى – ضرورة من ضرورات العصر الحاضر، تبين فيه لكثير من المسلمين أن لا نجاة مما هم فيه من الانحراف والاختلاف والانهيار وتغلب الكفار والفساق عليهم إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، يأخذون منها فقط ومن القرآن أمور دينهم ومسائل فقههم، فكان لهذا لا بد لعامتهم من مصدر قريب التناول، يمكن الاعتماد عليه، والرجوع إليه حين يقتضيهم الأمر، ويغنيهم عن المراجعات الكثيرة في الموسوعات العديدة من أجل مسائل قليلة أو كثيرة. فكان أن ألهم الله تعالى الأستاذ السيد سابق فأخرج لهم هذا الكتاب "فقه السنة" فقرب لهم

الطريق وأنار لهم السبيل جزاه الله خيرا.. من أجل ذلك كنت ولا أزال أحض على اقتنائه والاستفادة مما فيه من السنة والحق – ومنذ صدور الجزء الأول منه من الحجم الصغير القديم – كلَّ راغب في السنة وناصر للحق، حتى انتشرت نسخه بين صفوف إخواننا السلفيين وغيرهم في دمشق وغيرها من البلاد السورية وغيرها...).

صلابة في الحق

يُروى أنه بعد إبعاد زميله الشيخ محمد الغزالي عن الخطابة في مسجد عمرو بن العاص بمصر القديمة وتعيينه خلفًا للشيخ الغزالي، ظنَّ الناس أن الشيخ سيد سابق سيداهن في خطبه، بعد أن غضب الحاكم على سلفه الشيخ الغزالي، فما كان من الشيخ سيد سابق، إلا أن جعل الخطبة عن شروط الحاكم المسلم، وذكر فيها ثلاثة عشر شرطاً بأدلتها الشرعية وشواهدها التاريخية، فكانت خطبة جامعة مانعة، عقَّب عليها أحد المشايخ الحاضرين بقوله: لقد قال الشيخ سيد سابق في خطبته كل شيء ولم يؤخذ عليه شيء.

مواقف وطرائف

كان الشيخ سيد سابق رجلاً مشرق الوجه، مبتسم الثغر، فكه المجلس، حاضر النكتة، ومما يحكى عنه أنهم حين قبضوا عليه في قضية مقتل النقراشي، وسألوه عن (محمد مالك) الذي ضخمت الصحافة دوره، واعتبروه أكبر إرهابي، وقد اختفى ولم يعثروا عليه فلما سألوا الشيخ: هل تعرف شيئًا عن مالك؟ قال: كيف لا أعرفه وهو إمام من أئمة المسلمين، وهو إمام دار الهجرة رضي الله عنه؟! قالوا: يا خبيث، نحن لا نسألك عن الإمام مالك، بل عن مالك الإرهابي: قال: أنا رجل فقه أعرف الفقهاء ولا أعرف الإرهابيين.

في أم القرى

انتقل الشيخ في السنين الأخيرة من عمره إلى (جامعة أم القرى) بمكة المكرمة، سعيدًا بمجاورة البيت الحرام، مع نخبة من أجلاء علماء الأزهر، الذين كان لهم دور يذكر ويشكر في ترسيخ جامعة أم القرى

ورفع دعائمها، وتعليم أبنائها. وفي سنة ١٤١٣ هـ حصل الشيخ على جائزة الملك فيصل في الفقه الإسلامي.

توفي يوم الأحد ٢٧ فبراير ٢٠٠٠ م عن عمر يناهز ٨٥ سنة ودفن بمدافن عائلته بقرية إسطنها حيث مسقط رأسه.

لقد رحل الشيخ سيد سابق تاركًا وراءه علمًا نافعًا، وتلاميذ بررة يدعون له بالمغفرة والرحمة، وذكرا طيبًا هو عمر آخر للإنسان بعد عمره القصير. رحم الله شيخنا الشيخ سيد سابق، وتقبله في الصالحين من عباده، وجزاه عن العلم والإسلام والأمة ما يجزي العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

صاحب المنار
محمد رشيد رضا

محمد رشيد بن علي رضا ولد ٢٣ سبتمبر ١٨٦٥ في قرية القلمون (لبنان)، وتوفي بمصر في ٢٢ أغسطس ١٩٣٥م.

كان أبوه "علي رضا" شيخًا للقلمون وإمامًا لمسجدها، فعُني بتربية ولده وتعليمه. حفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ثم انتقل إلى طرابلس، ودخل المدرسة الرشيدية الابتدائية، ثم المدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس التي كانت تهتم بتدريس اللغة العربية والعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية، وقد أسّس هذه المدرسة وأدارها الشيخ حسين الجسر، وحين أُغلقت المدرسة، توثقت صلة رشيد رضا بالشيخ الجسر، واتصل بحلقاته

ودروسه، حيث أحاط الشيخ الجسر "رشيد رضا" برعايته، ثم أجازه سنة ١٨٩٧ لتدريس العلوم الشرعية والعقلية والعربية، وفي الوقت نفسه درس "رشيد رضا" الحديث على يد "محمود نشابة" وأجازه أيضًا لرواية الحديث، كما واظب على حضور دروس نفر من علماء طرابلس مثل: الشيخ عبد الغني الرافعي، ومحمد القاوجي، ومحمد الحسيني، وغيرهم.

ويعتبر محمد رشيد رضا مفكرًا إسلاميًا من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وبالإضافة إلى ذلك، كان صحفيا وكاتبا وأديبا لغويا. هو أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده. أسس مجلة المنار على نمط مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها الإمام محمد عبده.

اتخذ رشيد رضا من قريته الصغيرة ميدانًا لدعوته الإصلاحية فكان يلقي الدروس والخطب في المسجد بطريقة سهلة بعيدة عن السجع الذي كان يشيع في الخطب المنبرية آنذاك- ويختار آيات من القرآن

يحسن عرضها على جمهوره، ويبسط لهم مسائل الفقه، ويحارب البدع التي كانت شائعة بين أهل قريته.

وكان يذهب إلى الناس في تجمعاتهم في المقاهي التي اعتادوا على الجلوس فيها لشرب القهوة والنارجيلة ولم يخجل من جلوسه معهم ووعظهم وحثهم على الصلاة، وقد أثمرت هذه السياسة المبتكرة حين أقبل كثير منهم على أداء الفروض والالتزام بالشرع والتوبة والإقبال على الله- كما وبعث إلى نساء القرية من يدعوهن إلى درس خاص بهن، وجعل مقر التدريس في دار الأسرة، وألقى عليهن دروسًا في الطهارة والعبادات والأخلاق، وشيئًا من العقائد.

مع الإمام محمد عبده

في الفترة التي كان يتلقى فيها رشيد رضا دروسه في طرابلس كان الشيخ محمد عبده قد نزل بيروت للإقامة بها، وكان محكومًا عليه بالنفي بتهمة الاشتراك في الثورة العرابية، وقام بالتدريس في المدرسة السلطانية ببيروت، وإلقاء دروسه التي جذبت طلبة العلم بأفكاره

الجديدة، وكان الشيخ محمد عبده قد أعرض عن السياسة، وركز في التربية والتعليم.

وعلى الرغم من طول المدة التي مكثها محمد عبده في بيروت فإن الظروف لم تسمح لرشيد رضا بالانتقال إلى المدرسة السلطانية والاتصال به مباشرة، ثم التقى به مرتين في طرابلس حين جاء إلى زيارتها تلبية لدعوة كبار رجالها، وتوثقت الصلة بين الرجلين وازداد تعلق رشيد رضا بأستاذه.

مع الأفغاني

حاول رشيد رضا الاتصال بجمال الدين الأفغاني والالتقاء به، لكن جهوده توقفت عند حدود تبادل الرسائل وإبداء الإعجاب وكان جمال الدين في الآستانة يعيش تحت رقابة الدولة حتى وفاته سنة (١٣١٤ هـ = ١٨٩٧م) دون أن تتحقق أمنية رشيد رضا في رؤيته والتلمذة على يديه.

في مصر

لم يجد رشيد رضا مخرجًا له في العمل في ميدان أفسح للإصلاح سوى الهجرة إلى مصر والعمل مع محمد عبده تلميذ الأفغاني، فنزل الإسكندرية في مساء الجمعة (٣ من يناير ١٨٩٨م)، وبعد أيام قضاها في زيارة بعض مدن الوجه البحري نزل القاهرة واتصل على الفور بمحمد عبده، وبدأت رحلة جديدة لرشيد رضا كانت أكثر إنتاجًا وتأثيرًا في تفكيره ومنهجه الإصلاحي. ودارت مناقشات طويلة بين الإمامين حول سياسة الصحف وأثرها في المجتمع وأقنع التلميذ شيخه بأن الهدف من إنشائه صحيفة هو التربية والتعليم ونقل الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والخرافات والبدع وأنه مستعد للإنفاق عليها سنة أو سنتين دون انتظار ربح منها.

مجلة المنار

صدر العدد الأول من مجلة المنار في (مارس ١٨٩٨م)، وحرص رشيد على تأكيد أن هدفه من المنار هو الإصلاح الديني والاجتماعي

للأمة، وبيان أن الإسلام يتفق والعقل والعلم ومصالح البشر، وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام وتفنيد ما يعزى إليه من الخرافات.

أفردت المجلة إلى جانب المقالات التي تعالج الإصلاح في ميادينه المختلفة بابًا لنشر تفسير الشيخ محمد عبده، إلى جانب باب لنشر الفتاوى والإجابة على ما يرد للمجلة من أسئلة في أمور اعتقادية وفقهية، وأفردت المنار أقسامًا لأخبار الأمم الإسلامية، والتعريف بأعلام الفكر والحكم والسياسة في العالم العربي والإسلامي، وتناول قضايا الحرية في المغرب والجزائر والشام والهند. ولم تكد تمضي خمس سنواتٍ على صدور المجلة حتى أقبل عليها الناس وانتشرت انتشاراً واسعاً في العالم الإسلامي واشتهر اسم صاحبها حتى عُرف باسم رشيد رضا صاحب المنار.

منهجه في الإصلاح

كتب رشيد مئات المقالات والدراسات التي تهدف إلى إعداد الوسائل للنهوض بالأُمة وتقويتها وخص العلماء والحكام بتوجيهاته.

واقترح رشيد رضا لإزالة أسباب الفرقة بين المسلمين تأليف كتاب يضم جميع ما اتفقت عليه كلمة المسلمين بكل فرقهم في المسائل التي تتعلق بصحة الاعتقاد وتهذيب الأخلاق وإحسان العمل والابتعاد عن مسائل الخلاف بين الطوائف الإسلامية الكبرى كالشيعة، وإرسال نسخ بعد ذلك من الكتاب إلى جميع البلاد الإسلامية وحث الناس على دراستها والاعتماد عليها. كما طالب كذلك بتأليف كتب تهدف إلى توحيد الأحكام، حيث يقوم العلماء بوضع هذه الكتب على الأسس المتفق عليها في جميع المذاهب الإسلامية وبما يتفق مع متطلبات العصر، ثم تُعرض على سائر علماء المسلمين للاتفاق عليها والتعاون في نشرها وتطبيق أحكامها.

التربية والتعليم

حدد "رشيد رضا" العلوم التي يجب إدخالها في ميدان التربية والتعليم لإصلاح شئون الناس، ودفعهم إلى مسايرة ركب العلم والعرفان، مثل: علم أصول الدين، علم فقه الحلال والحرام والعبادات، التاريخ،

الجغرافيا، الاجتماع، الاقتصاد، التدبير المنزلي، حفظ الصحة، لغة البلاد، والخط.

كما أنشأ مدرسة دار الدعوة والإرشاد لتخريج الدعاة المدربين لنشر الدين الإسلامي، وجاء في مشروع تأسيس المدرسة أنها تختار طلابها من طلاب العلم الصالحين من الأقطار الإسلامية، ويُفضل من كانوا في حاجة شديدة إلى العلم كأهل جاوة والصين، وأن المدرسة ستكفل لطلابها جميع ما يحتاجون إليه من مسكن وغذاء، وأنها ستعتني بتدريس طلابها على التمسك بآداب الإسلام وأخلاقه وعبادته، كما تُعنى بتعليم التفسير والفقه والحديث، وسيُرسل الدعاة المتخرجون إلى أشد البلاد حاجة إلى الدعوة الإسلامية.

مؤلفاته

رغم انشغاله بالمجلة التي أخذت معظم وقته، وهي بلا شك أعظم أعماله، فقد استمرت من سنة ١٨٩٩م إلى سنة ١٩٣٥م، واستغرقت ثلاثة وثلاثين مجلداً، ضمت ١٦٠ ألف صفحةً، فضلاً

عن رحلاته التي قام بها إلى أوروبا والآستانة والهند والحجاز، ومشاركته في ميادين أخرى من ميادين العمل الإسلامي.

ومن أهم مؤلفاته "تفسير المنار" الذي استكمل فيه ما بدأه شيخه محمد عبده الذي توقف عند الآية (١٢٥) من سورة النساء، وواصل رشيد رضا تفسيره حتى بلغ سورة يوسف، وحالت وفاته دون إتمام تفسيره. وله أيضًا: الوحي المحمدي نداء للجنس اللطيف، وتاريخ الأستاذ الإمام والخلافة، السنة والشيعة، حقيقة الربا، مناسك الحج، الوهّابيون والحجاز.

قالوا عنه

بلغ من تقدير الشيخ الغزالي لرشيد رضا أن يسبغ عليه وعلى مدرسته هذا الوصف الكبير، يقول: "كان محمد رشيد رضا ترجمان القرآن وشارة السلفية الصحيحة والمفتي العارف بأهداف الإسلام والمستوعب لآثاره وإن مدرسة المنار هي المهاد الأوحد للصحوة الإسلامية الحاضرة، وعلى الذين يرفعون القواعد من هذا المهاد أن يتجنبوا بعض

الهنات التي فات فيها الصواب إمامنا الكبير، فما نزعم عصمة له أو لغيره".

وفاة الشيخ

كان للشيخ رشيد روابط قوية بالمملكة العربية السعودية، فسافر بالسيارة إلى السويس لتوديع الأمير سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وزوده بنصائحه، وعاد في اليوم نفسه، وكان قد سهر أكثر الليل، فلم يتحمل جسده الواهن مشقة الطريق، ورفض المبيت في السويس للراحة، وأصر على الرجوع، وكان طول الطريق يقرأ القرآن كعادته، ثم أصابه دوار من ارتجاج السيارة، وطلب من رفيقيه أن يستريح داخل السيارة، ثم لم تلبث أن توفي في يوم الخميس الموافق (٢٣ من جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ /٢٢ من أغسطس ١٩٣٥م)، وكانت آخر عبارة قالها في تفسيره: "فنسأله تعالى أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الإسلام".

فقيه الشام

وهبة الزحيلي

وهبة بن مصطفى الزحيلي الدمشقي (٢٠١٥)، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة من سوريا في العصر الحديث، عضو المجامع الفقهية بصفة خبير في مكة وجدة والهند وأمريكا والسودان. ورئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه بجامعة دمشق، كلية الشريعة. حصل على جائزة أفضل شخصية إسلامية في حفل استقبال السنة الهجرية التي أقامته الحكومة الماليزية سنة ٢٠٠٨ في مدينة بوتراجاي.

ولد في بلدة دير عطية من مدن ريف دمشق عام ١٩٣٢، وكان والده حافظًا للقرآن الكريم عاملًا بجزم به، محبًّا للسنة النبوية، مزارعًا

تاجرًا. درس الابتدائية في بلد الميلاد في سوريا، ثم المرحلة الثانوية في الكلية الشرعية في دمشق مدة ست سنوات وكان ترتيبه الامتياز والأول على جميع حملة الثانوية الشرعية عام ١٩٥٢ وحصل فيها على الثانوية العامة الفرع الأدبي أيضاً.

تابع تحصيله العلمي في كلية الشريعة بالأزهر الشريف، فحصل على الشهادة العالية وكان ترتيبه فيها الأول عام ١٩٥٦ ثم حصل على إجازة تخصص التدريس من كلية اللغة العربية بالأزهر، وصارت شهادته العالمية مع إجازة التدريس. درس أثناء ذلك علوم الحقوق وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس بتقدير جيد عام ١٩٥٧. نال دبلوم معهد الشريعة الماجستير عام ١٩٥٩ من كلية الحقوق بجامعة القاهرة.

حصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق (الشريعة الإسلامية) عام ١٩٦٣ بمرتبة الشرف الأولى مع توصية بتبادل الرسالة مع الجامعات

الأجنبية، وموضوع الأطروحة آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة بين المذاهب الثمانية والقانون الدولي العام.

تلقى العلم على يدي كثير من المشايخ في الشام ومصر. عين مدرساً بجامعة دمشق عام ١٩٦٣ ثم أستاذاً مساعداً سنة ١٩٦٩ ثم أستاذاً عام ١٩٧٥ وعمله التدريس والتأليف والتوجيه وإلقاء المحاضرات العامة والخاصة، التخصص الدقيق في الفقه وأصول الفقه، ويدرّسهما مع الفقه المقارن في كلية الشريعة ومواد الشريعة في كلية الحقوق بجامعة دمشق والدراسات العليا فيهما.

يدرّس كتابه الفقه الإسلامي وأدلته بصفة مرجع أساسي في كثير من الجامعات لطلبة الدراسات العليا كالباكستان والسودان وغيرهما.

يدرّس كتابه أصول الفقه الإسلامي في الجامعات الإسلامية بالمدينة المنورة وفي الرياض، قسم القضاء الشرعي، سابقًا.

أشرف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعة دمشق وكلية الإمام الأوزاعي في لبنان وناقش بعض الرسائل الأخرى، كما أشرف على رسائل دكتوراه وناقشها في دمشق وبيروت والخرطوم، وهي تزيد عن سبعين رسالة.

وضع خطة الدراسة في كلية الشريعة بدمشق في أواخر الستينات وخطة الدراسة في قسم الشريعة في كلية الشريعة والقانون بالإمارات، وشارك في وضع مناهج المعاهد الشرعية في سورية عام ١٩٩٩.

مؤلفاته

- آثار الحرب في الفقه، مقارنة بين المذاهب والقانون الدولي.
- تخريج وتحقيق أحاديث تحفة الفقهاء للسمرقندي.
- تخريج وتحقيق أحاديث وآثار (جامع العلوم)
- السلم والحرب في الإسلام، تم إصداره باللغة الفرنسية
- الفقه الإسلامي وأدلته
- الوجيز في الفقه الإسلامي

- الوجيز في أصول الفقه، ترجم إلى التركية
- أصول الفقه الإسلامي، ترجم إلى التركية
- موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر ٨ مجلدات، دار المكتبي
- موسوعة الفقه الإسلامي و القضايا المعاصرة ١٤ مجلد
- قضايا الفقه والفكر المعاصر ٣ مجلدات، دار الفكر

وفاته

توفي الدكتور وهبة الزحيلي يوم السبت ٨ أغسطس ٢٠١٥ في دمشق بسوريا عن عمر يناهز ٨٣ سنة.

ابن الأزهر
مصطفى الشكعة

الدكتور مصطفى محمد الشكعة (١٩١٧ – ٢٠١١) مفكر وأستاذ جامعي مصري وعضو مجمع البحوث الإسلامية والعميد الأسبق لكلية الآداب جامعة عين شمس، ورئيس لجنة التعريف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، وعضو لجنة الحوار الإسلامي المسيحي بالأزهر الشريف.

وُلد مصطفى محمد الشكعة في محافظة الغربية في أغسطس ١٩١٧، ونشأ في قرية محلة مرحوم المجاورة لمدينة طنطا بمحافظة الغربية، وتعلَّم في مدارسها الابتدائية وجانب من الدراسة الثانوية، ولمِا تُوفي والده لم

يكن هناك حاجةٌ للبقاء هناك، فانتقل في أواخر الثلاثينات من القرن العشرين للإقامة مع أخيه الأكبر الذي كان يعمل موظفًا في القاهرة.

دراسته وحياته الأكاديمية

حصل الشكعة على درجة الليسانس في الآداب من جامعة القاهرة سنة ١٩٤٤، ثم الماجستير في الآداب سنة ١٩٥١، فالدكتوراه في الآداب عام ١٩٥٤ من الجامعة نفسها.

بدأ حياته العملية مدرسًا بالتعليم الثانوي في الفترة بين عامي ١٩٤٤ و١٩٤٩، ثم خبيرًا بالتخطيط الاجتماعي بين عامي ١٩٤٩ و١٩٥٦ إلى أن التحق بالتدريس بالجامعة سنة ١٩٥٦ ليعمل مدرسًا بكلية آداب جامعة عين شمس، ثم شغل فيما بعد منصب العميد بنفس الكلية، وانتدب للعمل مستشارًا ثقافيًا بواشنطن بين عامي ١٩٦٠ و١٩٦٥، وبعدها أعير للتدريس بجامعة بيروت العربية، ثم جامعة أم درمان. كما شغل منصب عميد كلية بجامعة الإمارات.

من مؤلفاته

إسلام بلا مذاهب: هو أبرز كتبه على الإطلاق، وهو عمل موسوعي يعرض لنشأة الفرق الإسلامية متتبعاً حركتها وتطورها، وداعياً إلى إسلام بلا مذاهب يقرب ولا يباعد، وإلى توحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم.

- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين
- بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية
- أبو الطيب المتنبِّي في مصر والعراق
- معا لم الحضارة الإسلامية
- الإمام الشافعي
- الإمام أحمد بن حنبل
- مقالات في الدراسات الإسلامية (بالإنجليزية)
- التربية والتعليم في العا لم العربي (بالإنجليزية)

الجوائز

- وسام الجمهورية من الطبقة الرابعة سنة ١٩٥٩.
- وسام الجمهورية من الطبقة الثانية سنة ١٩٧٧.
- جائزة الدولة التقديرية في الآداب (مصر) سنة ١٩٨٩.

إسلام بلا مذاهب

وهو أشهر كتاب للشكعة وصدرت له طبعات متعددة وقد صدر للمرة الأولى ١٩٧١، ينطلق الكتاب من فكرة أن المسلمين ماضيهم مشرق مضيء، قوى عزيز، وحاضرهم خابٍ ضعيف مستذَلّ، معتدَى عليه؛ لذا يقف المسلم، متأملاً من الواقع الذى صار إليه المسلمون.

والمؤلف كواحد من المسلمين يحاول الوقوف في هذا الكتاب على الأسباب التي أدت إلى هذه المفارقات الضخمة المؤسفة بين موقف المسلمين وحالهم في أمسهم ويومهم، ولم يطل به التفكير، فسرعان ما اهتدى إلى أن ضعف المسلمين جاء من تفرق كلمتهم وشتات

شملهم نتيجة لتفرق المذهب والعقيدة، فمذاهب المسلمين المختلفة كانت الباب الذى دخل منه الخلاف، واستغل الاستعمار هذه الثغرة فوسَّعها، وباركها كما يبارك الشيطان فعل الكبائر: هذا إمامي، وذاك زيدي، ومنهم من غلا في مذهبه غلواً كبيراً: فهذا إسماعيلي، وذاك درزي، والآخر علوي، ثم يلتفت مرة أخرى فيجد أيضاً بعض رجال السنة يختلفون، ويجد أيضاً أن هذا إباضي وهذا يميل إلى الاعتزال، والإسماعيلية نفسها فيها النزارية الآغاخانية، والمستعلية البهرة. ثم في الهند بعيداً جماعة الأحمدية أو القاديانية، وهى تنسب نفسها إلى الإسلام، ويصلح فريق منها ويضل فريق مذاهب مختلفة وعقائد متعددة في ظل دين واحد، ورسول واحد، يستغلها ذوو النيات السيئة وأصحاب المقاصد الدنيئة في حرب المسلمين بعضهم لبعض، فوقف المؤلف من هذه المذاهب جميعاً موقف الدارس المستأني، وقدمها إلى القارئ في يسر وبساطة ولين، وعرض لها عرضاً تاريخياً وأدبياً وعقائدياً، ناظراً نظرة علمية سمحة، مستهدفاً الإنصاف ما وسعه إلى

ذلك سبيلاً، حتى يتعرف المسلمون على اختلاف مذاهبهم وفرقهم وطوائفهم الموقف الذى ينبغي أن يكونوا فيه.

وفي حوار للدكتور الشكعة مع موقع "الشكبة الإسلامية" قال:

حينما نزلت الرسالة السماوية على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان هناك إسلام واحد هو الإسلام الذي يشترط الإيمان بالله واليوم الآخر والكتب والأنبياء، الإسلام الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والذي فرض علينا التعلم والعمل. ولو استجبنا لهذا الفهم وتصالحنا عليه فإن هذا سيقودنا إلى الوحدة التي تمكننا من النصر على أعدائنا ومن تجاوز ضعفنا ولن يكون هذا إلا بحوار داخلي يجعلنا في النهاية صفاً واحداً كالبنيان المرصوص.

قالوا عنه

هذا الرجل ملأ الدنيا علمًا وحركة ونشاطًا؛ و صارع الجهل المتفشّى والفساد الإداري. وتصدى لإصلاح التعليم والجامعات بصفة خاصة،

ولقي في سبيل ذلك ألوانًا من المظالم، ولكنه لم يغير مبادئه ولا تراجع عن مسيرته في مناصرة الحقيقة، والتمكين للإصلاح في كل مؤسسة تولى إدارتها.. فلما رحل في نهاية العمر لم يحفل برحيله إلا نخبة من أقرب أصدقائه وتلامذته ومريديه.

لقد نشط الدكتور مصطفى الشكعة وجاهد جهادًا فكريًّا موصولًا في محاور متقاربة مترابطة من مجالات الفكر التنويري والإصلاحي منها محور دراسات الحضارة الإسلامية وهو الملمح الأظهر في إنتاج هذا الراجل العظيم؛ حيث يبرز في صدره كتابه واسع الانتشار "معالم الحضارة الإسلامية" شاهدًا على اهتمامه الإسلامي الأصيل.. يعززه في ذلك كتابه الأشهر والأكثر انتشارًا "إسلام بلا مذاهب" ليعكس حلم الوسطية، ويبرز المخاطر التي تهدد بنية الاتحاد بين الشعوب المسلمة من جرَّاء التفرق والتشتت المذهبي ؛ وهو عمل موسوعي يعرض لنشأة الفرق الإسلامية متتبعًا حركتها وتطورها، وداعيًا إلى إسلام بلا مذاهب يقرب ولا يباعد، وإلى توحيد كلمة المسلمين وجمع

شملهم ووضع الأسس لتجاوز الخلافات المذهبية في الإسلام،وركّز على الوحدة الإسلامية الفكرية، فلا يوجد في رؤيته سوى إسلام واحد، والاختلافات بين المذاهب إنما تقتصر على الفروع دون الأصول.

وفاته

توفي الدكتور مصطفى الشكعة مساء يوم الأربعاء ٢٠ أبريل ٢٠١١.

كاشف المعجزات العلمية

زغلول النجار

زغلول راغب محمد النجار (١٧ نوفمبر ١٩٣٣) داعية إسلامي يركز على الإعجاز العلمي في النصوص المقدسة الإسلامية. وأكاديمياً فهو باحث جيولوجيا مصري درس في كلية العلوم جامعة القاهرة وتخرج فيها سنة ١٩٥٥م بمرتبة الشرف، وكُرِّم بالحصول على جائزة الدكتور مصطفى بركة في علوم الأرض. زميل الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية وعضو مجلس إدارتها، وأحد مؤسسي الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

ولد زغلول في عائلة مسلمة؛ فكان جده إمام القرية وكان والده من حفظة القرآن. ويحكي زغلول أنه كان إذا قرأ القرآن وأخطأ كان والده يرده في خطئه وهو نائم. وبعد إتمامه لحفظ القرآن، انتقل زغلول بصحبة والده إلى القاهرة والتحق بإحدى المدارس الابتدائية وهو في سن التاسعة.

أتم زغلول دراسته الابتدائية والتحق بمدرسة شبرا الثانوية في عام ١٩٤٦ وكان من أوائل الخريجين، وأمره ناظر المدرسة بالدخول في مسابقة اللغة العربية لتفوقه فيها. وكان يدخل المسابقة أيضاً أستاذه في المدرسة في اللغة العربية، فاستحيا أن يكمل حرجاً من أستاذه ولكن ناظر المدرسة رفض ذلك وقال له إن أستاذه لا يمثل المدرسة؛ فوافق زغلول على ذلك وحصل على المركز الأول وأستاذه في المركز ٤٢.

التحق زغلول بكلية العلوم جامعة القاهرة وتم افتتاح قسم جديد فيها هو قسم الجيولوجيا. أحب زغلول القسم بفضل رئيس القسم وهو

دكتور ألماني، فدخله وتفوق فيه وحصل في النهاية على درجة بكالوريوس العلوم بمرتبة الشرف. ولكن إثر تدخل زغلول في إحدى المظاهرات السياسية حيث تم اعتقاله بعد تخرجه من الجامعة وتمت محاكمته وظهرت براءته ولكن القرار السياسي رفض تعيينه مُعيداً في الجامعة بسبب ذلك.

عمل في شركة صحارى للبترول وعند محاولة استخراج تصريح بالعمل في أحد المواقع، تم رفض استخراجه بسبب القرار السياسي السابق وتم فصله عن العمل، فالتحق بالعمل بمناجم الفوسفات في وادي النيل وعمل بها لمدة عامين. وكان له تأثير إيجابي على العمال والشركة. وأقام دعوة قضائية على الجامعة لرفضها تعيينه في الجامعة وربح الدعوى وعمل داخل جامعة عين شمس لمدة عام ثم فصل منها أيضاً بقرار سياسي.

واستمر في عمله في مناجم الفحم بشبه جزيرة سيناء (مشروع السنوات الخمس للصناعة) حتى تم اختياره للعمل في جامعة الملك

سعود بالرياض، ومن ثم تقدم للماجستير في جامعة ويلز في إنجلترا. وعند استعداده للسفر وذهابه للميناء فوجئ بمنعه من السفر، وكان الوقت ليلاً، فذهب للضابط المسؤول عن منعه فعلم أن زوجة الضابط تضع مولوداً بالمستشفى؛ فانطلق إلى هناك فوجد المسؤول فأخبره بأمره فقال له الضابط إن زوجته ولدت بسلام ولذلك سيسمح له بالسفر وليكن ما يكون. واصطحبه إلى الميناء فوجد السفينة قد ارتحلت، فقام الضابط المسؤول بالاتصال بالسفينة فوجدها في المياه الإقليمية المصرية فأمرها بالتوقف واستأجر زغلول مركبا صغيراً ليلحق بالسفينة.

المؤهلات العلمية

- حصل على الأستاذية "درجة البروفيسور" وذلك سنة ١٩٧٢م.
- دكتوراه في علوم الأرض من جامعة ويلز ببريطانيا سنة ١٩٦٣م، ومنحته الجامعة درجة زمالتها فيما بعد الدكتوراه.

- تخرج في جامعة القاهرة سنة ١٩٥٥م حاصلاً على درجة بكالوريوس العلوم بمرتبة الشرف، وكان أول دفعته، فمنحته الجامعة جائزة بركة لعلوم الأرض.

الوظائف والنشاطات العلمية

عمل في شركة صحارى للبترول وفي المركز القومي للبحوث بالقاهرة، وكذلك عمل في مناجم الفوسفات في وادي النيل ومناجم الذهب بالبرامية (صحراء مصر الشرقية)، وفي مناجم الفحم بشبه جزيرة سيناء (مشروع السنوات الخمس للصناعة)، وفي كل من جامعات عين شمس (القاهرة)، الملك سعود بالرياض، جامعة ويلز (المملكة المتحدة)، الكويت (الكويت)، قطر (الدوحة)، الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران (١٩٧٨ م-١٩٩٦ م)، كما عمل أستاذا زائراً في جامعة كاليفورنيا (لوس أنجيليس ١٩٧٧ م-١٩٧٨ م)، ومستشاراً للتعليم العالي بالمعهد العربي للتنمية بالخبر – المملكة العربية السعودية (١٩٩٦ م-١٩٩٩ م)، ومديراً لجامعة الأحقاف باليمن (١٩٩٩ –

٢٠٠٠ م)، ومديراً لمعهد مارك فيلد للدراسات العليا في بريطانيا (٢٠٠٠ -٢٠٠١ م)، ورئيساً للجنة الإعجاز العلمي للقرآن بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر (٢٠٠١ م- حتى اليوم).

انتخب زميلاً للأكاديمية الإسلامية للعلوم وعضواً في مجلس إدارتها.

عضو سابق في هيئة تحكيم جائزة اليابان الدولية للعلوم.

شارك في تأسيس قسم الجيولوجيا في كل من جامعات الرياض (١٩٥٩ م-١٩٦١ م-١٩٦٤ م-١٩٦٧ م) والكويت (١٩٦٧ م-١٩٧٨ م) والملك فهد للبترول والمعادن في الظهران (١٩٧٩ م-١٩٩٦ م)، وتدرج في وظائف هيئة التدريس حتى حصل على درجة الأستاذية وعلى رئاسة قسم الجيولوجيا في جامعة الكويت سنة ١٩٧٢ م، وفي جامعة قطر سنة ١٩٧٨م.

أشرف حتى الآن على أكثر من ٣٥ رسالة ماجستير ودكتوراه في قسم الجيولوجيا في كل من مصر، والجزيرة العربية، والخليج العربي.

عمل مستشاراً علمياً لكل من مؤسسة روبرستون للأبحاث ببريطانيا، ومستشاري النفط العرب الكويت، وشركة الزيت العربي بالخفجي، وبنك دبي الإسلامي بدولة الإمارات العربية المتحدة.

عضو مؤسس للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية، (رابطة العا لم الإسلامي – مكة)، وعضو مجلس إدارتها.

عضو مجلس إدارة المجلس العالمي للبحوث الإسلامية – القاهرة.

عضو مجلس أمناء الهيئة الإسلامية للإعلام – ببريطانيا.

شارك في تأسيس كل من بنك دبي الإسلامي – وبنك فيصل الإسلامي المصري – وبنك التقوى. وحضر العديد من المؤتمرات العلمية الدولية والمحلية، وكذلك المؤتمرات الإسلامية على مختلف المستويات.

جاب أقطار الأرض محاضراً عن الإسلام وقضايا المسلمين خاصة قضية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية، وامتدت رحلته من

كندا شمالاً إلى أستراليا وجنوب أفريقيا جنوباً، ومن الأمريكتين غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً.

آخر عمل أكاديمي له كان أستاذاً في جامعة العلوم الإسلامية العالمية في عمان في المملكة الأردنية الهاشمية.

الإنتاج العلمي والثقافي

له أكثر من مائة وخمسين بحثاً ومقالاً علميا منشوراً، وخمسة وأربعين كتابا باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية.

ضد الفكر اليساري

أكد الدكتور زغلول النجار العالم والباحث في مجال الجيولوجيا أن الفكر اليساري معادٍ ومنكر للدين الإسلامي وأن ولاءه لروسيا والصين والدول التي تحمل الفكر اليساري الذي دمر دولاً إسلامية دخلها.

ضد العلمانية

وقال النجار عن العلمانية: هؤلاء تربوا وتتلمذوا على يد الغرب، وكانت ثقافتهم حصادا لما يسمى الغزو الفكري، وسعوا إلى نفث سمومهم ضد الإسلام، محاولين إلصاق تهم التخلف والإرهاب به، ويبنون اتهاماتهم على فرية تناقض الإسلام مع العلم؛ لذا جاءت حربهم ضروساً على الإعجاز باعتباره تأكيداً على قصور اتهاماتهم، حيث يرد الإعجاز العلمي على اتهاماتهم للدين الحنيف بنفس سلاحهم وهو العلم.

الهجوم على الإعجاز العلمي

يقول الدكتور النجار عن الذين يرفضون الإعجاز العلمي: فأنا أؤمن بأن من يهاجمون الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أحد ثلاثة: إنسان له دراسة شرعية وطبعاً صاحب الدراسة الشرعية في زماننا هذا لا يعطى القدر الكافي من العلوم التطبيقية وبالتالي يتخيل أن العلوم كلها فروض ونظريات، ومن فرط حرصه على القرآن الكريم يهاجم

الإعجاز العلمي بعاطفة وحماس، وهؤلاء أحترمهم وأُجلهم لأننا حين نتحدث معهم ونبرز لهم الدليل الواقعي العملي على ما نقول يقتنعون. وأنا أذكر في هذه المناسبة أن أحد علماء الأزهر ظل يهاجمني لفترة طويلة في وسائل الإعلام المختلفة وحدث أن حضر إحدى محاضراتي دون أن أعرفه وبعد المحاضرة جاء ليقول إنه يعتذر على مهاجمته لي لأنه لم يكن يدرك أن البحث في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يعتمد على المنهجية العلمية، لكنه وبعد سماعه المحاضرة أدرك أن هناك حقائق علمية كثيرة تخفي على الكثيرين....إلخ

آدم أبو البشر

أبي آدم هو كتاب من تأليف الدكتور عبدالصبور شاهين، أثار ضجة كبيرة في العالم الإسلامي، حيث يرى فيه شاهين أن آدم هو أبو الإنسان وليس أبا البشر الذين هم خلق حيواني كانوا قبل الإنسان، فاصطفى الله منهم آدم ليكون أبا الإنسان، يعني باختصار أن آدم لم

يكن أول البشر ولا أبا البشر بل كان قبله بشر كثيرون وأنه ولد من أب وأم بشريين تطور هو من بعدهما ليصبح أبا البشر.

وفي مناظرة تلفزيونية واجه الأستاذ الدكتور زغلول النجار الدكتور عبد الصبور شاهين وجهاً لوجه، ووصف نظريته بأنها ترسبات للفكر الوجودي، ثم أعاد الدكتور زغلول ترتيب رأيه في محاضرة على قرص مضغوط يردُّ فيها على الدكتور عبد الصبور من دون أن يسميه، واصفاً إياه ب(أحد أساتذة اللغة)؛ وأنه خاض بكتابه أرضاً ليست بأرضه ودخل في تخصص ليس بتخصصه فأخطأ أخطاء كثيرة.

هذا ولم يجد الأزهر الشريف في نظرية الدكتور عبد الصبور ما يؤدي إلى الإلحاد، غير أنه نفى أن تكون نظريته صحيحة، وأن آدم في الواقع هو أبو الإنسان وأبو البشر على السواء.

فقيه العراق

عبد الكريم زيدان

عبد الكريم بن زيدان بن بيج العاني (١٩١٧ - ٢٠١٤ م) فقيه عراقي يعد أحد علماء أهل السنة في العراق، وأحد علماء أصول الفقه والشريعة الإسلامية، ووزير أوقاف عراقي سابق عام ١٩٦٨ م.

نشأته وتعليمه

ولد ببغداد سنة ١٩١٧م ونشأ فيها فقد توفي والده وهو في الثالثة من عمره. تدرج في مراتب العلم إذ ابتدأ بتعلم قراءة القرآن الكريم في مكاتب تعليم القرآن الأهلية. ثم أكمل دراسته الأولية في بغداد.

وتلقى العلم بطريقيه الأكاديمي والتقليدي مستفيداً من المشايخ والأساتذة العراقيين والمصريين، من أمثال الشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ عبد القادر الخطيب، والشيخ نجم الدين الواعظ، والشيخ محمد محمود الصواف، والشيخ علي الخفيف، والشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ حسن مأمون، والشيخ عبد الكريم الصاعقة.

ثم دخل دار المعلمين الابتدائية، وبعد تخرجه فيها أصبح معلماً في المدارس الابتدائية. ثم التحق بكلية الحقوق ببغداد وتخرج فيها. ثم عين بعدها مديراً لثانوية النجيبية الدينية. ثم التحق بمعهد الشريعة الإسلامية في جامعة القاهرة ونال شهادة الماجستير بتقدير ممتاز. ثم حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٢ بمرتبة الشرف الأولى.

المناصب التعليمية

- أستاذ الشريعة الإسلامية ورئيس قسمها في كلية الحقوق بجامعة بغداد.

- أستاذ الشريعة ورئيس قسم الدين بكلية الآداب بجامعة بغداد.
- أستاذ الشريعة بكلية الدراسات الإسلامية وعميدها.
- أستاذ متمرس في جامعة بغداد.
- أستاذ الشريعة الإسلامية بقسم الدراسات الإسلامية ودراسة الماجستير والدكتوراه بجامعة صنعاء حتى وفاته.
- أستاذا بقسم الفقه وأصوله بجامعة الإيمان بصنعاء.

المجامع العلمية

الدكتور عبد الكريم زيدان عضو العديد من المجامع العلمية الإسلامية منها:

- مجلس علماء الجامعة الإسلامية منذ السبعينات.
- عضو مجلس المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي منذ عام ٢٠٠٠.

- عضو مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بجامعة الإيمان بصنعاء.

مؤلفاته

له مؤلفات علمية كثيرة في مختلف الاختصاصات الشرعية والقانونية والفكرية والدعوية التي تم اعتمادها كمواد دراسية في العديد من الجامعات العربية والإسلامية.

كتب

١. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام.

٢. أصول الدعوة.

٣. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية.

٤. القصاص والديات في الشريعة الإسلامية.

٥. القيود الواردة على الملكية الفردية للمصلحة العامة في الشريعة الإسلامية.

٦. الكفالة والحوالة في الفقه المقارن مع مقدمة في الخلاف وأسبابه.

٧. المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية.

٨. المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة.

٩. المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية.

١٠. الوجيز في أصول الفقه.

١١. الوجيز في شرح القواعد الفقهية.

١٢. علوم الحديث.

١٣. مجموعة بحوث فقهية معاصرة.

١٤. مجموعة بحوث فقهية.

١٥. موجز الأديان في القران.

١٦. نظام القضاء في الشريعة الإسلامية.

١٧. نظرات في الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية.

١٨. مختصر شرح العقيدة الطحاوية

بحوث

١. نظرية التجديد في الفكر الإسلامي.

٢. إثبات الأهلَّة والمراصد الفكرية.

٣. أثر القصود في التصرفات والعقود.

٤. أثر تطبيق الشّريعة الإسلاميّة في تطهير المجتمع من شرور المسكرات والمخدرات.

٥. الإضراب.

٦. الدعوة في العصر الحاضر الواقع – والمعوقات – والحلول.

٧. الديمقراطية ومشاركة المسلم في الانتخابات وعلاقة المسلم بالدولة غير الإسلامية.

٨. حدود سلطة ولي الأمر فيما يأمر به وينهى عنه في قضايا النكاح وفرقه.

٩. حكم عقد التأمين في الشّريعة الإسلاميّة.

١٠. دخول المسلم إلى دولة غير إسلامية والإقامة فيها.

١١. ضريبة الدخل ومدى مشروعيتها في الدول الإسلامية المعاصرة.

١٢. مدى حق المرأة في إنهاء عقد النكاح بالخلع.

١٣. مدى مشروعية الضرائب التي تفرضها الدول على الأفراد.

١٤. الرق في الإسلام.

مكانته العلمية والدعوية

وصفته هيئة علماء المسلمين بأنه كان رمزاً من الرموز العلمية والفكرية في العالم الإسلامي، مؤكدة أنه كان مدافعاً بالكلمة الشجاعة عن حقوق الأمة الإسلامية وقضاياها العادلة، وحريصاً على وحدة العراق أرضاً وشعباً.

رأيه في الحكم الملكي

يقول الدكتور زيدان عن الحكم الملكي إنه كان حكماً يعتبر أفضل من غيره أو أقل سوءاً من غيره وكانت فيه حريات الأفراد ظاهرة. وبعد هذا العصر حصلت لي مضايقات خلال الانقلابات العسكرية المختلفة على اختلاف في أشكالها بين حين وآخر. وانتهت بإحالتي على التقاعد ثم خرجت من العراق حيث لم تبق لي الحرية التي أرغب فيها من جهة الرواح والمجيء والتنقل وكان استقراري في اليمن إلى الآن (حتى وفاته رحمه الله).

وفاته

توفي يوم الإثنين ٢٦ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٧ يناير ٢٠١٤م في العاصمة اليمنية صنعاء عن عمر ناهز ٩٧ عاماً وما يقرب من قرن بالتقويم الهجري، نقل جثمانه إلى بغداد حيث دفن فيها وقام باستقباله عدد شخصيات دينية وسياسية وأرسلت الحكومة موفدها أيضا لاستقبال الجثمان، ودفن بمقبرة الكرخ الإسلامية.

أديب الإسلام
علي الطنطاوي

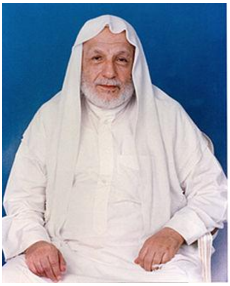

الشيخ علي الطنطاوي (١٩٠٩م – ١٩٩٩م) فقيه وأديب وقاضٍ سوري، ويُعد من كبار أعلام الدعوة الإسلامية والأدب العربي في القرن العشرين. رأس اللجنة العليا لطلاب سوريا في الثلاثينات لثلاث سنين. وكانت لجنة الطلبة هذه بمثابة اللجنة التنفيذية للكتلة الوطنية التي كانت تقارع الاستعمار الفرنسي لسوريا.

كان أديباً كتب في كثير من الصحف العربية لسنوات طويلة أهمها ما كان يكتبه في مجلة الرسالة المصرية لصاحبها أحمد حسن الزيات واستمر يكتب فيها عشرين سنة من سنة ١٩٣٣م إلى أن احتجبت

سنة ١٩٥٣. وعمل منذ شبابه في سلك التعليم الابتدائي والثانوي في سوريا والعراق ولبنان حتى عام ١٩٤٠.

ترك التعليم ودخل سلك القضاء، فأمضى فيه خمسة وعشرين عاماً من قاضٍ في النبك ثم في دوما ثم انتقل إلى دمشق فصار القاضي الممتاز فيها (١٩٤٣ – ١٩٥٣م)، ونقل مستشاراً لمحكمة النقض في الشام، ثم مستشاراً لمحكمة النقض في القاهرة أيام الوحدة مع مصر. كلف بوضع قانون كامل للأحوال الشخصية عام ١٩٤٧م وأوفد إلى مصر مدة سنة فدرس مشروعات القوانين الجديدة للمواريث والوصية وسواها، وقد أعد مشروع قانون الأحوال الشخصية كله وصار هذا المشروع أساساً للقانون الحالي.

نشأته المبكرة

ولد الشيخ علي الطنطاوي في دمشق بسوريا في (١٢ يونيو ١٩٠٩) لأسرة عُرف أبناؤها بالعلم، فقد كان أبوه الشيخ مصطفى الطنطاوي من العلماء المعدودين في الشام وانتهت إليه أمانة الفتوى في دمشق.

وأسرة أمه أيضاً (الخطيب) من الأسر العلمية في الشام وكثير من أفرادها من العلماء المعدودين ولهم تراجم في كتب الرجال، وخاله أخو أمه هو محب الدين الخطيب الذي استوطن مصر وأنشأ فيها صحيفتَي "الفتح" و"الزهراء" وكان له أثر في الدعوة فيها في مطلع القرن العشرين.

ذهب إلى مصر ودخل دار العلوم العليا، وكان أولَ طالب من الشام يؤم مصر للدراسة العالية، ولكنه لم يتم السنة الأولى وعاد إلى دمشق في السنة التالية (١٩٢٩م) فدرس الحقوق في جامعتها إلى أن نال الليسانس (البكالوريوس) سنة ١٩٣٣م. وقد رأى – لما كان في مصر في زيارته تلك لها – لجاناً للطلبة لها مشاركة في العمل الشعبي والنضالي، فلما عاد إلى الشام دعا إلى تأليف لجان على تلك الصورة، فأُلفت لجنةٌ للطلبة سُميت "اللجنة العليا لطلاب سوريا" وانتُخب رئيساً لها وقادها نحواً من ثلاث سنين. وكانت لجنة الطلبة هذه بمثابة اللجنة التنفيذية للكتلة الوطنية التي كانت تقود النضال ضد

الاستعمار الفرنسي للشام، وهي (أي اللجنة العليا للطلبة) التي كانت تنظم المظاهرات والإضرابات، وهي التي تولت إبطال الانتخابات المزورة سنة ١٩٣١م.

في الصحافة

نشر علي الطنطاوي أول مقالة له في جريدة عامة (وهي "المقتبس") في عام ١٩٢٦، وكان في السابعة عشرة من عمره. بعد هذه المقالة لم ينقطع عن الصحافة قط، فعمل بها في كل فترات حياته ونشر في كثير من الصحف؛ شارك في تحرير مجلتي خاله محب الدين الخطيب، "الفتح" و"الزهراء"، حين زار مصر سنة ١٩٢٦، ولما عاد إلى الشام في السنة التالية عمل في جريدة "فتى العرب" مع الأديب الكبير معروف الأرناؤوط، ثم في "ألِف باء" مع شيخ الصحافة السورية يوسف العيسى، ثم كان مدير تحرير جريدة "الأيام" التي أصدرتها الكتلة الوطنية سنة ١٩٣١م ورأس تحريرها الأستاذ عارف النكدي، وله فيها كتابات وطنية كثيرة.

خلال ذلك كان يكتب في "الناقد" و"الشعب" وسواهما من الصحف. وفي سنة ١٩٣٣م أنشأ أحمد حسن الزيات المجلة الكبرى، الرسالة، فكان الطنطاوي أحد كتّابها واستمر فيها عشرين سنة إلى أن احتجبت سنة ١٩٥٣، وعمل في تحريرها مدة يسيرة من الزمن كما قال في ذكرياته. وكتب سنواتٍ في مجلة "المسلمون"، وفي جريدتي "الأيام و"النصر"، وحين انتقل إلى المملكة نشر في مجلة "الحج" في مكة وفي جريدة المدينة، وأخيراً نشر ذكرياته في "الشرق الأوسط" على مدى نحو من خمس سنين. وله مقالات متناثرة في عشرات من الصحف والمجلات التي كان يعجز –هو نفسه– عن حصرها وتذكر أسمائها.

في التعليم

بدأ علي الطنطاوي بالتعليم ولما يَزَلْ طالباً في المرحلة الثانوية، حيث درَّس في بعض المدارس الأهلية بالشام وهو في السابعة عشرة من عمره (في عام ١٣٤٥ هجرية)، وقد طُبعت محاضراته التي ألقاها على

طلبة الكلية العلمية الوطنية في دروس الأدب العربي عن "بشار بن برد" في كتاب صغير صدر عام ١٩٣٠م (أي حين كان في الحادية والعشرين من العمر).

بعد ذلك صار معلماً ابتدائياً في مدارس الحكومة سنة ١٩٣١م حين أغلقت السلطات جريدة "الأيام" التي كان يعمل مديراً لتحريرها، وبقي في التعليم الابتدائي إلى سنة ١٩٣٥م. وكانت حياته في تلك الفترة سلسلة من المشكلات بسبب مواقفه الوطنية وجرأته في مقاومة الفرنسيين وأعوانهم في الحكومة، فما زال يُنقَل من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى قرية، حتى طوّف بأرجاء سوريا جميعاً: من أطراف جبل الشيخ جنوباً إلى دير الزور في أقصى الشمال.

ثم انتقل إلى العراق في عام ١٩٣٦م ليعمل مدرّساً في الثانوية المركزية في بغداد، ثم في ثانويتها الغربية ودار العلوم الشرعية في الأعظمية (التي صارت كلية الشريعة)، ولكن روحه الوثّابة (التي لم يتركها وراءه حين قدم العراق) وجرأته في الحق (ذلك الطبع الذي لم يفارقه قط) فعلا به

في العراق ما فعلاه به في الشام، فما لبث أن نُقل مرة بعد مرة، فعلّم في كركوك في أقصى الشمال وفي البصرة في أقصى الجنوب. وقد تركَتْ تلك الفترة في نفسه ذكريات لم ينسَها، وأحب "بغداد" حتى ألّف فيها كتاباً ضم ذكرياته ومشاهداته فيها.

بقي علي الطنطاوي يدرّس في العراق حتى عام ١٩٣٩م، لم ينقطع عنه غير سنة واحدة أمضاها في بيروت مدرّساً في الكلية الشرعية فيها عام ١٩٣٧م، ثم رجع إلى دمشق فعُيِّن أستاذاً معاوناً في مكتب عنبر (الذي صار يُدعى "مدرسة التجهيز"، وهي الثانوية الرسمية حينئذ بالشام)، ولكنه لم يكفَّ عن شغبه ومواقفه التي تسبب له المتاعب، وكان واحدٌ من هذه المواقف في احتفال أُقيم بذكرى المولد، فما لبث أن جاء الأمر بنقله إلى دير الزور! وهكذا صار معلماً في الدير سنة ١٩٤٠م، وكان يمكن أن تمضي الأمور على ذلك لولا أنه مضى في سنّته ومنهجه في الجرأة والجهر بالحق. وكانت باريس قد سقطت في أيدي الألمان والاضطرابات قد عادت إلى الشام، فألقى في الدير

خطبة جمعة نارية كان لها أثر كبير في نفوس الناس، قال فيها: "لا تخافوا الفرنسيين فإن أفئدتهم هواء وبطولتهم ادّعاء، إن نارهم لا تحرق ورصاصهم لا يقتل، ولو كان فيهم خير ما وطئت عاصمتَهم نِعالُ الألمان"! فكان عاقبة ذلك صرفه عن التدريس ومنحه إجازة "قسرية" في أواخر سنة ١٩٤٠م.

في القضاء

هذه الحادثة انتهت بعلي الطنطاوي إلى ترك التعليم والدخول في سلك القضاء، دخله ليمضي فيه ربع قرن كاملاً؛ خمسة وعشرين عاماً كانت من أخصب أعوام حياته. خرج من الباب الضيق للحياة ممثلاً في التعليم بمدرسة قرية ابتدائية، ودخلها من أوسع أبوابها قاضياً في النبك (وهي بلدة في جبال لبنان الشرقية، بين دمشق وحمص) ثم في دوما (من قرى دمشق)، ثم انتقل إلى دمشق فصار القاضي الممتاز فيها، وأمضى في هذا المنصب عشر سنوات، من سنة ١٩٤٣م إلى سنة ١٩٥٣م، حين نُقل مستشاراً لمحكمة النقض، فمستشاراً لمحكمة

النقض في الشام، ثم مستشاراً لمحكمة النقض في القاهرة أيام الوحدة مع مصر.

رحلات ومؤتمرات

كان علي الطنطاوي من أقدم معلمي القرن العشرين ومن أقدم صحافييه، وهو أيضاً من أقدم مذيعيه، وقد كانت له مشاركة في طائفة من المؤتمرات، منها حلقة الدراسات الاجتماعية التي عقدتها جامعة الدول العربية في دمشق على عهد الشيشيكلي، ومؤتمر الشعوب العربية لنصرة الجزائر، ومؤتمر تأسيس رابطة العالم الإسلامي، واثنين من المؤتمرات السنوية لاتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا. ولكن أهم مشاركة له كانت في "المؤتمر الإسلامي الشعبي" في القدس عام ١٩٥٣م، والذي تمخضت عنه سفرته الطويلة في سبيل الدعاية لفلسطين، التي جاب فيها باكستان والهند والملايا وأندونيسيا، وقد دَوّن ونشر بعض ذكريات تلك الرحلة في كتاب "في أندونيسيا".

في السعودية

في عام ١٩٦٣م سافر علي الطنطاوي إلى الرياض مدرّساً في "الكليات والمعاهد" (وكان هذا هو الاسم الذي يُطلَق على كلّيتَي الشريعة واللغة العربية، وقد صارت من بعد جامعة الإمام محمد بن سعود). وفي نهاية السنة عاد إلى دمشق لإجراء عملية جراحية بسبب حصاة في الكلية عازماً على ألا يعود إلى المملكة في السنة التالية، إلا أن عرضاً بالانتقال إلى مكة للتدريس فيها حمله على التراجع عن ذلك القرار.

وهكذا انتقل علي الطنطاوي إلى مكة ليمضي فيها (وفي جدّة) خمسةً وثلاثين سنة، فأقام في أجياد مجاوراً للحرم إحدى وعشرين سنة (من عام ١٩٦٤م إلى عام ١٩٨٥م)، ثم انتقل إلى العزيزية (في طرف مكة من جهة منى) فسكنها سبع سنوات، ثم إلى جدة فأقام فيها حتى وفاته في عام ١٩٩٩م.

هذه السنوات الخمس والثلاثون كانت حافلة بالعطاء الفكري للشيخ، ولا سيما في برامجه الإذاعية والتلفازية التي استقطبت - على مرّ السنين- ملايين المستمعين والمشاهدين وتعلّقَ بها الناس على اختلاف ميولهم وأعمارهم وأجناسهم وجنسياتهم. ولم يكن ذلك بالأمر الغريب؛ فلقد كان علي الطنطاوي من أقدم مذيعي العالم العربي، بل لعله من أقدم مذيعي العالم كله؛ فقد بدأ يذيع من إذاعة الشرق الأدنى من يافا من أوائل الثلاثينيات، وأذاع من إذاعة بغداد سنة ١٩٣٧م، ومن إذاعة دمشق من سنة ١٩٤٢م لأكثر من عقدين متصلين، وأخيراً من إذاعة المملكة ورائيها نحواً من ربع قرن متصل من الزمان.

شيخوخته ووفاته

آثر علي الطنطاوي ترك الإذاعة والتلفاز حينما بلغ الثمانين من العمر. وكان قبل ذلك قد لبث نحو خمس سنين ينشر ذكرياته في الصحف، حلقةً كل يوم خميس، فلما صار كذلك وقَفَ نشرَها

(وكانت قد قاربت مئتين وخمسين حلقة) وودّع القرّاء فقال: "لقد عزمتُ على أن أطوي أوراقي، وأمسح قلمي، وآوي إلى عزلة فكرية كالعزلة المادية التي أعيشها من سنين، فلا أكاد أخرج من بيتي، ولا أكاد ألقى أحداً من رفاقي وصحبي".

ثم أغلق عليه باب بيته واعتزل الناس إلا قليلاً من المقربين يأتونه في معظم الليالي زائرين، فصار ذلك له مجلساً يطل من خلاله على الدنيا، وصار منتدى أدبياً وعلمياً تُبحث فيه مسائل العلم والفقه واللغة والأدب والتاريخ، وأكرمه الله فحفظ عليه توقّد ذهنه ووعاء ذاكرته حتى آخر يوم في حياته، حتى إنه كان قادراً على استرجاع المسائل والأحكام بأحسن مما يستطيعه كثير من الشبان، وكانت (لغاية الشهر الذي توفي فيه) تُفتتح بين يديه القصيدة لم يرَها من عشر سنين أو عشرين فيُتمّ أبياتَها ويبين غامضها، ويُذكَر العَلَم فيُترجم له، وربما اختُلف في ضبط مفردة من مفردات اللغة أو في

معناها فيقول: هي كذلك، فيُفتَح القاموس المحيط (وكان إلى جواره حتى آخر يوم في حياته) فإذا هي كما قال!

ثم ضعف قلبه في آخر عمره فأُدخل المستشفى مرات، وكانت الأزمات متباعدة في أول الأمر ثم تقاربت، حتى إذا جاءت السنة الأخيرة تكاثرت حتى بات كثيرَ التنقل بين البيت والمستشفى. ثم توفي بعد عشاء يوم الجمعة، ١٨ حزيران عام ١٩٩٩م الموافق ٤ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ، في قسم العناية المركزة في مستشفى الملك فهد بجدة عن عمر ٩٠ عام، ودُفن في مقبرة مكة المكرمة في اليوم التالي بعدما صُلّي عليه في الحرم المكي الشريف.

دمشق والحنين

ترك علي الطنطاوي دمشق وهاجر إلى المملكة العربية السعودية بعدما ضاقت عليه الحياة في سوريا بعد انقلاب البعث (٨ آذار ١٩٦٣)، وقد رجع إلى بلاد الشام زائراً عدة مرات ثم انقطع من عام ١٩٧٩

فلم يُسمَح له بدخولها، فبقي قلبه فياضاً بالشوق والحنين إليها حتى الممات.

مؤلفاته

ترك علي الطنطاوي عدداً كبيراً من الكتب، أكثرها يضم مقالات مما سبق نشره في الصحف والمجلات، وهذه هي أهم مؤلفاته (مرتبة هجائياً، مع سنوات صدور الطبعة الأولى منها):

- أبو بكر الصديق (١٩٣٥)
- أخبار عمر (١٩٥٩)
- أعلام التاريخ (١-٧) (١٩٦٠)
- بغداد: مشاهدات وذكريات (١٩٦٠)
- تعريف عام بدين الإسلام (١٩٧٠)
- الجامع الأموي في دمشق (١٩٦٠)
- حكايات من التاريخ (١-٧) (١٩٦٠)
- دمشق: صور من جمالها وعبر من نضالها (١٩٥٩)

- ذكريات علي الطنطاوي (٨ أجزاء) (١٩٨٥-١٩٨٩)
- رجال من التاريخ (١٩٥٨)
- صور وخواطر (١٩٥٨)
- صيد الخاطر لابن الجوزي (تحقيق وتعليق) (١٩٦٠)
- فتاوى علي الطنطاوي (١٩٨٥)
- فصول إسلامية (١٩٦٠)
- فكر ومباحث (١٩٦٠)
- في أندونيسيا (١٩٦٠)
- في سبيل الإصلاح (١٩٥٩)
- قصص من التاريخ (١٩٥٧)
- قصص من الحياة (١٩٥٩)
- مع الناس (١٩٦٠)
- مقالات في كلمات (١٩٥٩)
- من حديث النفس (١٩٦٠)
- من نفحات الحرم (١٩٦٠)

- هتاف المجد (١٩٦٠)
- بعد الخمسين (١٩٥٩)

وقد نشرت حفيدته "عابدة المؤيد العظم" كتابين عنه "هكذا ربانا جدي علي الطنطاوي" وهو كتاب تربوي قيم و"جدي على الطنطاوي كما عرفته" وهو استطلاع لحياة الشيخ وذكريات وفوائد.

مواقف وطرائف

يقول الشيخ رحمه الله تحت عنوان: مما وقع لي:

جاءني مرة وكنت في عنفوان الشباب أكتب في أوائل كتابتي في الرسالة (عام ١٩٣٣م) ثلاثة من الغرباء عن البلد، لم يعجبني شكلهم، ولم يطربني قولهم، فوقفت على الباب أنظر إليهم فأرى الشكل يدل على أنهم غلاظ، وينظرون إليَّ فيرون فيَّ (ولداً) فقالوا: هذه دار فضيلة الشيخ الطنطاوي؟ قلت كارهاً: نعم.. فقالوا: الوالد هنا؟ قلت: لا.. قالوا: فأين نلقاه؟ قلت: في مقبرة الدحداح على

الطريق المحاذي للنهر من جهة الجنوب، قالوا: يزور أمواته؟ قلت: لا، قالوا: إذن؟ قلت: هو الذي يُزار... فصرخ أحدهم في وجهي صرخة أرعبتني وقال: مات؟ كيف مات؟ قلت: جاء أجله فمات... قالوا: عظم الله أجركم، إنا لله وإنا إليه راجعون، يا خسارة الأدب، قلت: إن والدي كان من أجَلِّ أهل العلم ولكن لم يكن أديباً... قالوا: مسكين أنت لا تعرف أباك.

وانصرفوا، وأغلقت الباب وطفقت أضحك وحدي مثل المجانين، وحسبت المسألة قد انتهت، فما راعني العشية إلا الناس يتوافدون عليَّ فاستقبلتهم، فيجلسون صامتين إن كانوا لا يعرفون شخصي، ومن عرفني ضحك وقال: ما هذه النكتة السخيفة؟ قلت: أي نكتة؟ فأخرج أحدهم الجريدة وقال: هذه ! هل تتجاهل؟ فأخذتها فإذا فيها نعي الكاتب ال... كذا وكذا.. علي الطنطاوي... هذه واحدة !!

ومما حدث لي أنني: لما كنت أعمل في العراق (سنة ١٩٣٦) نقلت مرة من بغداد إلى البصرة إثر خصومة بيني وبين مفتش دخل عليَّ

الصف فسمع الدرس. فلما خرجنا نافق لي فقال إنه معجب بكتاباتي وفضلي، ونافقت له فقلت إني مكبر فضله وأدبه، وأنا لم أسمع اسمه من قبل، ثم شرع ينتقد درسي فقلت: ومن أنت يا هذا؟ وقال لي وقلت له...

وكان مشهداً طريفاً أمام التلاميذ.. رأوا فيه مثلاً أعلى من (تفاهم أخوين، وصورة من التهذيب والأخلاق. ثم كتبت عنه مقالة كسرت بها ظهره، فاستقال و (طار) إلى بلده، ونُقلت أنا عقوبة إلى البصرة.

وصلت البصرة فدخلت المدرسة، فسألت عن صف (البكالوريا) بعد أن نظرت في لوحة البرنامج ورأيت أن الساعة لدرس الأدب، وتوجهت إلى الصف من غير أن أكلم أحداً أو أعرِّفه بنفسي. فلما دنوت من باب الصف وجدت المدرس، وهو كهل بغدادي على أبواب التقاعد، يخطب التلاميذ يودعهم وسمعته يوصيهم (كرماً منه) بخَلَفه الأستاذ الطنطاوي، ويقول هذا وهذا ويمدحني... فقلت: إنها مناسبة طيبة لأمدحه أنا أيضاً وأُثني عليه، ونسيت أني حاسر الرأس،

وأني من الحر أحمل معطفي على ساعدي وأمشي بالقميص وبالأكمام القصار، فقرعت الباب قرعاً خفيفاً، وجئت أدخل؛ فالتفت إليَّ وصاح: إيه زمال وين فايت؟ (والزمال الحمار في لغة البغداديين) فنظرت لنفسي وقلت: هل أذناي طويلتان؟ هل لي ذيل؟ فقال: شنو؟ ما تفتهم (تفهم) أما زمال صحيح. وانطلق ب (منولوج) طويل فيه من ألوان الشتائم ما لا أعرفه وأنا أسمع مبتسماً. ثم قال: تعال نشوف تلاميذ آخر زمان، وقِّف احك شو تعرف عن البحتري؟ حتى تعرف إنك زمال ولاّ لأ؟

فوقفت وتكلمت كلاماً هادئاً متسلسلاً، بلهجة حلوة، ولغة فصيحة. وبحثت وحللت وسردت الشواهد وشرحتها، وقابلت بينه وبين أبي تمام، وبالاختصار ألقيت درساً يلقيه مثلي.. والطلاب ينظرون مشدوهين، ممتدة أعناقهم، محبوسة أنفاسهم، والمدرس المسكين قد نزل عن كرسيه، وانتصب أمامي، وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما من الدهشة، ولا يملك أن ينطق، ولا أنظر أنا إليه كأني

لا أراه حتى قرع الجرس.. قال: من أنت؟ ما اسمك؟ قلت: علي الطنطاوي! وأدع للسامعين الكرام أن يتصوروا موقفه!

حكاية الدراجة

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: (مللت من انتظار السيارة كل يوم لتحملني إلى المدرسة، فاشتريت دراجة وتعلّمت ركوبها، ولكني لم أتقنه، فكنت أقف على حجر أو كرسي فأمتطي الدراجة، وأمشي بها متعثراً خائفاً، ومررت بشيخٍ يوماً وأنا راجع إلى بيتي، فدعوته ليركب ورائي على الدراجة فيستريح من انتظار السيارة ويوفر أجرتها، فقال: لا يا عم أخاف ترميني قلت: يا عيب الشُّوم أتخاف وأنت ورائي؟ فرفض وتوسل فقلت: اركب ولا تخف، فركب مكرهاً وسرنا والطريق خال، فاعترَضَنا نهرٌ صغير عليه جسر خشبي فقال: أنزل وأمشي فقلت: لا ابقَ راكباً، وكان الجسر خشبتين طويلتين، فلما بلغت وسط الجسر اضطربتْ يداي ومِلت به فسقط في النهر وسقطتُ فيه وسقطتِ الدراجة معنا! ولم يكن النهر عميقاً ولكن

كان نجساً وكان مجراه طيناً أما الدراجة فالتوى عمودها الفقري، وأما نحن فخرجنا بشر حال، وتركته يُلقي في سبِّي (منولوجاً) طويلاً، لو كنت في غير هذه الحالة لأخذت قلماً وورقاً وكتبت الشتائم المبتكرة التي نطق بها، ولا أدري من أين اقتبسها فهي أوسخ من كل ما قاله الشعراء بل أوسخ من النهر الذي سقطنا فيه، ولكن الحق هو أني كنت مستحقاً لها).

شمس الأئمة أبو الأشبال

أحمد محمد شاكر

الشيخ أحمد محمد شاكر (١٨٩٢م- ١٩٥٨م) الملقب بشمس الأئمة أبو الأشبال، إمام مصري من أئمة الحديث في العصر الحديث، درس العلوم الإسلامية وبرع في كثير منها، فهو فقيه ومحقق وأديب وناقد، لكنه برز في علم الحديث حتى انتهت إليه رئاسة أهل الحديث في عصره، كما اشتغل بالقضاء الشرعي حتى نال عضوية محكمته العليا.

ولد في (٢٩ يناير ١٨٩٢) بالقاهرة، لوالده الشيخ محمد شاكر وهو عالم أزهري أيضا شغل عدة مناصب منها وكيل الأزهر، في ١١ مارس ١٩٠٠م سافر به والده إلى السودان حيث ولي منصب قاض في السودان، وعمره حينها ثماني سنوات فألحقه والده بكلية غوردون واستمر بها حتى عودة والده إلى مصر في ٢٦ أبريل سنة ١٩٠٤ فألحقه أبوه بمعهد الإسكندرية (وكان والده شيخ المعهد)، وفي ٢٩ أبريل ١٩٠٩ عاد والده للقاهرة ليلي مشيخة الأزهر فالتحق أحمد شاكر بالأزهر حتى نال شهادة العالمية سنة ١٩١٧م.

درس أحمد شاكر أصول الفقه على الشيخ محمود أبو دقيقة (أحد علماء معهد الإسكندرية، وعضو هيئة كبار العلماء).

ودرس على والده الشيخ محمد شاكر تفسير البغوي وصحيح مسلم وسنن الترمذي وشمائل الرسول وبعضاً من صحيح البخاري، وجمع الجوامع وشرح الأسنوي على المنهاج في الأصول، وشرح الخبيصي

وشرح القطب على الشمسية في المنطق، والرسالة البيانية في البيان، وفقه الهداية في الفقه الحنفي.

كما أخذ العلم عن السيد عبد الله بن إدريس السنوسي، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي، والشيخ شاكر العراقي، والشيخ طاهر الجزائري، والسيد محمد رشيد رضا، والشيخ سليم البشري، والشيخ حبيب الله الشنقيطي، وغيرهم كثير من أئمة الحديث حتى برع فيه.

منهجه العلمي

درس الشيخ أحمد شاكر بالأزهر على المذهب الحنفي، وبه كان يقضي في القضاء الشرعي، لكنه كان بعيداً عن التعصب لمذهب معين مؤثراً الرجوع إلى أقوال السلف وأدلتهم، يقول أحمد شاكر بما يوضح مذهبه العلمي، في معرض تحقيقه لكتاب الرسالة للشافعي بعد أن أكثر من الثناء عليه وبيان منزلته:

"وقد يفهم بعض الناس من كلامي عن الشافعي أني أقول ما أقول عن تقليد وعصبية، لما نشأ عليه أكثر أهل العلم من قرون كثيرة، من تفرقهم أحزابا وشيعا علمية، مبنية على العصبية المذهبية، مما أضر بالمسلمين وأخرهم عن سائر الأمم، وكان السبب في زوال حكم الإسلام عن بلاد المسلمين، حتى صاروا يحكمون بقوانين تخالف دين الإسلام، خنعوا لها واستكانوا، في حين كان كثير من علمائهم يأبون الحكم بغير المذهب الذي يتعصبون له ويتعصب له الحكام في البلاد. ومعاذ الله أن أرضى لنفسي خلة أنكرها على الناس، بل أبحث وأجدّ، وأتبع الدليل حيثما وجد. وقد نشأت في طلب العلم وتفقهت على مذهب أبي حنيفة، ونلت شهادة العالمية من الأزهر الشريف حنفياً، ووليت القضاء منذ عشرين سنة أحكم كما يحكم إخواني بما أذن لنا بالحكم به من مذهب الحنفية. ولكني بجوار هذا بدأت دراسة السُّنة النبوية أثناء طلب العلم، من نحو ثلاثين سنة، فسمعت كثيراً وقرأت كثيراً، ودرست أخبار العلماء والأئمة، ونظرت في أقوالهم وأدلتهم، لم أتعصب لواحد منهم، ولم أحِد عن سنن الحق فيما بدا لي، فإن

أخطأت فكما يخطئ الرجل، وإن أصبت فكما يصيب الرجل. أحترم رأيي ورأي غيري، وأحترم ما أعتقده حقاً قبل كل شيء وفوق كل شيء. فمن هذا قلت ما قلت واعتقدت ما اعتقدت في الشافعي، ورضي عنه ".

شجاعة موروثة

كان الشيخ أحمد شاكر وأخوه الأديب الكبير محمود شاكر معروفين بشجاعة في الحق ورثاها عن أبيهما الشيخ محمد شاكر. وفي هذا يروي الشيخ أحمد شاكر هذه الحكاية الشهيرة عن والدهما رحمه الله:

كان طه حسين طالباً في الجامعة المصرية القديمة، وتقرر إرساله في بعثة إلى أوروبا فأراد حضرة السلطان حسين أن يكرمه بعطفه ورعايته، فاستقبله في قصره استقبالاً كريماً، وحباه هديةً قيّمة. وكان هناك خطيب من خطباء المساجد التابعين لوزارة الأوقاف فصيحاً متكلماً، وكان السلطان حسين مواظباً على صلاة الجمعة. فصلى الجمعة يوماً وندبت وزارة الأوقاف ذلك الخطيب لذلك اليوم وأراد الخطيب أن

يمدح السلطان، وأن ينوه بما أكرم به طه حسين، فزلَّ زلَّة لم تقم له قائمة من بعدها. إذ قال أثناء خطبته مادحاً السلطان: "جاءه الأعمى فما عبس في وجهه وما تولى" وكان من شهود هذه الصلاة والدي الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر رحمه الله فقام بعد الصلاة يعلن الناس في المسجد أن صلاتهم باطلة، لأن الخطيب قد ضل، وأمرهم أن يعيدوا الجمعة ظُهراً فأعادوها، ذلك بأن الخطيب شتم النبي صلى الله عليه وسلم تعريضاً لا تصريحاً لأن الله سبحانه عتب على رسوله صلى الله عليه وسلم حين جاءه ابن أم مكتوم الأعمى، وهو يحدِّث بعض صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام. فأعرض عن الأعمى قليلاً حتى يفرغ من حديثه فأنزل الله عتاب رسوله في هذه السورة الكريمة.

ثم جاء هذا الخطيب يريد أن يتملق السلطان فمدحه بما يوهم السامع أنه يريد إظهار منقبة لعظمته، بالقياس إلى ما عاتب الله عليه رسوله،

فكان صنع الخطيب المسكين تعريضاً بمحمد صلى الله عليه وسلم لا يرضى به مسلم وفي مقدمة من ينكره السلطان نفسه.

يقول الشيخ شاكر: ولكن الله لم يدعْ لهذا المجرم جُرمَه في الدنيا قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى؛ فأُقسِمُ بالله لقد رأيتُه بعينيْ رأسي بعد بضع سنين وبعد أن كان متعالياً متنفخاً مستعزاً بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء، رأيتهُ مَهيناً ذليلاً خادماً على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذِلة وصَغار حتى لقد خجلتُ أن يراني، وأنا أعرفه وهو يعرفني، لا شفقةً عليه فما كان موضعاً للشفقة ولا شماتةً فيه فالرجل النبيل يسمو على الشماتة، ولكن ما رأيت من عبرة وموعظة.

هذهِ القصة ذكرها الشيخ المحدِّث أبو الأشبال أحمد شاكِر رحمهُ الله، في كِتابه كلمة الحق ص ٥٠ (بتصرف).

مؤلفاته

في علم الحديث ومصطلحه:

- شرحه كتاب ألفية السيوطي في علم الحديث.
- شرحه كتاب ألفية العراقي في مصطلح الحديث.
- تصحيحه وتعليقه على كتاب "الباعث الحثيث – شرح اختصار علوم الحديث"، لمؤلفه الحافظ ابن كثير.
- شرحه وتخريجه أحاديث سنن الترمذي.
- شرحه "نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر"، لابن حجر.
- دراسته وشرحه وتصحيحه كتاب مسند أحمد.
- تخريجه أحاديث تفسير الطبري.
- تصحيحه وتعليقه على كتاب صحيح ابن حبان.
- تصحيحه وتعليقه على كتاب مختصر سنن ابن داوود.
- تحقيق كتاب الرسالة للإمام الشافعي.
- تعليقه على كتاب الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم.

- قواعد الأصول ومعاقد الفصول.
- عمدة الأحكام للمقدسي.
- الروض المربع بشرح زاد المستقنع.
- الروضة الندية شرح الدرر البهية، لصديق خان.
- شرح كتاب الخراج للقرشي.
- تقديم ومراجعة كتاب المسح على الجوربين للقاسمي.
- فتوى في إبطال وقف الجنف والاثم لابن عبد الوهّاب.
- مذكرة في قضية المحرومين وإبطال شروط الواقفين.
- نظام الطلاق في الإسلام.
- كلمة الفصل في قتل مدمني الخمر.
- تحقيق المحلى لابن حزم الظاهري.
- تحقيق تفسير الجلالين للسيوطي.
- عمدة التفسير اختصار تفسير ابن كثير.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري.
- تحقيق تفسير الإمام معين الدين.

رأيه في نظام الطلاق

ونتيجة لدراسته المستفيضة للحديث والفقه ألف كتابه القيم نظام الطلاق في الإسلام والذي دل فيه على اجتهاده وعدم تعصبه لمذهب من المذاهب فقد كان لا يتقيد بمذهب عند الإفتاء، بل ينظر في الأدلة والبراهين ثم يفتي، وله فيه آراء أثارت ضجة عظيمة بين العلماء، لكنه لم يتراجع ودافع عن رأيه بالحجة والبرهان. وهذا الأمر قاده لمخالفة القدماء والمعاصرين وجلب عليه كثيرًا من المساجلات والردود على ما يفتي ويؤلف خاصة في كتابه الشهير «أحكام الطلاق»، الذي تبنى فيه آراء ابن تيمية، فتعصب عليه المتفقهة وأتباع المذاهب وأفاضوا في القدح في هذا الكتاب الذي صار مرجعية القضاء المصري والإسلامي كله عند الإفتاء في الطلاق. وحتى الآن تعتمد على هذا السفر العظيم دار الإفتاء المصرية في الإفتاء في مسائل الأسرة والطلاق، مما يدل على نظرته الثاقبة والمتأنية في فهم هذه المسائل على الوجه الصحيح.

مقاومة الاحتلال

وأخيرًا فقد كان للشيخ أحمد شاكر جهوده في الدعوة ومقاومة الاحتلال والتحذير من الهزيمة النفسية والتحذير من العلمنة فقد عاش الشيخ في فترة امتازت بكثرة الأحداث وتواليها، والدول الإسلامية تئن تحت نِير الاستعمار الإنجليزي أو الفرنسي أو غيرهما مع ضعف المسلمين، وشعورهم بالانهزامية والصغار أمام هجمات الصليبيين وتلامذتهم من المستشرقين الفكرية، وطعنهم في الدين، واليهود يسيرون كل يوم خطوة لامتلاك فلسطين، وإقامة دولتهم، وأحكام الشريعة أقصيت عن حياة الناس، وصار التدين والتمسك بالإسلام رجعية وتخلفاً، ووصمة عار. فكانت له جهوده المعروفة في هذا المجال.

بعض اجتهاداته

كان يرى الأخذ بالحساب الفلكي في إثبات أوائل الشهور العربية بديلاً عن الرؤية الشخصية، ولهذه المسألة قصة يجب إيرادها، فقد كان للشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر فتوى بجواز

ذلك، فعارضه فريق من العلماء كان في طليعتهم الشيخ محمد شاكر، وكان ابنه أحمد ينتصر لأبيه ويرى رأيه، وكتب عدة مقالات تؤيد الرؤية الشخصية، ثم بدا له بعد التحقيق وتناول المسألة في تأن وروية وإعمال للفكر ما يخالف وجهة نظر والده، فأخرج رسالة صغيرة في حياة أبيه بعنوان "أوائل الشهور العربية هل يجوز شرعًا إثباتها بالحساب الفلكي"، رجع فيها إلى رأي المراغي، وأعلن في صراحة أنه كان على صواب، فقال: "كان والدي وكنت أنا وبعض إخواني ممن خالف الأستاذ الأكبر في رأيه، ولكني أصرح الآن أنه كان على صواب، وأزيد عليه وجوب إثبات الأهلة بالحساب في كل الوقت إلا لمن استعصى عليه العلم".

وفاته

توفي يوم السبت ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٧٧ هـ (١٤ يونيو سنة ١٩٥٨م).

صاحب القلب الفيّاض
البهي الخولي

الشيخ البهي نجا إبراهيم الخولي عام (١٩٠١- ١٩٧٧م) المفكر والكاتب والداعية. ولد بقرية القرشية مركز السنطة محافظة الغربية، ونشأ في أسرة متدينة، وكان والده من ذوي النعمة واليسار.

تدرج البهي الخولي في مراحل التعليم من كتّاب القرية حيث حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والحساب إلى أن بلغ دور الصبا، فدفع به والده إلى المعهد الأحمدي بطنطا، ومنه التحق بدار العلوم في القاهرة وفيها تفتحت مداركه ونضجت مواهبه وتحدد هدفه.

درس على نخبة من علماء الدين أمثال: محمد عبد المطلب، وعبدالوهاب النجار، وطنطاوي جوهري، والشيخ أحمد إبراهيم، وقد كان الشيخ البهي شغوفاً بكتب العلامة ابن قيم الجوزية متجهاً اتجاهه في تزكية النفس وتهذيب الأخلاق وفهم الدين.

قالوا عنه

يقول العلامة السيد أبو الحسن الندوي: (والقلب يمتلئ قوة وحرارة بتأثير الأستاذ البهي وروحه القوية وقلبه الفياض بالحب والإيمان حتى شعرت بنشاط جديد)

فالأخ الداعية المجاهد الأستاذ البهي الخولي هو بحمد الله صافي الذهن، دقيق الفهم، مشرق النفس، قوي الإيمان، عميق اليقين.

وهو رجل ذواقة للمعاني الربانية، عميق الحاسة الروحية وكانت محاضراته ودروسه يظهر فيها الجانب الرباني، وكان للأستاذ البهي

لقاءات خاصة مع مجموعة من الشباب اصطفاهم يصلون الفجر معاً كل أسبوع ويذكرون الله عز وجل ويعيشون في جو روحي محلق.

وظائفه

عين بعد تخرجه من دار العلوم مدرساً في المعاهد الأزهرية بطنطا، ثم انتقل إلى أسيوط، ثم إلى القاهرة، ثم عاد إلى طنطا.

وبعد قيام الثورة عمل مديراً عاماً للمساجد بوزارة الأوقاف، ومديراً لتحرير مجلة منبر الإسلام، ثم عين مراقباً عاماً للشؤون الدينية في وزارة الأوقاف، ثم اختير عضواً بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

عمل مستشاراً بالمجلس الأعلى لجمعية الشبان المسلمين، كما انتدب للتدريس في الأزهر كلية أصول الدين وفي دار العلوم وكلية العلوم الاجتماعية.. وغيرها.

جهوده في الدعوة

كان البهي الخولي: داعية بارزاً، وأحد المربين والموجهين للشباب بمصر وقائماً بمهام العمل الدعوي بينهم.

مؤلفاته

- تذكرة الدعاة: وهو باكورة إنتاجه العلمي، وأشهر كتبه، وهو كتاب طبع عدة طبعات.
- آدم: فلسفة تقويم الإنسان وخلافته.
- منهج القرآن في المعرفة.
- مذكرة في الدعوة (قررها على طلاب كلية أصول الدين).
- الخالقية.
- كتب في الاقتصاد الإسلامي
- الثروة في ظل الإسلام – دار القلم، الكويت، ١٩٨١م.

- الإسلام لا شيوعية ولا رأسمالية – دار الكتاب العربي، ١٩٤٧م. الاشتراكية في المجتمع الإسلامي بين النظرية والتطبيق – مكتبة وهبة.
- مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي (بحث مقدم إلى مؤتمر الملك عبد العزيز الإسلامي الدولي بكلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة).
- كتب في السيرة والتراجم
- من أسرار الفتح (فتح مكة) – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- يوم الفرقان (غزوة بدر) – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- الإمام الممتحن أحمد بن حنبل – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- الإمام محمد عبده – مخطوط.
- شيخ الإسلام ابن تيمية – مخطوط.

- دراسات حول القرآن الكريم
- بنو إسرائيل في ميزان القرآن.
- تفسير سورة المزمل.
- هدى الإسلام (بالاشتراك مع آخرين) وقررته وزارة التربية والتعليم بمدارسها الابتدائية والإعدادية سنة ١٩٥٦م.
- دراسات فقهية
- الصيام – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة ١٩٦١م.
- الحج والعمرة – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- رفيق الحاج – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- منهاج الإسلام في الزواج والطلاق – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة ١٩٦٢م.
- دراسات حول قضايا المجتمع.
- المرأة بين البيت والمجتمع.
- الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة – دار القلم – الكويت.

من أقواله

إن الفساد حين يكون عاماً ترعاه رياسة المجتمع، وتنشط له رغبات أفراده، إنما يعالج بعلاج أسبابه، لا بعلاج ظواهره التي تطفو هنا وهناك، وقد كان محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إبان رسالته يتعبد ليلاً عند الكعبة، والأصنام تطلّ عليه من فوقها بعيونها المنطفئة الكريهة ووجوهها الجامدة وهو قد بعث بإزالتها – فلم تحدثه نفسه ليلة – وهو خالٍ بها – أن يكسرها أو يزيلها من مكانها، لأنها ظاهرة علّة وليست هي العلّة نفسها، ولذلك جعل وسيلة مواجهة المسؤولين بالبرهان والإقناع، حتى إذا أذعنت النفوس لحكمته والقلوب لحجته تولّى ذووها كسرها بأنفسهم.

قضايا المرأة

اهتم الأستاذ البهي بالمرأة المسلمة وقضاياها، وكتب في ذلك كتابيه الرائدين "المرأة بين البيت والمجتمع" في عام ١٩٥١م، وكتاب "الإسلام والمرأة المعاصرة" عام ١٩٦٨م.

ولقد عالج الأستاذ البهي موضوعات ومسائل خاصة بالمرأة، غاية في الحساسية مثل عمل المرأة، وحجاب المرأة، وحقوق المرأة، وعلاقة المرأة بالرجل، وميراث المرأة، وتعليم المرأة، والمرأة الشرقية والمرأة الغربية.

ويعد الأستاذ البهي واحدًا من المنتمين للاتجاه المحافظ، والذي يعد الأستاذ العقاد والإمام المودودي أحد رواده، والذي يرى أن وظيفة المرأة الأساسية هي رعاية شئون البيت والأسرة، وعدم اللجوء للعمل أو غير ذلك إلا للضرورة القصوى؛ حفاظًا عليها، ورعاية لرسالتها في الرعاية والتربية. ولا شك أن بزوغ هذا الاتجاه كان بزوغًا طبيعيًّا في ذلك الحين؛ حيث كانت الدعوة إلى تحرير المرأة على أشدها، وكتابات قاسم أمين وطه حسين ومحمود عزمي تلقى رواجًا.

وفاته

توفي في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٧م عن ست وسبعين عاماً، وقد أوصى أولاده ألا ينشروا نعيه، فمضى إلى ربه دون أن يعلم كثير من عارفيه بوفاته.

شيخ الأزهر

عبدالحليم محمود

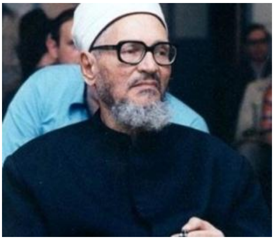

عبد الحليم محمود (١٩١٠ – ١٩٧٨) عالم أزهري ووزير مصري سابق وشيخ الأزهر في الفترة بين عامي ١٩٧٣ و١٩٧٨.

ولد في ١٢ مايو ١٩١٠م، بعزبة أبو أحمد قرية السلام مركز بلبيس بمحافظة الشرقية. نشأ في أسرة كريمة مشهورة بالصلاح والتقوى، وكان أبوه ممن تعلم بالأزهر لكنه لم يكمل دراسته فيه. حفظ القرآن الكريم ثم التحق بالأزهر سنة ١٩٢٣م. حصل على العالمية سنة ١٩٣٢م ثم سافر إلى فرنسا على نفقته الخاصة لاستكمال تعليمه العالي حيث حصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية عن الحارث المحاسبي سنة ١٩٤٠م. وبعد عودته عمل مدرساً لعلم النفس بكلية

اللغة العربية بكليات الأزهر ثم عميداً لكلية أصول الدين سنة ١٩٦٤م وعضواً ثم أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية فنهض به وأعاد تنظيمه عين وكيلاً للأزهر سنة ١٩٧٠م فوزيراً للأوقاف وشئون الأزهر.

توليه مشيخة الأزهر

تولى الشيخ عبدالحليم محمود مشيخة الأزهر في ظروف بالغة الحرج، وذلك بعد مرور أكثر من ١٠ سنوات على صدور قانون الأزهر سنة ١٩٦١م الذي توسع في التعليم المدني ومعاهده العُليا، وألغى جماعة كبار العلماء، وقلص سلطات شيخ الأزهر، وغلّ يده في إدارة شئونه، وأعطاها لوزير الأوقاف وشئون الأزهر، وهو الأمر الذي عجَّل بصدام عنيف بين محمود شلتوت شيخ الأزهر الذي صدر القانون في عهده وبين تلميذه الدكتور محمد البهي الذي كان يتولى منصب وزارة الأوقاف، وفشلت محاولات الشيخ الجليل في استرداد سلطاته، وإصلاح الأوضاع المقلوبة.

لم يكن أكثر الناس تفاؤلاً يتوقع للشيخ عبدالحليم محمود أن يحقق هذا النجاح الذي حققه في إدارة الأزهر، فيسترد للمشيخة مكانتها ومهابتها، ويتوسع في إنشاء المعاهد الأزهرية على نحو غير مسبوق، ويجعل للأزهر رأياً وبياناً في كل موقف وقضية، حيث أعانه على ذلك صفاء نفس ونفاذ روح، واستشعار المسئولية الملقاة على عاتقه، وثقة في الله عالية، جعلته يتخطى العقبات ويذلل الصعاب.

مؤلفاته

للشيخ أكثر من ٦٠ مؤلفاً في التصوف والفلسفة، بعضها بالفرنسية، ومن أشهر كتبه "أوروبا والإسلام"، و"التوحيد الخالص "أو "الإسلام والعقل"، و"أسرار العبادات في الإسلام"، و"التفكير الفلسفي في الإسلام"، و"القرآن والنبي"، و"المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي".

نشاطه الإصلاحي

بدت بوادر الإصلاح واضحة في سلوك الشيخ عبدالحليم محمود بعد توليه أمانة مجمع البحوث الإسلامية الذي حل محل جماعة كبار العلماء، فبدأ بتكوين الجهاز الفني والإداري للمجمع من خيار رجال الأزهر، وتجهيزه بمكتبة علمية ضخمة استغل في تكوينها صداقاته وصلاته بكبار المؤلفين والباحثين وأصحاب المروءات. وعمل الشيخ على توفير الكفايات العلمية التي تتلاءم ورسالة المجمع العالمية، وفي عهده تم عقد مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية، وتوالى انعقاده بانتظام، كما أقنع المسئولين بتخصيص قطعة أرض فسيحة بمدينة نصر لتضم المجمع وأجهزته العلمية والإدارية، ثم عُني بمكتبة الأزهر الكبرى، ونجح في تخصيص قطعة أرض مجاورة للأزهر لتقام عليها.

وأثناء توليه لوزارة الأوقاف عُني بالمساجد عناية كبيرة، فأنشأ عدداً منها، وضم عدداً كبيراً من المساجد الأهلية، وجدد المساجد التاريخية الكبرى مثل جامع عمرو بن العاص ثاني أقدم المساجد في إفريقيا بعد

مسجد سادات قريش بمدينة بلبيس محافظة الشرقية، وأوكل الخطبة فيه إلى الشيخ محمد الغزالي فدبت فيه الروح، وعادت إليه الحياة بعد أن اغتالته يد الإهمال، وتدفقت إليه الجماهير من كل صوب وحدب، وأنشأ بمساجد الوزارة فصولاً للتقوية ينتفع بها طلاب الشهادتين الإعدادية والثانوية جذبت آلافاً من الطلاب إلى المساجد وربطتهم بشعائر دينهم الحنيف.

ورأى أن للوزارة أوقافاً ضخمة تدر ملايين الجنيهات أخذها الإصلاح الزراعي لإدارتها لحساب الوزارة، فلم تعد تدر إلا القليل، فاستردها من "وزارة الإصلاح الزراعي"، وأنشأ هيئة كبرى لإدارة هذه الأوقاف لتدر خيراتها من جديد، وعلم أن هناك أوقافاً عَدَت عليها يد الغصب أو النسيان، فعمل على استرداد المغتصب، وإصلاح الخرِب.

استعادة هيبة الأزهر

صدر قرار تعيين الشيخ عبدالحليم محمود شيخاً للأزهر في ٢٧ مارس ١٩٧٣م، وكان هذا هو المكان الطبيعي الذي أعدته المقادير له، وما

كاد الشيخ يمارس أعباء منصبه وينهض بدوره على خير وجه حتى بوغت بصدور قرار جديد من رئيس الجمهورية في ٧ يوليو ١٩٧٤م يكاد يجرد شيخ الأزهر مما تبقى له من اختصاصات ويمنحها لوزير الأوقاف والأزهر، وما كان من الشيخ إلا أن قدم استقالته لرئيس الجمهورية على الفور، معتبراً أن هذا القرار يقلل من قدر المنصب الجليل ويعوقه عن أداء رسالته الروحية في مصر والعالم العربي والإسلامي.

روجع الإمام في أمر استقالته، وتدخل الحكماء لإثنائه عن قراره، لكن الشيخ أصر على استقالته، وامتنع عن الذهاب إلى مكتبه، ورفض تناول راتبه، وطلب تسوية معاشه، وأحدثت هذه الاستقالة دوياً هائلاً في مصر وسائر أنحاء العالم الإسلامي، وتقدم أحد المحامين الغيورين برفع دعوى حسبة أمام محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة ضد رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف، طالباً وقف تنفيذ قرار رئيس الجمهورية.

إزاء هذا الموقف الملتهب اضطر أنور السادات إلى معاودة النظر في قراره ودراسة المشكلة من جديد، وأصدر قراراً أعاد فيه الأمر إلى نصابه، جاء فيه: شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام، وله الرياسة والتوجيه في كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية والعربية في الأزهر. وتضمن القرار أن يعامل شيخ الأزهر معاملة الوزير من حيث المرتب والمعاش، ويكون ترتيبه في الأسبقية قبل الوزراء مباشرة، وانتهت الأزمة وعاد الشيخ إلى منصبه ليواصل جهاده. وجدير بالذكر أن قراراً جمهورياً صدر بعد وفاة الشيخ بمساواة منصب شيخ الأزهر بمنصب رئيس الوزراء.

مسؤولية شيخ الأزهر

كان الشيخ عبدالحليم يدرك خطورة منصبه، وأنه مسؤول عن القضايا التي تتعلق بالمسلمين، وأنه لا ينتظر من أحد توجيهاً إلى النظر في بعض القضايا وغض النظر عن بعضها، فكان للأزهر في عهده رأي

ومقال في كل قضية وموضوع يتعلق بأمر المسلمين، فتصدى لقانون الأحوال الشخصية الذي حاولت الدكتورة عائشة راتب إصداره دون الرجوع إلى الأزهر، وحرصت على إقراره من مجلس الشعب على وجه السرعة، وكان هذا القانون قد تضمن قيوداً على حقوق الزوج على خلاف ما قررته الشريعة الإسلامية.

ولما علم الإمام الأكبر بهذا القانون أصدر بياناً قوياً حذر فيه من الخروج على تعاليم الإسلام، وأرسله إلى جميع المسؤولين وأعضاء مجلس الشعب وإلى الصحف، ولم ينتظر صدور القانون بل وقف في وجهه قبل أن يرى النور، لكن بيان الشيخ تآمرت عليه قوى الظلام فصدرت التعليمات إلى الصحف بالامتناع عن نشره، واجتمعت الحكومة للنظر في بيان الشيخ عبدالحليم محمود، ولم تجد مفراً من الإعلان عن أنه ليس هناك تفكير على الإطلاق في تعديل قانون الأحوال الشخصية، وبذلك نجح الإمام في قتل القانون في مهده.

الكتب الدينية المشتركة

اقترح البابا شنودة بطريرك الأقباط في مصر تأليف كتب دينية مشتركة ليدرسها الطلبة المسلمون والمسيحيون جميعاً في المدارس، مبرراً ذلك بتعميق الوحدة الوطنية بين عنصري الأمة، وتقوية الروابط بينهما. لقي هذا الاقتراح قبولاً بين كبار المسئولين، وزار الدكتور مصطفى حلمي وزير التربية والتعليم آنذاك الإمام الأكبر ليستطلع رأيه في هذا الاقتراح، لكن الشيخ الغيور واجه الوزير بغضبة شديدة قائلاً له: من آذنك بهذا، ومن الذي طلبه منك، إن مثل هذه الفكرة إذا طلبت فإنما توجه إلينا من كبار المسئولين مباشرة، ويوم يطلب منا مثل هذه الكتب فلن يكون ردي عليها سوى الاستقالة.

وما كان من الوزير إلا أن استرضى الشيخ الغاضب وقدم اعتذاراً له قائلاً: إنني ما جئت إلا لأستطلع رأي فضيلتكم وأعرف حكم الدين، ويوم أن تقدم استقالتك لهذا السبب فسأقدم استقالتي بعدك مباشرة.

المحاكم العسكرية

ومن مواقف الشيخ الشجاعة ما أبداه تجاه المحكمة العسكرية التي تصدت للحكم في قضية جماعة التكفير والهجرة المصرية، وكانت المحكمة قد استعانت بعدد من علماء الأزهر لإبداء الرأي في فكر هذه الجماعة، غير أن المحكمة لم تسترح لرأيهم، وكررت ذلك أكثر من مرة، وكانت في عجلة من أمرها؛ الأمر الذي جعلها تصدر أحكاماً دون استئناس برأي الأزهر.

ولم تكتف هذه المحكمة بذلك بل تضمن حكمها هجوماً على الأزهر وعلمائه، وقالت إنه كان على المسئولين عن الدعوة الدينية أن يتعهدوا الأفكار بالبحث والتدبر بدلاً من إهمالها وعدم الاعتناء بمجرد بحثها. ولمزت المحكمة علماء الأزهر بقولها: "وواأسفا على إسلام ينزوي فيه رجال الدين في كل ركن هاربين متهربين من أداء رسالتهم أو الإفصاح عن رأيهم أو إبداء حكم الدين فيما يعرض عليهم من

أمور، فلا هم أدَّوا رسالتهم وأعلنوا كلمة الحق، ولا هم تركوا أماكنهم لمن يقدر على أداء الرسالة".

كانت كلمات المحكمة قاسية وغير مسئولة وتفتقد الموضوعية والأمانة، وهو ما أغضب الإمام الأكبر لهذا الهجوم العنيف، فأصدر بياناً امتنعت معظم الصحف اليومية عن نشره، ولم تنشره سوى صحيفة الأحرار. في هذا البيان اتهم عبدالحليم محمود المحكمة بالتعجل وعدم التثبت، وأنها لم تكن مؤهلة للحكم على هذا الفكر، وأنها تجهل الموضوع الذي تصدرت لمعالجته، وكان يجب عليها أن تضم قضاة شرعيين يقفون موقفها ويشاركونها المسئولية ويتمكنون من الاطلاع على جميع ظروف القضية ونواحيها فيتمكنون من إصدار الحكم الصحيح.

واتهم الإمام المحكمة بأنها لم تمكِّن علماء الأزهر من الاطلاع على آراء هذا التنظيم أو الاستماع إلى شرح من أصحابه، والاطلاع على كافة الظروف التي أدت بهم إلى هذا الفكر، واكتفت بأن عرضت

عليهم المحضر الذي سجلته النيابة من أقوال ومناقشات، وهذا لا يرقى أن يكون مصدراً كافياً يقوم عليه بحث العلماء، أو أساساً متكاملاً تصدر عليه أحكام.

التوسع في إنشاء المعاهد الأزهرية

تولى الشيخ عبدالحليم محمود مشيخة الأزهر في وقت اشتدت فيه الحاجة لإقامة قاعدة عريضة من المعاهد الدينية التي تقلص عددها وعجزت عن إمداد جامعة الأزهر بكلياتها العشرين بأعداد كافية من الطلاب، وهو الأمر الذي جعل جامعة الأزهر تستقبل أعداداً كبيرة من حملة الثانوية العامة بالمدارس، وهم لا يتزودون بثقافة دينية وعربية تؤهلهم أن يكونوا حماة الإسلام.

وأدرك الشيخ خطورة هذا الموقف فجاب القرى والمدن يدعو الناس للتبرع لإنشاء المعاهد الدينية، فلبى الناس دعوته وأقبلوا عليه متبرعين، ولم تكن ميزانية الأزهر تسمح بتحقيق آمال الشيخ في التوسع في التعليم الأزهري، فكفاه الناس مئونة ذلك، وكان لصِلاته العميقة

بالحكام وذوي النفوذ والتأثير وثقة الناس فيه أثر في تحقيق ما يصبو إليه، فزادت المعاهد في عهده على نحو لم يعرفه الأزهر من قبل.

تطبيق الشريعة الإسلامية

ومن أهم دعوات الشيخ دعوته إلى تطبيق الشريعة الإسلامية من ميادين الجهاد التي خاضها في صبر وجلد داعياً وخطيباً ومحاضراً ومخاطباً المسئولين في البلاد، فكتب إلى كل من سيد مرعي رئيس مجلس الشعب، وممدوح سالم رئيس مجلس الوزراء يطالبهما بالإسراع في تطبيق الشريعة الإسلامية، ويقول لهما: "لقد آن الأوان لإرواء الأشواق الظامئة في القلوب إلى وضع شريعة الله بيننا في موضعها الصحيح ليبدلنا الله بعسرنا يسراً وبخوفنا أمناً...".

ولم يكتف الإمام الأكبر بإلقاء الخطب والمحاضرات وإذاعة الأحاديث، بل سلك سبيل الجهاد العلمي، فكوَّن لجنة بمجمع البحوث الإسلامية لتقنين الشريعة الإسلامية في صيغة مواد قانونية تسهِّل استخراج

الأحكام الفقهية على غرار القوانين الوضعية، فأتمت اللجنة تقنين القانون المدني كله في كل مذهب من المذاهب الأربعة.

الاهتمام بأمور المسلمين

كان الشيخ عبد الحليم محمود يستشعر أنه إمام المسلمين في كل أنحاء العالم، وأنه مسئول عن قضاياهم، وكان هؤلاء ينظرون إليه نظرة تقدير وإعجاب، فهم يعتبرونه رمز الإسلام وزعيم المسلمين الروحي، ولهذا كان يخفق قلب الإمام لكل مشكلة تحدث في العالم الإسلامي، ويتجاوب مع كل أزمة تُلمّ ببلد إسلامي.

فقد أصدر بياناً بشأن الأحداث الدامية والحرب الأهلية في لبنان، دعا الأطراف المتنازعة من المسلمين والمسيحيين إلى التوقف عن إراقة الدماء وتخريب معالم الحياة، وأهاب بزعماء العرب والمسلمين إلى المسارعة في معاونة لبنان على الخروج من أزمته، وفاء بحق الإسلام وحق الأخوة الوطنية والإنسانية، وقياماً ببعض تبعات الزعامة والقيادة التي هي أمانة الله في أعناقهم.

ولم يكتف الشيخ بذلك بل أرسل برقية إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية يناشده العمل بحسم وعزم على وقف النزيف الدموي الذي أسالته المؤامرات المعادية على أرض لبنان.

الأزمة المغربية الجزائرية

قامت أزمة عنيفة بين المغرب والجزائر بشأن مشكلة الصحراء الغربية التي كانت إسبانيا تحتلها، وأدى الخلاف بينهما إلى مناوشات حربية كادت تتحول إلى حرب عنيفة. ولما علم الإمام بأخبار هذه التحركات سارع إلى إرسال برقية إلى كل من ملك المغرب ورئيس الجزائر، دعاهما إلى التغلب على نوازع الخلاف وعوامل الشقاق والفرقة، وأن يبادرا بتسوية مشكلاتهما وموضوعات الخلاف بينهما بالتفاهم الأخوي والأسلوب الحكيم، وناشدهما باسم الإسلام أن يُلقيا السلاح وأن يحتكما إلى كتاب الله.

وأرسل في الوقت نفسه برقية إلى الرئيس السادات يرجوه التدخل للصلح بين القُطرين الشقيقين، جاء فيها: "تتعلق بزعامتكم قلوب

المسلمين من العرب والمسلمين الذين ينتظرون مساعيَكم الحميدة في إصلاح ذات البين بمناسبة الصدام المسلح المؤسف بين البلدين الشقيقين الجزائر والمغرب".

ورد السادات على برقية شيخ الأزهر ببرقية يخبره فيها بمساعيه للصلح بين الطرفين جاء فيها: "تلقيت بالتقدير برقيتكم بشأن المساعي لحل الأزمة بين الجزائر والمغرب، وأود أن أؤكد لكم أن مصر تقوم بواجبها القومي من أجل مصالح العرب والمسلمين، وما زال السيد محمد حسني مبارك نائب الرئيس يقوم بمهمته المكلف بها، أرجو الله عز وجل أن يكلل جهوده بالنجاح والتوفيق...".

وفي الوقت نفسه أرسل برقية إلى خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة السعودية آنذاك يدعوه للتدخل إلى حقن الدماء بين الشقيقين وفض النزاع بينهما، وقد أحدثت هذه البرقيات أصداء قوية، وكانت عاملاً في هدوء الحالة بين الدولتين الشقيقتين.

شجاعة في الحق

وعقب عودته من الدراسة في فرنسا وكان وقتها يرتدي بدلة وفي أحد الخطابات التي ألقاها عبدالناصر تهكم فيها على رجال الأزهر وقال عليهم «إنهم يُفتون الفتوى من أجل ديكٍ يأكلونه» فغضب الشيخ وشعر بالإهانة التي وجهت للأزهر وعلمائه فقام بخلع البدلة وارتدى الزي الأزهري، وطالب زملاءه العائدين من البعثات الأجنبية بأن يحذو حذوه فاستجابوا له كنوع من التحدي ورفع هذه الإهانة عن الأزهر ورجاله.

وكان من أشهر المواقف التي تصدى لها بقوة، عندما صدر قانون الأحوال الشخصية والذي طالب بعض المسئولين بتعديله، والذي ينص على تقييد الطلاق ومنع تعدد الزوجات خلافاً للشريعة الإسلامية، فوقف الشيخ بقوة في وجه هذا القانون قائلاً: «لا قيود على الطلاق إلا من ضمير المسلم، ولا قيود على التعدد إلا من ضمير المسلم.

وفاة الشيخ

كانت حياة الشيخ عبدالحليم محمود جهاداً متصلاً وإحساساً بالمسئولية التي يحملها على عاتقه، فلم يركن إلى اللقب الكبير الذي يحمله، أو إلى جلال المنصب الذي يتقلده، فتحرك في كل مكان يرجو فيه خدمة الإسلام والمسلمين، وأحس الناس فيه بقوة الإيمان وصدق النفس، فكان يقابَل مقابلة الملوك والرؤساء، بل أكثر من ذلك؛ حيث كانت الجموع المحتشدة التي هُرعت لاستقباله في الهند وباكستان وماليزيا وإيران والمغرب وغيرها تخرج عن حب وطواعية لا عن سوق وحشد وإرهاب.

في ظل هذا النشاط الجم والرحلات المتتابعة لتفقُّد المسلمين شعر بآلام شديدة بعد عودته من الأراضي المقدسة فأجرى عملية جراحية لقي الله بعدها في صبيحة يوم الثلاثاء الموافق (١٧ أكتوبر ١٩٧٨م) تاركاً ذكرى طيبة ونموذجاً لما يجب أن يكون عليه شيخ الأزهر.

فارس المنابر

عبدالحميد كشك

عبد الحميد كشك (١٩٣٣م - ١٩٩٦م). عالم وداعية إسلامي مصري، كفيف، يلقب بفارس المنابر، ويعد من أشهر خطباء القرن العشرين في العالم العربي والإسلامي. له أكثر من ٢٠٠٠ خطبة مسجلة على مدار أربعين سنة.

وُلد عبد الحميد بن عبد العزيز كشك في شبراخيت بمحافظة البحيرة يوم الجمعة ١٠ مارس ١٩٣٣م، وحفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره، ثم التحق بالمعهد الديني بالإسكندرية، وفي السنة الثانية ثانوي حصل على تقدير ١٠٠%. وكذلك في الشهادة الثانوية الأزهرية

وكان ترتيبه الأول على الجمهورية، ثم التحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر. وكان الأول على الكلية طوال سنوات الدراسة، وكان أثناء الدراسة الجامعية يقوم مقام الأساتذة بشرح المواد الدراسية في محاضرات عامة للطلاب بتكليف من أساتذته الذين كان الكثير منهم يعرض مادته العلمية عليه قبل شرحها للطلاب، خاصة علوم النحو والصرف.

عُين عبد الحميد كشك معيداً بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة عام ١٩٥٧م، ولكنه لم يقم إلا بإعطاء محاضرة واحدة للطلاب بعدها رغب عن مهنة التدريس في الجامعة، حيث كانت روحه معلقة بالمنابر التي كان يرتقيها منذ الثانية عشرة من عمره، ولا ينسى تلك الخطبة التي ارتقى فيها منبر المسجد في قريته في هذه السن الصغيرة عندما تغيب خطيب المسجد، وكيف كان شجاعاً فوق مستوى عمره الصغير، وكيف طالب بالمساواة والتراحم بين الناس، بل

وكيف طالب بالدواء والكساء لأبناء القرية، الأمر الذي أثار انتباه الناس إليه والتِفافِهم حوله.

بعد تخرجه في كلية أصول الدين، حصل على إجازة التدريس بامتياز، ومثَّل الأزهر الشريف في عيد العلم عام ١٩٦١م، ثم عمل إماماً وخطيباً بمسجد الطحان بمنطقة الشرابية بالقاهرة. ثم انتقل إلى مسجد منوفي بالشرابية أيضاً، وفي عام ١٩٦٢م تولى الإمامة والخطابة بمسجد عين الحياة، بشارع مصر والسودان بمنطقة حدائق القبة بالقاهرة. ذلك المسجد الذي ظل يخطب فيه قرابة عشرين عاماً.

سجنه

اعتقل عام ١٩٦٥م وظل بالمعتقل لمدة عامين ونصف، تنقل خلالها بين معتقلات طرة وأبو زعبل والقلعة والسجن الحربي. تعرض للتعذيب رغم أنه كان كفيفاً لا يبصر منذ صغره، ورغم ذلك احتفظ بوظيفته إمامًا لمسجد عين الحياة.

وفي عام ١٩٧٢ بدأ يكثف خطبه وكان يحضر الصلاة معه حشود هائلة من المصلين. ومنذ عام ١٩٧٦ بدأ الاصطدام بالسلطة وخاصة بعد معاهدة كامب ديفيد حيث اتهم الحكومة بالخيانة للإسلام وأخذ يستعرض صور الفساد في مصر من الناحية الاجتماعية والفنية والحياة العامة. وقد ألقي القبض عليه في عام ١٩٨١ مع عدد من المعارضين السياسيين ضمن قرارات سبتمبر الشهيرة للرئيس المصري محمد أنور السادات، بعد هجوم السادات عليه في خطاب ٥ سبتمبر ١٩٨١. وقد أفرج عنه عام ١٩٨٢ ولم يعد إلى مسجده الذي منع منه كما منع من الخطابة أو إلقاء الدروس. لقي كشك خلال هذه الاعتقالات عذاباً رهيباً ترك آثاره على كل جسده رغم إعاقته.

في رحاب التفسير

ترك عبد الحميد كشك ١٠٨ كتب تناول فيها كافة مناهج العمل والتربية الإسلامية، وصفت كتاباته من قبل علماء معاصرين بكونها مبسطة لمفاهيم الإسلام، ومراعية لاحتياجات الناس. وكان له كتاب

من عشرة مجلدات سماه في رحاب التفسير ألفه بعد منعه من الخطابة وقام فيه بتفسير القرآن الكريم كاملاً، وهو تفسير يعرض للجوانب الدعوية في القرآن الكريم.

كان عبد الحميد كشك مبصراً إلى أن بلغ الثالثة عشرة ففقد إحدى عينيه، وفي سن السابعة عشرة، فقد العين الأخرى، وكان كثيراً ما يقول عن نفسه، كما كان يقول ابن عباس:

إن يأخذِ الله من عينيَّ نورَهما ففي فؤادي وعقلي عنهما نورُ

طرائف كشك

وكانت له طرائفه العفوية أثناء خطبه أو قفشاته، ومن لاذع أقواله وطريفها:

يروى عن الشيخ أن مسجده كان مزدحمًا جدًّا ذات جمعة، فقال: إخوانّا المباحث اللي في الصف الأول يتقدموا عشان إخواهم المصلين اللي في الخارج يعرفوا يصلوا!

وذات مرة قال: اللهم صل على الصف الثاني، والثالث، والرابع. فقيل له: واللي في الصف الأول يا شيخ؟ ليه ما دعيتش لهم؟! فقال: دا الصف الأول كله مباحث يا اخوانّا!

وكان يقول: الظلم تسعة أعشاره عندنا، والعُشْر الباقي يجوب العالم كله، فإذا أتى الليل بات عندنا!

وعن حياته في السجن كان يقول عن الطعام: في السجن جابوا لنا سوس مفوِّل، مش فول مسوس؛ باعتبار أن السوس في الطعام كان أكثر من الفول!

واعتقل ذات مرة، فسأله من يحقق معه؛ متجاهلًا سن الشيخ ومقامه: اسمك إيه؟ فقال: عبد الحميد كشك/ بتشتغل إيه؟ فرد الشيخ ساخرًا: مساعد طيار!

وكان يقول عن بابا الفاتيكان، ناعيًا أن المسلمين لا رأس لهم: النصارى لهم بابا واحنا مالناش لا بابا ولا ماما.

وكان يسخر من الممثلين والمطربين المعروفين، ومن كلمات الأغاني التي لا تعجبه، ويتخذ من ذلك مادة لفكاهته؛ فمن مأثوراته الساخرة التي ذاعت عنه: كنا نبحث عن إمامٍ عادل، فخرجْ لِنا عادل إمام!

وهاجم أم كلثوم: امرأة في السبعين من عمرها تقول: خدني لحنانك خدني.. يا شيخة ربنا ياخدك ويريّحينا!

وقال عن عبد الحليم حافظ: وهذا العندليب الأسود عندنا ظهرت له معجزتان: الأولى أنو بيمسك الهوى بإيديه، والتانية أنو بيتنفس تحت الماء!

وسخر من محرم فؤاد: بيقول رمش عينه اللي جرحني.. جرحكْ؟! هو رمش عينه موس حلاقة يابني ولا إيه؟

وعن عبدالرحمن الأبنودي قال: خدوا السيد الأبنودي يومين في طره.. وبعدين احنا قاعدين معاه قال: الواحد لازم يقدم للبلد خدمات ومواهب، فقلت له: حضرتك قدمت إيه من المواهب؟ قال: انت

مش عارفني؟ والله نحب نتشرف يا بني.. قال أنا فلان مؤلف أغنية تحت الشجر يا وهيبة! ما شاء الله، تحت الشجر يا وهيبة؟! إسرائيل بتجيب صواريخ هوك وطيارات إف ١٥ وإف ١٦ واحنا تحت الشجر يا وهيبة!

وعن فايزة أحمد في أغنيتها يامَّه القمر عالباب: روسيا طلعت القمر وأمريكا طلعت القمر، واحنا لسه القمر بتاعنا على الباب!

وفاته

قبل وفاته وكان يوم جمعة وقبل أن يتنفل قصَّ على زوجته وأولاده رؤيا وهي رؤية النبي وعمر بن الخطاب بالمنام حيث رأى في منامه رسول الله الذي قال له: "سلم على عمر"، فسلم عليه، ثم وقع على الأرض ميتاً فغسله رسول الله بيديه. فقالت له زوجته: - وهي التي قصت هذه الرؤيا - علمنا حديث النبي أنه من رأى رؤيا يكرهها فلا يقصصها. فقال الشيخ كشك: ومن قال لك أنني أكره هذه الرؤيا والله إنني لأرجو أن يكون الأمر كما كان. ثم ذهب وتوضأ في بيته

لصلاة الجمعة وكعادته، بدأ يتنفل بركعات قبل الذهاب إلى المسجد، فدخل الصلاة وصلى ركعة، وفي الركعة الثانية، سجد السجدة الأولى ورفع منها ثم سجد السجدة الثانية وفيها توفي. وكان ذلك يوم الجمعة ٦ ديسمبر ١٩٩٦م. وكان يدعو الله من قبل أن يتوفاه ساجداً فكان له ما أراد.

ناصر الشريعة

محمد أبو زهرة

محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة، (١٨٩٨م - ١٩٧٤م) عالم ومفكر وباحث وكاتب مصري من كبار علماء الشريعة الإسلامية والقانون في القرن العشرين.

وُلِدَ أبوزهرة في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر سنة ١٨٩٨م، فدفعت به أسرته إلى أحد الكتاتيب التي كانت منتشرةً في أنحاء مصر تُعلِّم الأطفال وتُحفِّظهم القرآن، وقد حفظه الطفل النابه، وأجاد تعلُّم مبادئ القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى الجامع الأحمدي بمدينة طنطا، وكان إحدى منارات العلم في مصر، تمتلئ ساحاته

بحلقات العلم التي يتصدَّرها فحول العلماء، وكان يُطلق عليه الأزهر الثاني؛ لمكانته الرفيعة. وقد سيطرت عليه روح احترام الحرية والتفكير، وكره السيطرة والاستبداد، وقد عبَّر أبو زهرة عن هذا الشعور المبكِّر في حياته بقوله: ولما أخذت أشدو في طلب العلم وأنا في سنِّ المراهقة كنت أفكِّر: لماذا يوجد الملوك؟ وبأيِّ حق يستعبدُ الملوك الناس؟ فكان كِبَر العلماء عندي بمقدار عدم خُضوعهم لسيطرة الخديوي الذي كان أمير مصر في ذلك الوقت.

وانتقل الشيخ أبو زهرة بعد ثلاث سنوات من الدراسة بالجامع الأحمدي إلى مدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩١٦م بعد اجتيازه اختبارًا دقيقًا كان هو أوَّل المتقدِّمين فيه على الرغم من صغر سنه عنهم وقصر المدَّة التي قضاها في الدراسة والتعليم، وكانت المدرسة التي أنشأها محمد عاطف بركات تعدُّ خرِّيجها لتولِّي مناصب القضاء الشرعي في المحاكم المصرية، ومكث أبو زهرة في المدرسة ثماني سنوات يُواصل حياته الدراسية حتى تخرَّج فيها سنة ١٩٢٤م، حاصلاً على

عالمية القضاء الشرعي، ثم اتَّجه إلى دار العلوم ليَنال معادلتها سنة ١٩٢٧م، فاجتمع له تخصُّصان قويَّان لا بُدَّ منهما لمن يريدُ التمكُّن من علوم الإسلام.

مناصبه

وبعد تخرُّجه عمل في ميدان التعليم ودرَّس العربية في المدارس الثانويَّة، ثم اختير سنة ١٩٣٣م للتدريس في كلية أصول الدين، وكلف بتدريس مادَّة الخطابة والجدل، فألقى محاضرات ممتازة في أصول الخطابة، وتحدَّث عن الخطباء في الجاهلية والإسلام، ثم كتب مؤلفًا عُدَّ الأول من نوعه في اللغة العربية، حيث لم تفرد الخطابة قبله بكتابٍ مستقل. ولما ذاع فضل المدرس الشاب وبراعته في مادَّته اختارته كلية الحقوق المصرية لتدريس مادة الخطابة بها، وبعد مدَّةٍ وجيزة عهدت إليه الكلية بتدريس مادَّة الشريعة الإسلامية، فزامل في قسم الشريعة عددًا من أساطين العلماء؛ مثل: أحمد إبراهيم، وأحمد أبي الفتح، وعلي قراعة، وفرج السنهوري، وكان وجود مثل هؤلاء معه

يزيد المدرس الشاب دأبًا وجدَّة في الدرس والبحث؛ حتى يرتقي إلى صفوفهم ومكانتهم الرفيعة.

وتدرَّج أبو زهرة في كلية الحقوق التي شهدت أخصب حياته الفكرية حتى ترأَّس قسم الشريعة، وشغل منصب الوكالة فيها، وأُحيل إلى التقاعد سنة ١٩٥٨م، وبعد صدور قانون تطوير الأزهر اختير الشيخ أبو زهرة عضوًا في مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٢م، وهو المجمع الذي أُنشِئ بديلاً عن هيئة كبار العلماء، وإلى جانب هذا كان الشيخ من مؤسِّسي معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، وكان يُلقي فيه محاضراته في الشريعة الإسلامية دون أجرٍ، وكان هذا المعهد قد أُنشِئ لمن فاتَتْه الدراسة في الكليَّات التي تُعنَى بالدراسات العربية والشرعية، فالتحق به عددٌ كبير من خرِّيجي الجامعات الراغبين في مثل هذه الدراسات.

الإنتاج العلمي

كتب الشيخ أبو زهرة مؤلفات كثيرة؛ حيث تناول الملكية، ونظرية العقد، والوقف وأحكامه، والوصية وقوانينها، والتركات والتزاماتها، والأحوال الشخصية في مؤلفات مستقلة. وتناول ثمانية من أئمة الإسلام وأعلامه الكبار بالترجمة المفصَّلة التي تُظهِرُ جهودهم في الفقه الإسلامي في وضوحٍ وجلاء، وهم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وزيد بن علي، وجعفر الصادق، وابن حزم، وابن تيمية. وقد أفرد لكلِّ واحد منهم كتابًا مستقلاًّ في محاولة رائدة ترسم حياتهم العلمية، وتُبرز أفكارهم واجتهاداتهم الفقهية، وتعرض لآثارهم العلمية التي أثَّرت في مسيرة الفقه الإسلامي.

وإلى جانب الفقه وقضاياه كان لأبي زهرة جهودٌ طيبة في التفسير والسيرة؛ فكان يفسر القرآن في أعداد مجلة "لواء الإسلام"، وأصدر كتابًا جامعًا بعنوان "المعجزة الكبرى" تناول فيه قضايا نزول القرآن وجمعه وتدوينه وقراءته ورسم حروفه وترجمته إلى اللغات الأخرى.

وختَم حياته بكتابه "خاتم النبيين" تناول فيه سيرةَ نبي الإسلام معتمدًا فيه على أوثق المصادر التاريخية، وكتب السُّنَّة المعتمدة، وقد طُبِعت هذه السيرة في ثلاثة مجلدات.

جهاده الفكري ومواقفه

كان أبو زهرة من أعلى الأصوات التي تُنادي بتطبيق الشريعة الإسلاميَّة في الحياة، وقرَّر أنَّ القرآن أمَر بالشورى؛ ولذا يجب أنْ يُختار الحاكم المسلم اختيارًا حرًّا؛ فلا يتولَّى أي سلطان حاكمًا إلا بعد أنْ يُختار بطريقة عادلة، وأنَّ اختيار الحكام الصالحين هو السبيل الأمثل لوقاية الشريعة من عبث الحاكمين، وكل تهاون في ذلك هو تهاونٌ في أصل من أصول الإسلام. ووقف أبو زهرة أمام قضية "الربا" موقفًا حاسمًا، وأعلن عن رفضه له ومحاربته بكلِّ قوَّة، وكشف بأدلَّة علمية فساد نظرية الربا وعدم الحاجة إليها، وأنَّ الإسلام حرَّم الربا حمايةً للمسلمين ولمجتمعهم.

ورأى بعض مَن لا علم لهم بالشريعة يكتبون في الصحف بأنَّ من الصحابة مَن كان يترك العمل بالنص إلى رأيه الخاص الذي اجتهد فيه إذا اقتضت المصلحة ذلك، واستشهدوا على ذلك بوقائع لعمر بن الخطاب حين أبطل العمل بحدِّ السرقة في عام الرمادة؛ فقام الشيخ بجلاء هذا الموقف، وبيَّن أنَّ المصلحة تعتمد على النص وترجع إليه، وأنَّ القول دونما نص أو قاعدة كليَّة إنما هو قول بالهوى؛ فأصول الفقه تستندُ على أدلَّة قطعية، وأنَّه لا يجوز أنْ يعتمد على العقل في إثبات حكم شرعي، وأنَّ المعول عليه في إثبات الأحكام الشرعية هو النصوص النقلية، وأنَّ العقل مُعِين له، وأبان الشيخ اليقظ أنَّ عمر بن الخطاب وأمثاله من مجتهدي الصحابة لم يتركوا العمل بالنص، وإنما فهموه فهمًا دقيقًا دون أنْ يبتعدوا عنه.

ضد عبدالناصر

كان الشيخ محمد أبو زهرة من أبرز معارضي الرئيس جمال عبد الناصر، ومن أكثرهم جدية والتزاماً بالمنهج، وقد عارضه صراحة في

ستة من توجهاته الكبرى على نحو ما سنرى، وقد عانى طيلة الستينيات بسبب آرائه الواضحة المعلنة، وحُرم من التدريس في الجامعة، كما حرم من إلقاء الأحاديث العامة في التليفزيون والإذاعة والصحف، وقُيدت حركته، ولقي من التجهيل والإبعاد قدراً كبيراً في الوقت الذي كان اسمه قد وصل إلى آفاق عالية، وفي الوقت الذي كانت قامته العلمية والفكرية قد وصلت إلى ذُراً رفيعة، وفي الوقت الذي وصل فيه تلاميذه في كلية الحقوق إلى أكبر المواقع التنفيذية والرسمية، لكنه في المقابل ظل مواظبا قدر ما استطاع على كل ما أمكنه من أنشطة اتصالية حفظت له مكانة كان يستحق أكبر منها.

فقد قد عرف الشيخ محمد أبو زهرة أولاً بأنه لم يتوان في انتقاد الدعوة إلى القومية العربية وكان يرى بعينه الناقدة لهذه الدعوة البراقة ما تحقق مع الزمن من المخاطر التي لا يمكن إنكارها.

كذلك جاهر الشيخ محمد أبو زهرة ثانياً برأيه المعارض لما تبناه الميثاق في شأن الاشتراكية العلمية، وجاهر الشيخ بأن هذا المصطلح يعني «المبادئ الشيوعية»، وبهذا الموقف الواضح كان أشهر من حارب القول باشتراكية الإسلام في فترة حرجة من تاريخ الحكم الشمولي، لكن أجهزة الدولة في ذكاء شديد وبمشورة شيوعية، لم تعن بمناقشة رأيه، ومن ثم بقي هذا الرأي رغم شهرته محدود التداول، وكان هذا الرأي هو سبب الخلاف الحاد بين الشيخ محمد أبو زهرة وبين نظام الرئيس عبد الناصر.

أما التوجه الأخطر من هذين، فكان موقفه الصارم على صعيد ثالث من قضية تحديد النسل حتى وإن تسمَّت بتنظيم الأسرة، على حين كانت الحكومة كلها بما فيها أجهزة وزارة الأوقاف تعيش في وهم ضرورة تنظيم الأسرة، وكأنه من العقائد المسلّم بها.

وعلى صعيد رابع يذكر للشيخ محمد أبو زهرة أنه انتقد في صراحة وصرامة السلوكيات السياسية التي كانت سائدة في كثير من الدول الإسلامية (ومصر في مقدمتها) والتي كانت تركز على مناوأة الدولة للخصوم السياسيين، وهي الفكرة الجاهلية التي عادت لتلقى قبولا من الدولة، وجاهر الشيخ محمد أبو زهرة بانتقاد ما سمي بأسلوب المخابرات وكتبة التقارير والجواسيس.

وعلى صعيد خامس وقف أبو زهرة من قضايا "فوائد البنوك " و"الربا" و"التأمين" موقفًا حاسمًا، وأعلن عن رفضه لكل المعاملات الربوية ومحاربته لها بكلِّ قوَّة، وكشف بأدلَّة علمية فساد نظرية الربا وعدم الحاجة إليها، وأنَّ الإسلام حرَّم الربا حمايةً للمسلمين ولمجتمعهم.

وعلى صعيد سادس اختلف الشيخ محمد أبو زهرة مع التوجهات الحكومية في الإسراع بإقرار مشروع القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ الخاص بإعادة تنظيم الأزهر والهيئات التابعة له، وكان يرى أن إصلاح الأزهر يجب أن يكون مشتقاً من رسالته، ولهذا كان يقترح أن يقوم

الأزهر بتثقيف أصحاب المهن من الأطباء والمهندسين بالثقافة الدينية، وذلك من خلال التحاق الحاصلين علي المؤهلات العليا من الجامعات وغيرها بالأزهر، ودراستهم مناهج خاصة لتثقيفهم دينياً، وذلك على خلاف الفكرة التي تم الأخذ بها وتم من خلالها إنشاء كليات للطب والهندسة والعلوم وغيرها في الأزهر الشريف.

قالوا عنه

قال عنه العالم السوري الدكتور مصطفى السباعي: "الأستاذ أبو زهرة مكتبة فقهية".

وعدَّه الأستاذ خير الدين الزركلي صاحب موسوعة «الأعلام» بمثابة أكبر علماء الشريعة في عصره.

وقال عنه الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين): في وجه الغمط والتجاهل نقول نحن عن الشيخ محمد أبو زهرة: إنه أمام من الأئمة، إمام وثيق في فقهه، دقيق

في علمه. إن الرجل الذي رمق بازدراء الساسة المستبدين، وأدار وجهه عنهم مستغنياً متأبياً ينبغي أن يكون أسوة حسنة لعلماء هذا العصر إن بقي منهم أحد.

وفاته

عقد الإمام محمد أبو زهرة في أواخر عام ١٩٧٣ وأوائل عام ١٩٧٤ العديد من الندوات والاجتماعات بجامعة القاهرة والإسكندرية وفي جمعية الشبان المسلمين لمحاربة التعدي على الشريعة الإسلامية، وكانت له صولات وجولات في مجمع البحوث الإسلامية والأزهر بخصوص تحديد النسل وتقييد تعدد الزوجات والطلاق في مشروع قانون الأحوال الشخصية لوزارة الشئون الاجتماعية، وقرر فضيلة الإمام إقامة مؤتمر شعبي لمناقشة هذا الأمر في سرادق كبير في شارع العزيز بالله أمام منزله بضاحية الزيتون، أقامه الإمام على نفقته الخاصة وقام فضيلته بمعاينة المكان وإنشاء السرادق مبكراً في صباح يوم الجمعة ١٢/ ٤/ ١٩٧٤ ثم عاد إلى حجرة المكتب بالدور العلوي وشرع في

إكمال تفسير سورة النمل حتى أذان الظهر، وأثناء نزول فضيلته حاملاً القلم والمصحف مفتوحاً على آخر ما وصل إليه في التفسير وأيضا الورق الذي به ما كتب من التفسير تعثر وسقط ساجداً على المصحف وعلى أوراق التفسير، ثم فاضت روحه إلى بارئها أثناء أذان المغرب. وأصبح السرادق نفسه سرادقاً للعزاء فيه.

هازم العلمانية

محمد عمارة

محمد عمارة مصطفى عمارة (١٩٣١ - ٢٠٢٠) مفكر إسلامي مصري، ومؤلف ومحقق وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وعضو هيئة كبار علماء الأزهر، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، ورئيس تحرير مجلة الأزهر حتى ١٦ يونيو ٢٠١٥.

ولد محمد عمارة في قرية صروة بريف مصر، التابعة لمركز قلين بمحافظة كفر الشيخ. وحفظ القرآن وجوّده في كُتَّاب القرية. بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية وهو صغير. وكان أول مقال نشرته له صحيفة (مصر الفتاة) بعنوان (جهاد عن فلسطين).

حصل على الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية ١٩٦٥ م من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة. ثم حصل على الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية من نفس الكلية عام ١٩٧٠، حصل على الدكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص فلسفة إسلامية عام ١٩٧٥ من نفس الكلية.

تحولاته الفكرية

مر الدكتور عمارة بتحولات فكرية عديدة، فيقول أكرم ذياب وقد نشر بحثاً موسعاً للرد على أفكار عمارة أن الأخير عاش سلسلة من التحولات الفكرية وقد مر بأطوار من الماركسية إلى الاعتزال فالسلفية إلى غير ذلك ويقول الدكتور محمد عباس: «إن محمد عمارة هو واحد من كوكبة لامعة صادقة هداها الله فانتقلت من الفكر الماركسي إلى الإسلام، وكانت هذه الكوكبة هي ألمع وجوه اليسار فأصبحت ألمع وجوه التيار الإسلامي، ودليلاً على أن خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام».

الإنتاج العلمي

حقق لأبرز أعلام اليقظة الفكرية الإسلامية الحديثة، جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي، وألف الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامي مثل: الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا، والشيخ محمد الغزالي، ورشيد رضا، وخير الدين التونسي، وأبو الأعلى المودودي، وسيد قطب، وحسن البنا، ومن أعلام الصحابة علي بن أبي طالب، كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي القديمة والحديثة وعن أعلام التراث من مثل غيلان الدمشقي، والحسن البصري.

من أواخر مؤلفاته في الفكر الحديث: الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديل الأمريكاني، والغرب والإسلام أين الخطأ وأين الصواب؟ ومقالات الغلو الديني واللاديني، والشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية،

أزمة الفكر الإسلامي الحديث، والإبداع الفكري والخصوصية الحضارية، وغيرها كثير.

أهم ما يميز فكره

إن أهم ما يميز فكره هو إيمانه ودفاعه عن وحدة الأمة الإسلامية، وتدعيم شرعيتها في مواجهة نفي البعض لها، حتى نعَت العلمانيون دكتور عمارة بأنه المنظِّر للحركة الإسلامية، ويقول هو: ذلك شرف لا أدَّعيه وهم لا يقصدون منه المديح وإنما استعداء السلطات ضدي.

الوسطية

وينتمي عمارة إلى المدرسة الوسطية ويدعو إليها، فيقول عنها إنها "الوسطية الجامعة" التي تجمع بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة فتكوِّن موقفاً جديداً مغايراً للقطبين المختلفين ولكن المغايرة ليست تامة، فالعقلانية الإسلامية تجمع بين العقل والنقل، والإيمان الإسلامي يجمع بين الإيمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة،

والوسطية الإسلامية تعني ضرورة وضوح الرؤية باعتبار ذلك خصيصة مهمة من خصائص الأمة الإسلامية والفكر الإسلامي، بل هي منظار للرؤية وبدونه لا يمكن أن نبصر حقيقة الإسلام، وكأنها العدسة اللامعة للنظام الإسلامي والفكرية الإسلامية. والفقه الإسلامي وتطبيقاته فقه وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير أو يجمع بين فقه الأحكام وبين فقه الواقع، ومن هنا فإن الله جعل وسطيتنا جعلا إلهيا: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

مناظرة معرض الكتاب

في ٨ يناير ١٩٩٢ نظمت الهيئة العامة للكتاب مناظرة على هامش معرض القاهرة الدولي للكتاب، حول الإسلام والعلمانية، بمشاركة الشيخ محمد الغزالي، والدكتور محمد عمارة، ومن العلمانيين الدكتور فرج فودة والدكتور محمد أحمد خلف الله القيادي في حزب التجمع اليساري، وقد حضر في هذه المناظرة أكثر من ثلاثين ألفاً من جماهير

المعرض من مصريين وعرب وأبناء العالم الإسلامي المبتعثين للدراسة في القاهرة.

وكان موضوع المناظرة هو الدولة الدينية والدولة المدنية، وكان فرج فودة أبرز الداعين لضرورة فصل الدين عن الدولة، ورأى الغزالي أن الاستعمار ألغى آية القصاص من القرآن، وأنه أجهز على التراث السماوي وألا تحكمنا شرائع السماء، وأن تحكمنا أهواء الناس، هكذا استهل الشيخ الغزالى المناظرة، وحينما جاء دور الحديث على المفكر الكبير فرج فودة كانت الأجواء ساخنة، وازدادت سخونتها بعدما تحدث الدكتور محمد عمارة، وهاجم العلمانية، فاستهل فرج فودة المناظرة بقوله: "أبدأ بملاحظة أوجهها للحاضرين، إن التصفيق والهتاف، سواء للتأييد أو الاعتراض، يدل على عدم ثقة الجمهور بمن يمثله على المنصة، وأعتقد أن هذا غير وارد". ويبدو أن هذه المناظرة كانت سبباً في اغتيال المفكر الدكتور فرج فودة.

عزة وكرامة

كان يتمتع بكرامة وعزة نفس أدت إلى تعرضه لحملات من التوبيخ والانتقادات. من ذلك رفضه للعرض المالي المغري الذي عرض عليه في إحدى دول الخليج، حين دعي إلى مؤتمر هناك، وعقب المؤتمر جاء إليه رئيس الجامعة ليقدم له شيكًا على بياض قائلًا له: "نتشرف بك لتعمل معنا وهذا العقد والشيك على بياض فاكتب العقد والمرتب الذي تريد ولن نناقشك"، لكن عمارة شكره واعتذر ورفض العرض وقال "أنا متفرغ للكتابة في مكتبتي".

وفي عهد الرئيس الراحل أنور السادات، حين مُنع أحد كتبه من النشر وتم كتابة مذكرة من الأمن رفعت إلى وزير الثقافة فحولها إلى جامعة الأزهر الذي بدوره حولها إلى مجمع البحوث فحولها المجمع إلى شيخ الأزهر ثم حولها الشيخ إلى رئيس الجمهورية، الشاهد هنا أن الباحث أراد أن يقول إن جميعهم خشوا مناقشة عمارة في مؤلفه، إيمانًا منهم بفشلهم في مجاراته، وفي النهاية أمر السادات بطباعة

الكتاب، وهنا يقول عمارة: "ظللت عامين كاملين في المواصلات والأتوبيسات أركب وأنزل منها وأنفق الوقت والمال إلى أن صدر القرار الرئاسي من الرئيس السادات بنشر الكتاب.

وكان عمارة من أشد المهاجمين للقومية العربية في بعض الفترات، وكانت نتيجة لذلك أن منع الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد كتب عمارة من دخول البلاد، وفي ذلك الحين كان العالم المصري ينشر كتبه في القاهرة ودمشق، لكن وفي إحدى المرات تصادف أن ذهب عمارة إلى أحد المؤتمرات الدولية التي كان الأسد حاضرًا فيها.

وكان برفقة الأسد أحد العلماء المقربين من عمارة، فطلب منه التوقيع على التماس يقدمه للرئيس السوري للعفو عنه والسماح بطباعة كتبه، وهنا كان رده قائلًا: "محمد عمارة لا يكتب التماسات إلى الرؤساء والملوك ليطلب منهم أي شيء" ثم غادر المؤتمر.

قالوا عنه

وصفه إبراهيم البيومي غانم قائلاً إن الدكتور عمارة كان من كبار رواد مدرسة الإصلاح والتجديد في العصر الحديث. وهو من الذين تابعوا وأضافوا على اجتهادات الإمام محمد عبده وغيره من رواد هذه المدرسة. ومن الذين كتبوا كثيراً، وحاضروا كثيراً، ونشروا أصول القضايا الكبرى التي اعتنت بها مدرسة الإصلاح والتجديد في العصر الحديث، وخاصة في القضايا المتعلقة بالمبادئ السياسية للرؤية الإسلامية؛ بأنها رؤية جوهرها الاعتدال، وسمتها الثقة بالذات الحضارية. رؤية تتوافق مع الفطرة الإنسانية وتتطابق معها. كان رحمه الله يؤكد هذه الصفات الأساسية، ويفند كل الدعاوى الأخرى التي تتطرف يميناً أو يساراً عن هذه المنطقة الوسطية.

وقال عنه محمد جمال حليم في مقال له بعنوان" وداعًا الدكتور محمد عمارة.. مفكر وهب حياته للدفاع عن أمته":" نبغ عالمًا ربانيًا محبًا للعلم يكرم العلماء ويتواضع لهم، أقبل على العلم نهمًا كأنما يلتمس

فيه ضالته. رؤي مشغولاً بهموم الأمة الإسلامية واضعًا على عاتقه همَّ إخراجها من العقبات التي ابتليت بها ولا تزال، فدافع عن الإسلام بقلمه وحرر الكثير من الشبهات التي تعترض طريقه وعقد من أجل ذلك الكثير من المناظرات الفكرية للذود عن الإسلام وتنقيته من شبهات المغالين والمنحرفين من العلمانيين والملاحدة".

الوفاة

توفي عمارة في مساء يوم الجمعة ٢٨ فبراير عام ٢٠٢٠، بعد فترة من المرض لمدة ثلاثة أسابيع. وقد وُوري الثرى في بلدته صروة بمحافظة كفر الشيخ.

وقد نعت مشيخة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر وفاة عمارة، وقال الأزهر في بيان له: «إن رحيل الدكتور محمد عمارة ترك فراغًا يصعب ملؤه في صفوف كبار العلماء الذين يحملون على عاتقهم أمانة العلم، وصدق الكلمة»، كما نعته جامعة الأزهر ممثلة في رئيسها وعمداء الكليات.

أبو الصحافة الإسلامية

محب الدين الخطيب

محب الدين الخطيب (١٨٨٦ - ١٩٦٩م)، أديب وكاتب وصحفي ومحقق وناشر وداعية إسلامي سوري، من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، صاحب المكتبة السلفية ومطبعتها بمصر،، أصدر جريدة القبلة الناطقة باسم حكومة الحجاز بطلب الحسين بن علي شريف مكة، غادر دمشق عام ١٩٢٠م عندما دخلها الفرنسيون وانتقل إلى مصر واستقرّ في القاهرة حيث عمل في تحرير جريدة الأهرام وأصدر مجلة الزهراء،، ثمّ أسس جريدة الفتح، ثمّ تولّى تحرير مجلة الأزهر، كان مدافعاً عن قضايا العروبة والإسلام، وساهم من

خلال المكتبة السلفية ومطبعتها بإصدار الكتب والنشرات وتحقيق كتب التراث الإسلامي.

ولادته وأسرته

ولد في حي القيمريّة بدمشق في شهر رجب سنة ١٨٨٦م. أصل أسرته من بغداد من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني، هاجرت أسرته إلى حماة في بلاد الشام، ونزح فرع منها إلى قرية "عذراء" وفريق إلى مدينة دمشق. وهو خال الشيخ علي الطنطاوي.

نشأ في أسرة دينية، ذات علم، فقد كانت أمه صالحة ذات فضل، توفيت في الفلاة بين مكة والمدينة بريح السموم، وهي راجعة من فريضة الحج في ركب المحمل الشامي، وكان محب الدين صغيراً في حجرها ساعة موتها. كفله والده ليعوضه حنان الأم، وعند رجوعه إلى دمشق من رحلة الحج ألحقه والده وهو في السابعة بمدرسة الترقي النموذجيّة، وحصل منها على شهادة إتمام المرحلة الابتدائيّة بدرجة جيد جداً، ثمّ التحق بمدرسة مكتب عنبر، وبعد سنة توفي والده.

طلبه للعلم

رأت أسرته أن يترك المدرسة، فتركها ولازم العلماء، وكان في هذه الفترة الشيخ طاهر الجزائري مشرفاً على المكتبات والمدارس في بلاد الشام غائباً عن دمشق، فلمّا عاد – وكانت بينه وبين أبي الفتح الخطيب صلة ومودة وإخاء –، فلمّا علم بموت والد محب الدين احتواه، وعطف عليه، ووجهه نحو العلم لينهل منه، ويتضلّع من مشاربه، وغرس فيه حب قراءة التراث العربي الإسلامي وبث فيه حب الدعوة إلى الله وحرّضه على إيقاظ العرب ليقووا على حمل رسالة الإسلام، فهم مادة الإسلام.

ولذلك كان يقول العلامة محب الدين الخطيب: «من هذا الشيخ عرفت إسلامي وعروبتي». وسعى شيخه الجزائري ليخلف محب الدين أباه في دار الكتب الظاهريّة على أن ينوب عنه من يقوم بها حتى يبلغ سن الرشد.

رحلاته العلميّة والدعويّة

بعد أن أنهى الخطيب دراسته الثانويّة عام ١٩٠٦م في بيروت، انتقل إلى عاصمة الخلافة إسطنبول المعروفة يومئذٍ ب«الأستانة»، وهي «القسطنطينيّة» والتحق بكليتي الآداب والحقوق. ونزل هناك في حي يكثر فيه أبناء العرب وطلاب العلم، ورأى هناك أمراً عجباً: الطلاب العرب يجهلون قواعد لغتهم وإملاءها، وآدابها، ويتكلّمون بينهم برطانة الترك، فانتخب الشيخ محب الدين الخطيب من الشباب العرب طائفة أقنعها بوجوب تعلّم لسان العرب، واتفق مع صديقه الأمير عارف الشهابي أن يعلما هؤلاء الشباب العرب لغتهم، وبعد فترة أسسوا «جمعية النهضة العربيّة»، وكان صديقه العلامة الأستاذ محمد كرد علي يرسل إليهم الصحف بالبريد.

شعر الأتراك الاتحاديّون الذين انقلبوا على الخلافة العثمانيّة بكيد من يهود الدونمة، وأبقوا للخليفة الاسم وهم الرسم، وشعروا بنشاط «جمعيّة النهضة العربيّة» فداهموا غرفة الشيخ محب الدين الخطيب،

ووجدوا فيها أوراقاً وصحفاً عربيّة، وكاد الشيخ أن يهلك لولا أنّ الله قيّض له رجلاً كانت تربطه بأسرته روابط قويّة، ولقد اشتدت الرقابة الاتحاديّة على الشيخ فغادر الأستانة بعد الانتهاء من السنة الثالثة إلى دمشق.

اختير الشيخ للعمل في اليمن وانتقل إليها، ومرّ أثناء ذلك بمصر حيث التقى بشيخه طاهر الجزائري وصديقه محمد كرد علي، واتصل بأعلام الفكر والأدب.

لما وصل إلى اليمن اتصل بشوقي مؤيد العظم قائد الحديدة: الفرقة الرابعة عشر في الجيش العثماني. ثم لما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م رجع إلى دمشق، وأصبح يطالب معه إخوانه هناك بحقوق العرب التي تنكرت لها حركة التتريك، وفي هذه الرحلة شارك في تحرير جريدة هزلية «كار الخرج»، فانتبهت السلطات الحكوميّة للجريدة، فسافر الشيخ محب الدين إلى بيروت، فأمرت الحكومة بملاحقته، فانتقل إلى القاهرة وهناك شارك في جريدة المؤيد، وفي سنة ١٩١٣م

أسس الشيخ محمد رشيد رضا مدرسة الدعوة والإرشاد فدرس فيها الشيخ محب الدين.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى وأعلنت الثورة العربية الكبرى طلبه الشريف الحسين بن علي برقياً فسافر إلى مكة فأسس المطبعة الأميريّة، وأصدر جريدة القبلة الناطقة باسم حكومة الحجاز، وكان الشريف حسين يستشيره في كثير من الأمور الخارجيّة مع الشيخ كامل القصاب. ولما دخل جيش العرب مدينة دمشق عام ١٩١٨م بقيادة الأمير فيصل عاد الشيخ محب الدين الخطيب، وأنيطت به إدارة وتحرير الجريدة الرسميّة للحكومة باسم العاصمة.

وعندما دخل الفرنسيون عام ١٩٢٠م دمشق غادرها الشيخ محب الدين إلى مصر واستقرّ في القاهرة حيث عمل في تحرير جريدة الأهرام خمس سنوات، وهناك أسس المكتبة السلفيّة ومطبعتها، وقام بطباعة الكتب السلفيّة، ونشر كثيراً منها، وأصدر مجلة الزهراء، وهي مجلة أدبيّة اجتماعيّة دامت خمس سنين، ثمّ أسس جريدة الفتح، ثمّ تولّى

تحرير مجلة الأزهر ست سنوات، كان صاحب فكرة تأسيس جمعية الشبان المسلمين، وأحد مؤسسيها البارزين، وأمين سرّها.

أحدث قيام جمعية الشبان المسلمين في القاهرة ردة فعل شديدة لدى دعاة الإلحاد والعلمانيين والمبشرين، فتربصوا به حتى وجهوا أنظار النيابة العامّة إلى مقال كتبه بعنوان: «الحرية في بلاد الأطفال» نال فيه من كمال أتاتورك فقبض عليه وحكم عليه بالسجن لمدة شهر.

جهوده وآثاره العلميّة

نشر في مجلة المؤيد كثيراً من أعمال المبشرين البروتستانت نقلاً عن مجلتهم «مجلة العالم الإسلامي» الفرنسيّة، وفضح ما يراد بالمسلمين من حشر على أيديهم وعقولهم الملوثة، فكان من نتاج ذلك «الغارة على العالم الإسلامي» الذي كان له دوي في العالم الإسلامي.

ضد الصهيونيّة

كان الشيخ من أوائل العلماء الذين تنبّهوا لأخطار الصهيونيّة، وحذروا منها، وكشفوا الغطاء عن حقائقها وأسرارها، ومحاولة اليهود في الوصول إلى فلسطين عام ١٨٤٤م ومطالبتهم لمحمد علي باشا بفلسطين، وما كان بينهم وبين السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٢م، ومقالاته في الفتح شاهد صدق على ذلك.

ضد المستعمر الفرنسي

كان الشيخ محب الدين الخطيب مشرف اللجان التي تشكلت لجمع المال من أجل المجاهدين الذين يستعدون لملاقاة الفرنسيين الغزاة في ميسلون قرب دمشق.

نقده للمذهب الشيعي الإثنا عشري

استطاع أحد علماء الشيعة وهو الشيخ «محمد القمي» في عام١٩٤٧ م بعد قدومهِ إلى مصر إنشاء دار التقريب وأصدر مجلة

اسمها "رسالة الإسلام" واستأجر شقة في حي الزمالك حيث كان الغرض منها التواصل بين المذاهب الإسلامية المختلفة، والتعارف فيما بينهم. كان الشيخ محب الدين الخطيب من المتعصبين ضد هذه الفكرة حيث قال: «انفض المسلمون جميعاً من حول دار التخريب التي كانت تسمى دار التقريب ومضى عليها زمن طويل والرياح تصفر في غرفها الخالية تنعى من استأجرها»، ثم يذكر أنه لم يبق متعلقاً بعضويتها إلا بعض المنتفعين مادياً في ولاء انتمائهم إلى هذه الدار، وأن العلماء المخلصين من أهل السنة انكشف لهم المستور من حقيقة دين الرافضة، ودعوة التقريب التي يريدها الرافضة، فانفضوا عن الدار وعن الألاعيب التي يراد إشراكهم في تمثيلها، ثم يقول: فلم يبق موضع عجب إلا استمرار النشر الخادع في تلك المجلة ولعل القائمين يضعون لها حداً. وهذه المجلة رسالة الإسلام توقفت عن الصدور في ١٧ رمضان ١٣٩٢ هـ وكان آخر عدد هو العدد (٦٠).

جهوده في نشر عقيدة أهل السنة

أسس الخطيب (المكتبة السلفية ومطبعتها) بأموال تحصَّل عليها من بيعه منزلًا له بدمشق، فجعلها كبرى وسائله في تحقيق أهدافه؛ إذ جعل ينشر فيها من كنوز التراث الإسلامي عشرات الكتب، ويطبع فيها رسائل من تأليفه وتأليف كبار العلماء والمفكرين من إخوانه وقام من خلالها بما يلي:

- نشر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية.
- دفاعه عن الصحابة ورد الشبهات عنهم ويتجلى ذلك في نشره كتاب العواصم من القواصم، وهو كتاب كذب فيهِ الروايات التي تتحدث عن ما حصل بين الصحابة من فتن وانشقاق.
- نشره كتاب فتح الباري مع تعليقات الإمام ابن باز.

- تواصله مع العلماء والدعاة السلفيين وتشجيعهم، ومن ذلك رسالته للشيخ الألباني كما في مقدمة كتاب «آداب الزفاف».

جهوده في الصحافة

كانت جهوده في الصحافة متواصلة منذ بواكير شبابه ففي عام ١٩٠٨ شارك عمال صحيفة (القبس) في تحرير عدد هزلي انتقادي لبعض تصرفات الحكومة ورجالها سماه (طار الخرج) فانتشر أيما انتشار ونفدت طبعاته، فتبعت السلطات محرريه، فسافر الشيخ محب الدين إلى بيروت، فأمرت الحكومة بملاحقته، فانتقل إلى القاهرة وهناك شارك في جريدة المؤيد المصرية التي نشر فيها كثيراً من أعمال المبشرين البروتستانت نقلاً عن مجلتهم «مجلة العالم الإسلامي» الفرنسيّة، وفضح ما يراد بالمسلمين.

طلبه الشريف الحسين بن علي برقياً فسافر إلى مكة فأسس المطبعة الأميريّة، وأصدر جريدة القبلة الناطقة باسم حكومة الحجاز، وكانت

صحيفة دينية سياسية واجتماعية وإخبارية تصدر مرتين في الأسبوع، كما أصدر صحيفة (الارتقاء) في شوال سنة (١٩١٧م) وكانت صحيفة أدبية وتاريخية أسبوعية.

ولما دخل جيش العرب مدينة دمشق عام ١٩١٨م بقيادة الأمير فيصل عاد الشيخ محب الدين الخطيب اليها، وأنيطت به إدارة وتحرير الجريدة الرسميّة للحكومة السورية باسم «العاصمة».

بعد قدومه إلى القاهرة مجدداً عام ١٩٢٠ عمل في تحرير جريدة الأهرام خمس سنوات. وحتى أواخر عام ١٩٢٥م، وقد هاجم الصحيفة لاحقاً ورد على كُتَّابها؛ مبررًا ذلك في مقال (الأهرام شرُّ وسيط بين الإسلام وفرنسا) المنشور بصحيفة الفتح: (لأني رجل عرفتُ ديني قبل أن أعرف جريدة الأهرام ومَن فيها، فلا أخذل صديقي القديم لأحظى برضا غيره).

أصدر مجلة (الزهراء) من خلال مطبعته في محرم سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م)؛ وكانت مجلة دينية أدبية واجتماعية تصدر مرتين في الشهر ودامت خمس سنين.

وفي ذي الحجة من عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م) أصدر صحيفة (الفتح) الأسبوعية، وكانت الصحف الإسلامية المتميزة التي ظهرت في العالم العربي، وكانت تُعنَى بالتاريخ والأحداث السياسية والاجتماعية، واستمرت صحيفة الفتح تصدر أكثر من عشرين عامًا، وقد استقطبت هذه الصحيفة أشهر كُتّاب العالم الإسلامي آنذاك، وتصدت للدفاع عن حقائق الإسلام وحقوق المسلمين. وقد بيَّن رحمه الله سبب إصداره تلك الصحيفة في إحدى افتتاحياتها فقال: "إن الفتح أُنشئت لمماشاة الحركة الإسلامية وتسجيل أطوارها، ولسد الحاجة إلى حادٍ يترنم بحقائق الإسلام مستهدفًا تثقيف النشء الإسلامي وصبغه بصبغة إسلامية أصيلة يظهر أثرها في عقائد الشباب وأخلاقهم وتصرفاتهم وحماية الميراث التاريخي الذي وصلت

أمانته إلى هذا الجيل من الأجيال الإسلامية التي تقدمته"، ثم اضطر الخطيب إلى إيقاف إصدار الصحيفة في أواخر سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)، يقول: "أوقفتها حينما أصبح حامل المصحف في هذا البلد مجرمًا يفتَّش ويعاقَب".

تولى رئاسة تحرير مجلة (الأزهر) التي كانت تصدر عن مشيخة الأزهر، وكانت مجلة دينية وأدبية شهرية، وظل في منصبه هذا طيلة ست سنوات في ما بين عامي (١٩٥٢ - ١٩٥٨م)، وعلى أثر سوء تفاهم مع القائمين على الأزهر استقال من رئاسة تحرير مجلة الأزهر.

اعتزاله ووفاته

انزوى الشيخ في آخر حياته في مكتبته وقطع صلته بالناس وانكب على التأليف والتحقيق، وكانت نزهته يوم الجمعة بعد صلاة العصر؛ حيث يذهب إلى سوق الكتب المقام على سور حديقة (الأزبكية) في القاهرة ويشتري الكتب المختلفة وقد ثابر على هذه العادة إلى ما قبيل وفاته.

تُوُفِّيَ يوم الثلاثاء ٢١ شوال سنة ١٣٨٩ هـ، الموافق ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٦٩م، بمستشفى الكاتب بالدقي في مصر بعد إجراء عمليَّة جراحيَّة، وهو ابنُ ثلاثٍ وثمانينَ سنة، بعد أن أمضى حياة مَلْأَىٰ بالعمل والنَّشاط.

آثاره العلميّة

ترك الشيخ محب الدين مؤلفات إسلامية عدة تدل على عبقريّته وموسوعيّته كما قال أنور الجندي: «وبالجملة فإنّ السيد محب الدين الخطيب وآثاره تعد رصيداً ضخماً في تراثنا العربي، وفكرنا الإسلامي، وقد أضاف إضافات بناءة، وقدم إجابات عميقة، وزوايا جديدة لمفاهيم الثقافة العربيّة وقيمها الأساسيّة».

شاعر الإسلام

محمد إقبال

محمد إقبال بن الشيخ نور محمد، ولد في سيالكوت إحدى مدن البنجاب الغربية في ٩ نوفمبر ١٨٧٧م وهو المولود الثاني من الذكور.

رحل إقبال إلى أوروبا وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة ميونخ في ألمانيا، وعاد إلى وطنه ولم يشعر إلا أنه خلق للأدب الرفيع وكان وثيق الصلة بأحداث المجتمع الهندي حتى أصبح رئيساً لحزب العصبة الإسلامية في الهند ثم العضو البارز في مؤتمر "الله أباد" التاريخي حيث نادى بضرورة انفصال المسلمين عن الهندوس ورأى تأسيس دولة

إسلامية اقترح لها اسم باكستان، توفي إقبال ١٩٣٨ بعد أن اشتهر بشعره وفلسفته.

رحلته في طلب العلم

بدأ محمد إقبال تعليمه في سن مبكرة على يد أبيه، ثم التحق بأحد مكاتب التعليم في سيالكوت وفي السنة الرابعة من تعليمه رأى أبوه أن يتفرغ للعلم الديني، ولكن أحد أصدقاء والده وهو الأستاذ مير حسن لم يوافق، وقال: "هذا الصبي ليس لتعليم المساجد وسيبقي في المدرسة وانتقل إقبال إلى الثانوية؛ حيث كان أستاذه مير حسن يدرس الآداب العربية والفارسية، وكان قد كرس حياته للدراسات الإسلامية.

بدأ إقبال في كتابة الشعر في هذه المرحلة المبكرة، وشجعه على ذلك أستاذه مير حسن، فكان ينظم الشعر في بداية حياته بالبنجابية، ولكن السيد مير حسن وجهه إلى النظم بلغة الأوردو، وكان إقبال يرسل قصائده إلى ميرزا داغ دهلوي الشاعر البارز في الشعر الأوردو

حتى يبدي رأيه فيها، وينصحه بشأنها وينقحها، ولم يمضِ إلا فترة بسيطة حتى قرر داغ دهلوي أن أشعار إقبال في غنى تام عن التنقيح، وأتم إقبال دراسته الأولية في سيالكوت، ثم بدأ دراسته الجامعية باجتياز الامتحان العام الأول بالكلية الحكومية ١٨٩١م، التي تخرج فيها وحصل منها على إجازة الآداب ١٨٩٧م، ثم حصل على درجة الماجستير ١٨٩٩ م، وحصل على تقديرات مرموقة في امتحان اللغة العربية في الكلية الحكومية.

وتلقى إقبال دراساته الفلسفية في هذه الكلية على يد الأستاذ توماس أرنولد، وكان أستاذًا في الفلسفة الحديثة وفي الآداب العربية والعلوم الإسلامية في جامعة لندن.

وبعد أن حصل إقبال على الماجستير عُين عميدًا للعربية في الكلية الشرقية لجامعة البنجاب، وحاضر حوالي أربع سنوات في التاريخ والتربية الوطنية والاقتصاد والسياسة، وصنف كتابًا في "علم الاقتصاد" ولم يصرف التدريس محمد إقبال عن الشعر، بل ظل يشارك

في محافل الأدب وجلسات الشعر، والتي يسموها في شبه القارة "مشاعرة".

رحلاته إلى العالمين الغربي والعربي

غادر إقبال لندن إلى القارة الأوروبية وزار عددًا من بلداها، وكان في كل أسفاره يعمل على نشر الإسلام، وأثر بشعره وأسلوبه في كثير من الأوروبيين ومنهم موسوليني حيث وجه له دعوة عقب مشاركته في مؤتمرات المائدة المستديرة في لندن عامي (١٩٣٠ ١٩٣١).

وكان منظم الزيارة الدكتور سكاربا حيث كان معجبًا بفكر إقبال وإيمانه بالإنسان وقدراته، وذهب بالفعل إلي إيطاليا والتقى بموسوليني وألقى محاضرة في روما يبين فيها الفرق بين مذهب كل من الحضارة الغربية والشيوعية والحضارة الإسلامية. ووضح فيها رأيه حول أسباب تخلف المسلمين وأن من أهم أسباب هذا التخلف هو البعد عن دينهم، وذكَّر الناس بماضي المسلمين وحضارتهم، ثم زار إقبال إسبانيا في عام ١٩٣٢م بعد أن حضر مؤتمر الدائرة المستديرة الثالث، وحرص

على مشاهدة المعالم الإسلامية هناك فوقف أمام جامع قرطبة وقفة مؤمن شاعر ومما قاله في قرطبة:

لحورية الغرب وجه جميلْ وجناتها أذنت بالرحيلْ

على العين والقلب كن ذا حذرْ سماؤك فيها جمال القمرْ

ويقصد بحورية الغرب هنا قرطبة.

في حضرة الأدب

كتب إقبال اشعاراً كثيرة يحث المسلمين منذ أول نشوئه الفكري والشعري وجاء في ديوانه صلصلة الجرس قصيدة ترجمها الشاعر المصري الصاوي شعلان تحت عنوان شكوى وجواب شكوى وتبدأ الشكوى بكلمة حديث الروح ولذلك سميت أغنية أم كلثوم لأبيات مختارة من القصيدتين باسم حديث الروح.

من أقواله في مسجد قرطبة

نسيمك عذب رقيق الهبوبْ   أيا جامعًا فيك جمع القلوبْ
أيًا جامعي خصني بالنظرْ   أنا المؤمن الحق فيمن كفرْ
لكم حسن شوقًا لرب العبادْ   وإيمانه زاد دوما وزادْ

وقصيدة شكوى وجواب شكوى يضعها بعض الباحثين بين روائع الأدب العالمي، ومما قاله في قصيدة شكوى:

كنا جبالاً في الجبال وربما   سرنا على موج البحار بحارا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا   قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم تنس إفريقا ولا صحراؤها   سجَداتنا والأرض تقذف نارا
وكأن ظل السيف ظل حديقة   خضراء تنبت حولنا الأزهار
لم نخش طاغوتاً يحاربنا ولو   نصب المنايا حولنا أسوارا

ندعو جهاراً لا إله سوى الذي صنع الوجود وقدَّر الأقدارا

ورؤوسنا يا رب فوق أكفنا نرجو ثوابك مَغنماً وجوارا

كنا نرى الأصنام من ذهب فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا

لو كان غير المسلمين لحازها كنزًا وصاغ الحلْيَ والدينارا

زار إقبال أفغانستان على إثر دعوة وجهها له نادر شاه ملك أفغانستان ومر في إحدى رحلاته على مصر، وقابل بعض شبابها وأعجب بشاب مصري، ويقول: إن الشاب فرح جدًا عندما علم أن إقبال مسلم ويقرأ القرآن، وقيل: إن إقبال لبس الطربوش بسبب المحادثة التي دارت بينه وبين هذا الشاب، ويذكر الأستاذ أبو الحسن الندوي أنه زار فلسطين في سنة ١٩٣١م، وكان مما قاله إقبال وهو في فلسطين:

ولما نزلنا منزلاً طله الندى أنيقًا وبستانًا من النور حاليا

أجدَّ لنا طيبُ المكان وحسنُه مُنىً فتمنينا فكنت الأمانيا

عودته إلى وطنه

عاد إقبال إلى شبه القارة في شهر يوليو ١٩٠٨م بعد أن قضى مدة في أوروبا ما بين دراسات علمية وزيارات لدول عربية وإسلامية، وأفادته هذه المدة في التدرب على منهج البحث والإلمام بالفلسفة الغربية ومكث في لاهور، وقدم طلباً لتسجيله محاميًا لدى القضاء الرئيسي، وتم تسجيله بالفعل، ولكن في مايو ١٩٠٩م عُيِّنَ أستاذًا في الفلسفة في كلية لاهور، ولم توافق المحكمة في أول الأمر على أن يتولى منصبين في الحكومة، ولكنها في نوفمبر ١٩٠٩م وافقت على تعيينه، وصدر قرار تحت عنوان: "الموافقة على تعيين محامٍ في المحكمة كأستاذ مؤقت في كلية الحكومة، وكان ذلك استثناءً لإقبال، وهذا يصور لنا مدى أهمية إقبال ومكانته في البلاد.

استمرت هذه الثنائية حوالي عامين ونصف استقال بعدها من العمل بالتدريس؛ ليكون أكثر تفرغًا للمحاماة وممارسة القانون؛ وذلك نتيجة لحبه لمهنة المحاماة والحقوق، وكان يتابع المؤتمرات والاجتماعات التي

كانت تعقدها الجامعة؛ حيث كان له دور واضح في إصلاح حالة التعليم في بلده في هذا الوقت.

مرضه واعتزاله المحاماة

اجتمع المرض على إقبال في السنوات الأخيرة من عمره، فقد ضعف بصره لدرجة أنه لم يستطع التعرف على أصدقائه بسهولة، وكان يعاني من آلام وأزمات شديدة في الحلق؛ مما أدى إلى التهاب حلقه، وأدى بالتالي إلى خفوت صوته، مما اضطره إلى اعتزال مهنة المحاماة، وفكر في أن يقصد فيينا طلبًا للعلاج إلا أن حالاته المادية لم تسمح بذلك، وتدخل صديقه رأس مسعود؛ حيث اقترح على يهوبال الإسلامية أن تمنحه راتبًا شهريًا من أجل أطفاله الذين ما زالوا صغارًا وحدث ذلك بالفعل واستمر الراتب حتى بعد وفاة إقبال.

وفي ٢١ أبريل ١٩٣٨ في تمام الساعة الخامسة صباحًا توفي محمد إقبال، فتأثرت بلاده بذلك فعطلت المصالح الحكومية، وأغلقت

المتاجر أبوابها واندفع الناس إلى بيته، ونعاه قادة الهند وأدباؤها من المسلمين والهندوس على السواء، ويقول عنه طاغور شاعر الهند:

لقد خلفت وفاة إقبال في أدبنا فراغًا أشبه بالجرح المثخن الذي لا يندمل إلا بعد أمد طويل، إن موت شاعر عالمي كإقبال مصيبة تفوق احتمال الهند التي لم ترتفع مكانتها في العالم".

آثاره ومؤلفاته

ترك إقبال ثروة ضخمة من علمه فمن آثاره: عشرون كتابًا في مجال الاقتصاد والسياسة والتربية والفلسفة والفكر وترك أيًضا بعض الكتابات المتفرقة وبعض الرسائل التي كان يبعث بها إلى أصدقائه أو أمراء الدول، ذلك إلى جانب روائعه من الشعر والتي كني بسببها (شاعر الإسلام).

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: "ومن دواعي العجب أن كل هذا النجاح حصل لهذا النابغة، وهو لم يتجاوز اثنين وثلاثين عامًا من عمره".

مدرسته العربية

تأثر بمدرسته في الأدب العربي عدد من الأدباء العرب الذين مزجوا بين الإسلامية والفلسفة ومنهم: مصطفى المنفلوطي، أحمد أمين، مصطفى صادق الرافعي، عمر بهاء الدين الأميري وآخرون.

حامل هموم الأمة

السيد نوح

ولد السيد محمد السيد نوح في عزبة السباعي الشهيرة ب"عزبة غانم" التابعة لقرية الكوم الطويل في مركز بيلا بمحافظة كفر الشيخ في جمهورية مصر العربية في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٦٥هـ الموافق ٢٤ أبريل ١٩٤٦م لأسرة ريفية فقيرة؛ الأب فيها يعمل بالزراعة، وله عشرة إخوة: خمسة أشقاء، وخمسة غير أشقاء؛ وكان شيخنا أكبر إخوته سنًّا؛ حيث تزوج من أخت الشيخ زين العشري أحد زملائه الذين كان يحبهم ويتأثر بهم، وأقام في المحلة الكبرى بمحافظة الغربية، وأنجب عشرة من الأولاد: تسعة ذكور، وبنتًا واحدةً.

أتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمانية أعوام، ثم انتقل إلى المعهد الأزهري الابتدائي بكفر الشيخ، ثم إلى معهد المحلة الأزهري الثانوي ليحقِّق في الثانوية الأزهرية ترتيب الأول على محافظته والثالث على الجمهورية، ثم تخرَّج في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة، وتدرج حتى حصل على العالمية "الدكتوراه" عام ١٩٧٦م.

وقد حمل سيد نوح هموم أسرته الفقيرة منذ الصغر، فكان يشارك في إعالتها عبر المكافآت (٤٥ جنيهًا مصريًّا) التي كان يتقاضاها من الأزهر بحكم تفوقه الدراسي حتى كان هدفه من حصوله على الماجستير والدكتوراه- إلى جانب تحصيل العلم- تحسين حاله وحال أسرته الاقتصادي.

تأثر في المرحلة الثانوية تأثرًا كبيرًا بالشيخ إبراهيم خميس، ثم بالشيخ عبد الفتاح سلطان، وهيَّأ له القَدَر في مرحلة الدكتوراه أن يقرأ كتاب: "العبادة في الإسلام" للشيخ يوسف القرضاوي الذي أثَّر فيه تأثيرًا كبيرًا، وأدرك من خلاله سر وجوده ومهمته في الحياة.

كان الشيخ موغلاً في التصوف، وكان صادقًا في تصوفه، وكان شيخه في هذا الشيخ عبد السلام أبو الفضل إمام مسجد العباسي في المحلة الكبرى بمحافظة الغربية في ذلك الوقت الذي تتلمذ على يديه هو ومحمد محمد الشريف، وحسن الحفناوي، وكان الشيخ سيد - يرحمه الله- متابعًا للمجلات الإسلامية التي كانت تصدر في ذلك الوقت والتي كان لها دور بارز في تفتيح آفاقه ليطل منها على قضايا الأمة، ويصبح داعيةً شاملاً؛ يحمل هموم أمته بعد أن كان مجرد واعظ وأكاديمي، فتفجَّرت فيها طاقاته الدعوية، وملكاته الإيمانية والتربوية، وانطلق انطلاقته المباركة حتى قُطعت أنفاس كل من كان يعمل معه، ولقي الله وهو على ذلك.

بعد تعيينه بعامَين مدرِّسًا بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة، استقدمه الشيخ رءوف شلبي وكيلاً لأصول الدين في المنصورة لمساعدته في تنفيذ برنامجه التربوي هناك، ثم انتُدب أستاذًا زائرًا في كلية الشريعة بدولة قطر عام ١٩٨١م، ثم انتقل إلى الإمارات عام

١٩٨٢م، ومكث فيها حتى عام ١٩٩٣م، وهو العام الذي انتقل فيه إلى كلية الشريعة بجامعة الكويت أستاذًا للحديث وعلومه إلى أن وافته المنية.

صفاته الإنسانية والخلقية

تمتع الشيخ بمجموعةٍ من الصفات أجمع عليها كل من عرفه، حتى إن من اقترب منه وتعامل معه لا يملك إلا أن يتمثَّل ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض". ونحسب أن الشيخ قد وُضِع له القبول في الأرض بما آتاه الله من صفات كريمة وخلال حميدة، ومن أهم هذه الصفات:

الإخلاص: ومع أن الإخلاص سرٌّ بين العبد وربه؛ لا يستطيع أحد أن يقطع به، فإن له آثارًا وشواهدَ تدل عليه، وأعمالاً ومظاهر تقود

إليه؛ منها أن كلامه كان يمس شغاف القلوب بالرغم من أنه كلام يقوله غيره لكن لا يكون له مثل هذا الأثر، ومنها مشهده في الصلاة الذي كان يزيد من رآه إيمانًا، وكان كثير البكاء كما سبق القول.

وكان من أهل الليل، ومن أهل القرآن؛ حيث كان حريصًا على وِرْد القراءة ووِرْد المراجعة، فكان وِرْده اليومي ستة أجزاء التزم بها حتى في أيام مرضه، أما في رمضان فقد كان له مع القرآن شأن آخر؛ حيث كان التهجد عنده يبدأ من أول رمضان، وله في رمضان ثلاث ختمات: الختمة الأولى في العشرين الأوائل، والختمة الثانية في العشر الأواخر، والختمة الثالثة في صلواته فرائض ونوافل أثناء نهار رمضان وليله، هذا في الصلوات، أما في ورد القراءة اليومي فقد كان يختم القرآن كل ثلاثة أيام من أيام رمضان.

ومنها التواضع: فكان تواضعه لا يصدر عن تكلُّف أو تصنُّع أو مجاملة، بل كان تواضعًا صادقًا خالصًا حقيقيًّا غير مشوب بما يكدِّر صدقه وصفاءه.

وقد قاده هذا التواضع إلى صفة أخرى هي صفة إنكار الذات؛ فكان لا يرى لنفسه حقًّا عند أحد، ولا يرى ذاته ولا عمله في أي مقام، بل كان يشعر مع نفسه، ويُشعر غيره بالتقصير في جنب الله وفي حق الإسلام ودعوته، حتى إنه كان يعتذر مبكرًا للمتحدثين معه إذا ظهر خلافٌ في معرض الأحاديث الخاصة حتى لو لم يكن مخطئًا؛ إنجازًا للمهام، وحرصًا على الوقت، وتنازلاً عن حق نفسه، وسدًّا لباب الجدل والمراء الذي لا يأتي بخير، كما كان يعتذر عن إخوانه ويتنازل عن حظه من أجلهم، ويعطي من حقه لحقوقهم؛ إيثارًا وحبًّا، وبغيةً في ثواب الله.

ومن الصفات الإنسانية التي تميَّز بها الشيخ الدكتور نوح: السماحة والحلم، فكان سمحًا مع كل الناس، حليمًا عليهم، بالرغم من غلظة بعضهم وجلافة بعض آخر، ومع علمه بحقيقة كل من يعامله كان يبادل المسيء إحسانًا، والمحسن إحسانًا مضاعفًا، حتى أحبه غير المسلمين.

ولعل أبرز الصفات التي تمتع بها أنه كان دائمًا في حاجة الناس، وكان موئل الناس في قضاء حوائجهم ومصالحهم، كما كان نشطًا في الجانب الاجتماعي؛ فلا يقصر في حق من الحقوق الاجتماعية العامة، ولا الحقوق الاجتماعية الخاصة، فضلاً عن علاقاته الاجتماعية مع رفاق دربه.

تكوينه العلمي

جمع الشيخ بين الدعوة والتأصيل الشرعي، ولِمَ لا، وهو العالم المتضلع من السنة وعلومها، الماهر بالقرآن حفظًا وتلاوةً واستحضارًا واستشهادًا؟! ومن صفات تكوينه العلمي السليم أنه يقوم بتوصيل المعاني الكبيرة بأسلوب ميسور يفهمه الجميع؛ وهذه مزيَّة لا يقدر عليها إلا أولو العزم من أهل العلم والدعوة، وقد استطاع الدكتور نوح أن يمزج بين العلم الرصين وإيصاله إلى الناس بشكل يتلاءم معهم؛ وكنتَ إذا سمعتَ الشيخ نوح يتحدث في درس عام شارحًا لحديث أو مستعرضًا لقصة ظننتَ أن هذا الرجل داعية جماهيري؛ يحسن الحشد

والتأثير على المشاعر، ولا علاقة له بالأكاديميات، لكن حين تسمعه بين العلماء في مناقشة رسالة علمية أو في مجلس لأهل العلم فهو العالم المتمكن الرصين المقدَّم، الذي غاص في بحار العلم وعايش بطون الكتب حتى استخرج كنوزها ولآلئها، ودلَّ على المعلومة في الكتب التراثية برقم الجزء، وأحيانًا برقم الصفحة.

ومن الأمور المنهجية التي تمتع بها عالمنا أنه تميَّز بالوضوح في العرض والترتيب في الأفكار، وهو منهج تسمعه في حديثه كما تقرؤه في كتبه سواء بسواء؛ ففي خطبه ودروسه كان يقسِّم خطبته أو محاضرته إلى عناصر وأفكار يتلوها غالبًا على مسامع الناس في بداية حديثه حتى يكون لدى الناس تصور واضح، ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من تأثير على يقظة المتلقي وانتباهه، وحمله على متابعة الحديث عنصرًا بعنصرٍ وفكرةً بفكرةٍ.

آثاره العلمية

عُرف الشيخ بالدعوة والتربية أكثر من الصنعة الحديثية، مع أن جهوده العلمية ومؤلفاته في علوم السنة أكثر مما كتبه في الدعوة والتربية، وفيما يلي بيان بأهم آثاره التأليفية في هذه المجالات:

فقد بدأ تخصصه في الماجستير والدكتوراه عن علوم السنة والحديث، فتناول في الماجستير موضوع: "زواج النبي بزينب بنت جحش ورد المطاعن التي أثيرت حوله في ضوء المنهج النقدي عند المحدثين" من جامعة الأزهر عام ١٩٧٣م، وفي الدكتوراه تناول موضوع: "الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي وجهوده في كتابه تهذيب الكمال" من جامعة الأزهر أيضًا عام ١٩٧٦م، وقد كان له السبق في الكشف عن الحافظ المزي والتنويه بكتابه تهذيب الكمال.

ثم كانت له أبحاث محكمة نَشرت معظمَها مجلةُ الشريعة والدراسات الإسلامية التي تصدر في الكويت، ثم نشرها بعد ذلك في كتب مستقلة.

ومن هذه الأبحاث: "علم الطبقات.. حقيقته وقيمته العلمية والحضارية"؛ تناول فيه تاريخ علم الطبقات، وبيَّن فوائده وثمراته ومنهج العلماء في تحديد الطبقات مع التمثيل لذلك.

ومنها كتاباه - شاركه فيهما الدكتور عبد الرزاق الشايجي الأستاذ بكلية الشريعة بالكويت-: "الصحابة وجهودهم في خدمة الحديث النبوي"، وكتاب: "التابعون وجهودهم في خدمة الحديث النبوي"، بيَّنا فيهما جهود الصحابة والتابعين في خدمة السنة تحمُّلاً وأداءً، وذَكَرا أن جهود التابعين في حاجةٍ إلى الدراسة والاهتمام في هذا المجال.

ومنها كتابه - بالمشاركة أيضًا- بعنوان: "مناهج المحدثين في رواية الحديث بالمعنى"؛ أورد فيه مذهب المجوِّزين روايةَ الحديث بالمعنى مع ذكر ضوابطهم وأدلتهم، كما أورد مذهب المانعين لهذا الأمر مع بيان مسوغاتهم وأدلتهم، ورجَّح مذهب المجوِّزين لقوة الأدلة نقلاً ونظرًا مع اعتبار شروط ذلك.

ومن كتبه في الصنعة الحديثية كتابه: "درء تعارض أحاديث كراء الأرض"؛ أورد فيه الأحاديث التي تبيح كراء الأرض، والأحاديث التي تحظره، ودرأ التعارض بينها على طريقة الأصوليين المحدثين.

أما في مجال الفكر الإسلامي فأبرزُ ما كتب الشيخ- رحمه الله- في هذا المجال ثلاثة كتب: الأول: "منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير"؛ حيث تناول هذه القضية من بُعد دعوي وتربوي؛ فتعرَّض فيه لمفهوم أهل السنة والجماعة وماهية الدعوة والتربية، وبيَّن الحاجة للدعوة والتربية في نظر أهل السنة والجماعة، وأهداف أهل السنة والجماعة من الدعوة والتربية، ومن أهم ما بيَّنه في هذا الكتاب أنه قرر قواعد ومنطلقات للدعوة والتغيير والتربية من وجهة نظر أهل السنة والجماعة.

والكتاب الثاني بعنوان: "حاجة البشرية إلى الحكم بما أنزل الله كتابًا وسنةً"؛ شخَّص فيه واقع الأمة المسلمة، وبيَّن الأسباب التي انتهت

بهم إلى هذا الواقع، ورسم معالم طريق الخلاص مما تعاني منه البشرية اليوم من خلال الحكم بما أنزل الله.

أما الكتاب الثالث فجاء تحت عنوان: "دوافع عناية المسلمين بالقرآن الكريم"؛ ذكر فيه أحد عشر سببًا دفع المسلمين إلى الرعاية والاهتمام بالقرآن الكريم؛ يذكر الدافع ثم يستشهد له من القرآن نفسه، ومن الأحاديث والآثار، ومن تاريخ الأمة إذا لزم الأمر.

في الدعوة والتربية

وهذا هو مجاله الأشهر وميدانه الأرحب الذي عُرف به واشتهر عنه؛ فالدكتور السيد نوح هو صاحب المصنف الشهير "آفات على الطريق"، و"توجيهات نبوية على الطريق"، وفي هذين الكتابين يقدِّم نموذجًا علميًّا تربويًّا خلقيًّا شهد بتميزه المتخصصون في الشرع كما شهد له المتخصصون في التربية والمناهج وطرق التدريس.

ففي ‘‘آفات على الطريق’’ صدر له ثمانية أجزاء يتناول الآفة بشكل مميز؛ حيث يعرِّفها في اللغة والاصطلاح ويذكر أسبابها ومظاهرها وآثارها، ثم يرسم الطريق لعلاجها.

وفي ‘‘توجيهات نبوية’’ ينتقي أحاديث يختارها، ثم يقوم عليها بالشرحوالإيضاح الذي له فيه منهجه الخاص كذلك؛ حيث يخرج الحديث ثم يذكر معناه إجمالاً، ويوضح ما فيه من جوانب متعددة، ثم يبين ما فيه من دروس دعوية وعِبَر إيمانية وملامح تربوية ينتفع بها الدعاة والقادة والمربون.

وله في هذا المجال كتابه الماتع: ‘‘من أخلاق النصر في جيل الصحابة‘‘، وهو كتاب أخلاقي تربوي صوفي؛ أورد فيه الشيخ أربعة عشر خلقًا عند الصحابة كانت سببًا في تمكين الله لهم ونصره إياهم؛ يذكر الخلق ثم يدلل عليه بما في سيرة الصحابة مستشهدًا له بالقرآن والسنة، ولم يَفُتْه في نهاية الكتاب أن سجَّل بعض أقوال الأعداء عن

هذه الأخلاق تؤكد أهميتها عند الصحابة وكيف كانت سببًا في نصر الله لهم.

وله رسالة طيبة عن: ‘‘تكوين البيت المسلم’’؛ ذكر فيها الشروط التي وضعها الإسلام ليكون البيت مسلمًا بحق، كما بيَّن العقبات التي يضعها أعداء الإسلام في طريق تكوين البيت المسلم وكيف يمكن التغلب عليها.

بالإضافة إلى كتابه: ‘‘الدعوة الفردية في ضوء المنهج الإسلامي’’، وكتابه: ‘‘منهج الرسول في غرس روح الجهاد في نفوس أصحابه’’.

جهوده الدعوية

توزعت جهودَ الشيخ الدعوية مجالاتٌ عدة؛ فكان خطيبًا متطوعًا في وزارة الأوقاف الكويتية منذ ١٩٩٤م حتى وفاته؛ يخطب الجمعة في مسجد الوزان بشكل مستمر إلا في أيامه الأخيرة بسبب ظروفه الصحية، ولما كانت عملية تغيير الكبد وشفاه الله نصحه الأطباء

بعدم بذل أي مجهود مراعاةً لحالته، لكنه كان يقول: ‘‘لقد كنت في حكم الميت، وأحياني الله تعالى لينظر ماذا أفعل، ومِن شُكر الله تعالى ألاَّ أتأخر عن دعوته وتبليغ رسالته’’، فكان يخطب الجمعة ويلقي الدروس ويتحدث في الندوات ويحضر المؤتمرات حتى وافاه الأجل المحتوم.

ولقد كان للشيخ أيادٍ بيضاءُ على ما يُعرف في الكويت ب’’لجنة زكاة العثمان’’ التي أسسها المرحوم بإذن الله الشيخ حسن أيوب؛ حيث جعل لها الشيخ نوح أنشطة ثقافية وخيرية وعلمية، وفعَّل دورها الخيري في أنحاء الكويت وخارج الكويت، فكان لها الفضل الكبير في التكافل الاجتماعي ونشر العلم وتعليمه.

ومن العلامات البارزة في جهود الشيخ الحركية والدعوية مجال العمل الخيري؛ فقد جعله الله سببًا في كفالة كثير من الأيتام، وفي إطلاق سراح كثيرٍ من المسجونين المعْسرين، وفي توفير الأدوية لكثيرٍ من المرضى، وفي توفير فرص عمل للعاطلين، وفي قضاء مصالح الناس

وحوائجهم.. كل ذلك عبر دعوته للخير عن طريق أهل الخير؛ حيث كان مسجده "الوزان" يقوم بما لا تقوم به مؤسسة متخصصة في العمل الخيري.

القضية الفلسطينية

ومن أبرز القضايا التي كان له فيها دوره في العمل الخيري: القضية الفلسطينية؛ فقد كان يحشد الحشود، ويوحِّد الجهود، ويجمع النقود لأهل فلسطين، حتى إنه كان في عيد الأضحى يجمع قيمة الأضحية فيرسلها إلى فلسطين ويتم الذبح والتضحية هناك؛ فكان يجمع في الجمعة الواحدة أيام الأضحى ثمن ما يقرب من عشرين أو ثلاثين أضحية، علمًا بأن ثمن الأضحية الواحدة أربعون أو خمسون دينارًا كويتيًّا.

وبالإضافة إلى هذا العمل الخيري وجَمْع الأموال الواجبة لأهل فلسطين، كان من الناحية الفكرية والدعوية لا تكاد تخلو خطبة من خطبه من حديثٍ عن فلسطين وقضيتها وأزماتها، وكذلك دروسه

ومحاضراته؛ فكانت القضية حاضرةً في عقله، بارزةً في وجدانه، فكان يحيا لها، ويجاهد من أجلها جهادًا كبيرًا، بل عاشت في كيانه وجَرَت في عروقه مجرى الدم.

في مسجد الوزان

تولى الدكتور نوح الخطابة منذ شبابه، وقد عُين خطيبا بوزارة الأوقاف الكويتية منذ ١٩٩٤، وحتى وفاته، حيث كان يصلي خلفه في كل جمعة تلاميذه ومريدوه في مسجد الوزان بمنطقة حولي بالكويت. ولم يغفل نوح أهمية الإعلام في توصيل الرسالة الدعوية لأكبر عدد من الناس، والمتتبع لمسيرته يجده شغوفاً باختيار الرسالة (المضمون) والوسيلة (القنوات الإعلامية سواء كانت صحفاً أوفضائيات أو إذاعة)، وكانت له سلسلة إذاعية بعنوان: "جهود فهماء المسلمين في خدمة الحديث النبوي". وفي مستقره الكويت، حرص الشيخ نوح رحمه الله على الدروس الثابتة إلى جوار خطبة الجمعة في مسجد الوزان، ودروسه الثابتة في الجمعيات النسائية.

نهاية المطاف

قبل عامين ونصف من رحيله ذهب إلى الصين ليركب كبدًا غير الكبد، وعاد معافًى إلى دروسه ونشاطه الدعوي بالرغم من أن الأطباء كانوا ينصحونه- كما سبقت الإشارة- بعدم بذل مزيد من الجهد، لكنه لم يكن يستجيب لهذه النداءات، وانطلق الشيخ انطلاقةً جديدةً بالرغم من مرضه وكأنما كان يلاحق القدر، أو يشعر باقتراب الأجل، فأراد أن يحصِّل من الأجر والثواب وعمل الخير ما يكون زادًا له يوم القيامة.

وكتب الشيخ خواطره عن المرض "دروس وعبر"، ثم دخل في حالة مرضية غيبوبية مثل الأولى بسبب هذا الوباء الذي أصيب به العديد من أبناء الشعب المصري، ولقي ربه صابرًا محتسبًا راضيًا مرضيًّا فجر يوم الاثنين ٣٠ يوليو٢٠٠٧م، بعد رحلة طويلة مع المرض الذي شاء الله أن يكون له ممحِّصًا، ورافعًا للدرجات إن شاء الله.

كانت جنازته مهيبة؛ تُذكِّر- في ضخامة عددها- الإنسانَ بجنازات الزعماء والقادة والرؤساء، ولِمَ لا، وصاحبها من كبار الدعاة إلى الله، ومن أبرز العلماء الربانيين في الدعوة الإسلامية في هذا الزمان؟!

كانت هناك موانع كثيرة تمنع الناس من أن تشارك في الجنازة؛ منها: الحر الشديد، والرطوبة العالية، وحرارة الشمس اللافحة التي ربما تجاوزت خمسًا وخمسين درجة في هذا اليوم، وهي كفيلة بأن تجعل الناس يتردَّدون في الذهاب إلى الجنازة.

ومنها أننا كنا في فصل الصيف، بل في كبد الصيف، وكثير من الوافدين عادوا إلى بلادهم ليقضوا إجازتهم السنوية، ومنها بُعد المكان في هذا الحر؛ فقد دفن الشيخ بمكانٍ يسمى "الصليبيخات"، وهي مكان يبعد عن مدينة الكويت بحوالي ٤٠ كيلو مترًا في هذا الجو الخانق.

ومع ذلك تجمعت السيارات من كل حدب وصوب نحو مكان المصلى والدفن؛ يحدوهم حب الشيخ الذي تمكَّن من قلوبهم، وعيونهم

ملأى بالدموع حزنًا على رحيله، لا سيما عند صلاة الجنازة، وليس بمستغرب أن تجتمع له هذه الألوف المؤلفة من البشر لتصليَ عليه، وهو الذي كان يصلي أسبوعيًّا صلاة الغائب يوم الجمعة في مسجد الوزان على من يبلغه خبر وفاته، ومن يموت من المسلمين في كل أسبوع.

وكما هو معروف أن بلاد الخليج فيها من كل الجنسيات، ومع ذلك لم يقتصر الحضور على المصريين فقط، بل كان فيها معظم الجنسيات الموجودة بالكويت، كما تجمَّع فيها كثير من التيارات الفكرية. وإن دلَّ ذلك فإنما يدل على أن الشيخ كان رجلاً ربانيًّا، وداعيةً إيمانيًّا، وعالماً عاش هموم أمته وهموم مجتمعه بعيدًا عن الانغلاق والتعصب، وهذه الألوف المؤلفة شاهدةٌ على أنها عاجل بشرى الشيخ إن شاء الله، وعلى أنه القبول في الدنيا قبل الآخرة. رحمه الله ورفع درجاته في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

شيخ الأزهر
جاد الحق علي جاد الحق

الشيخ جاد الحق علي جاد الحق (١٩١٧-١٩٩٦) شيخ الأزهر الراحل – رحمه الله – ولد في قرية بطرة التابعة لمركز طلخا بمحافظة الدقهلية الخميس ٥ إبريل ١٩١٧ وتوفي ١٦ مارس ١٩٩٦.

تعليمه ونشأته

تلقى تعليمه الأوَّلِي في قريته "بطرة – مركز طلخا – محافظة الدقهلية"، فحفظ القرآن، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم الْتحق بالمعهد الأحمدي بطنطا، وأنهى المرحلة الابتدائية به، وانتقل إلى المرحلة

الثانوية، واستكملها في القاهرة في معهدها الديني بالدَرَّاسَة، وبعد اجتيازه لها التحق بكلية الشريعة، وتخرَّج فيها سنة ١٩٤٤، حاصلاً على الشهادة العالمية، ثم نالَ تخصص القضاء بعد عامين من الدراسة، وكان الأزهر يعطي لمن يحصل على العالمية في الشريعة أن يتخصص في القضاء لمدة عامين، ويمنح الطالب بعدها شهادة العالمية مع إجازة القضاء عمله بالقضاء عمل جاد الحق بعد التخرج في المحاكم الشرعية في سنة ١٩٤٦.

ثم عُيِّن أمينًا للفتوى بدار الإفتاء المصرية في سنة ١٩٥٣، ثم عاد إلى المحاكم الشرعية قاضيًا في سنة ١٩٥٤.

ثم انتقل إلى المحاكم المدنية سنة ١٩٥٦ بعد إلغاء القضاء الشرعي، وظلَّ يعمل بالقضاء، ويترقى في مناصبه حتى عُين مستشارًا بمحاكم الاستئناف في سنة ١٩٧٦.

توليه الإفتاء في مصر

عُيِّن الشيخ جاد الحق مفتيًا للديار المصرية في أغسطس ١٩٧٨. فعمل على تنشيط الدار، والمحافظة على تراثها الفقهي، باختيار الفتاوى ذات المبادئ الفقهية، وجمعها من سجلات دار الإفتاء المصرية، ونشرها في مجلدات بلغت عشرين مجلدًا، وهي ثروة فقهية ثمينة؛ لأنها تمثل القضايا المعاصرة التي تشغل بال الأمة في فترة معينة من تاريخها، وفي الوقت نفسه تستند إلى المصادر والأصول التي تستمد منها الأحكام الشرعية.

وتشمل اختيارات الفتاوى ما صدر عن دار الإفتاء في الفترة من سنة ١٨٩٥) حتى سنة ١٩٨٢، وضمت المجلدات الثامن والتاسع والعاشر من سلسلة الفتاوى اختيارات من أحكامه وفتاواه، وتبلغ نحو ١٣٢٨ فتوى في الفترة التي قضاها مفتيًا للديار المصرية.

توليه مشيخة الأزهر

عُيّن وزيرًا للأوقاف في يناير ١٩٨٢، وظلّ به شهورًا قليلة، اختير بعدها شيخًا للجامع الأزهر في ١٧ مارس ١٩٨٢.

مواقف جريئة وخالدة

كان لفضيلة الإمام الراحل الشيخ جاد الحق مواقف جريئة وشجاعة وصريحة في الكثير من القضايا والمشكلات المحلية والدولية تمسك فيها بموقف الإسلام، انطلاقاً من رسالته الكبرى كشيخ للأزهر وإمام للمسلمين:

١ – نصير الأقليات المسلمة:

كان شيخ الأزهر الراحل نصيراً للأقليات المسلمة المستضعفة في العالم، وكان في حواراته الصحفية وبياناته المتكررة في كل المناسبات الدينية ينبه إلي خطورة التحديات التي تواجه الأقليات المسلمة في العالم، ومما قال فضيلته: (إن الأقليات الإسلامية تتعرض لمحن قاتلة

فهي مستضعفة في أوطانها مطرودة من ديارها ومساجدها ومدارسها مهددة بالتدمير، كما يحدث في الهند وكشمير وبورما، وبعض دول أوروبا دون ردع أو حماية من حكومات تلك البلاد، وكأن هؤلاء ليسوا من المواطنين لهم حقوق علي تلك الحكومات).

وكان فضيلته يؤكد دائماً أن الأخوة الإسلامية تقتضي مؤازرة هؤلاء المستضعفين، والسعي لحماية حقوقهم، والحفاظ علي حياتهم وأموالهم في وقت تتنادي فيه الدول والشعوب بالمساواة، وتتواصى بحقوق الإنسان وبحرمة العقائد والأديان.

وكان الإمام الراحل يولي اهتماماً بالغاً بقضايا الأقليات المسلمة في العا لم، ويطالب بوقف عمليات الاضطهاد التي يتعرضون لها، وكان له مواقف عظيمة وجريئة وشجاعة في عدد من الحالات التي تعرض فيها المسلمون للعدوان علي أرضهم وأرواحهم وعقائدهم، وأشهر هذه المواقف موقفه من العدوان الصربي علي المسلمين في البوسنة والهرسك؛ فكان شيخ الأزهر الراحل عندما نشبت حرب إبادة

المسلمين في البوسنة أول من أعلن أن حرب الإبادة صليبية في المقام الأول وهدفها إبادة المسلمين في البوسنة.

وكان أول من دعا لعقد مؤتمر إسلامي في الجامع الأزهر عقب صلاة الجمعة لمناصرة شعب البوسنة والهرسك، وحضره عشرات الآلاف من المصلين، ودعا فيه إلي إقامة صلاة الغائب علي شهداء المسلمين في البوسنة، وأعلن (رحمه الله) أن مسلمي البوسنة والهرسك لا يحتاجون إلي مجاهدين بقدر حاجتهم إلي المال والسلاح، ودعا المصلين والمسلمين في شتي بقاع العا لم للتبرع بالمال في سبيل الله ومناصرة شعب البوسنة.

ونجح الإمام الراحل من خلال منصبه كرئيس للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة وتأييده التام لحملة لجنة الإغاثة الإنسانية بنقابة الأطباء بمصر في أن يجمع ملايين الدولارات تم إرسالها للمجاهدين في البوسنة.

كما أوفد فضيلته وفدًا من علماء الأزهر الشريف برئاسة الشيخ جمال قطب – عضو البرلمان المصري وقتئذ – إلي البوسنة ليستقصي أحوال المسلمين هناك، ويحث المجاهدين من شعب البوسنة علي مواصلة الجهاد وعدم التنازل عن شبر واحد من أراضيهم.

كما أجرى العديد من الاتصالات مع المنظمات الدولية، ووجه سلسلة من النداءات الدولية لإنقاذ مسلمي البوسنة، وكان لفضيلته موقف شجاع في مناصرة المجاهدين في الشيشان، وقدم لهم كل الدعم المالي والمعنوي، وعندما نشبت حرب الشيشان بين الروس والشعب الشيشاني أصدر فضيلته بياناً حول تلك الحرب، حيث أكد أنه لولا تمسك شعب الشيشان بإسلامهم ما حاربهم الدب الروسي.

وقد قدم الإمام الراحل العديد من المنح الدراسية المجانية لأبناء البلدان الإسلامية المستضعفة حتي يعودوا لأوطانهم دعاة للإسلام، وذلك من خلال الدراسة في الأزهر الشريف.

٢ – قضية القدس:

كانت قضية القدس تشغل حيزًا كبيرًا من عقل وقلب الإمام الراحل، وكان يذكِّر بها في كل المواقف والمناسبات مؤكدًا علي أن القدس ستظل عربية إسلامية إلى قيام الساعة رغم أنف الصهاينة.

وعندما قرر الكونجرس الأمريكي نقل السفارة الأمريكية إلى القدس أصدر الإمام الراحل بياناً صريحاً وواضحاً أدان فيه العدوان الصهيوني المستمر علي القدس، وأدان فيه القرار الأمريكي، وقال: (إن أمريكا تزعم أنها صديقة كل العرب، وهي أصدق في صداقتها بإسرائيل تؤيدها وتدفعها لمزيد من العدوان علي العرب وحقوقهم، وتساعدها في وضع العراقيل نحو إتمام عملية السلام التي تتظاهر بدعمها، لكنه دعم غير عادل فهو دعم للمعتدين الظالمين واستهانة وهدم لقرارات منظمة الأمم المتحدة.

إن الأزهر الشريف يرفض هذا القرار الظالم من أمريكا، التي تسعى في إتمام عملية السلام، ولكن هذا القرار أكد أن دعاة السلام صاروا

دعاة للغدر والاغتيال للأرض والعرض والمقدسات لا يرعون حقاً للغير، ولا يدعون إلى خير، وإنما يسعون في الأرض فساداً).

ورفض الإمام الراحل سياسة التطبيع مع إسرائيل ما استمرت في اغتصابها للأرض العربية، وكان مما قاله: (لا سلام مع المغتصبين اليهود، ولا سلام إلا بتحرير الأرض العربية)، ورفض فضيلته زيارة المسلمين للقدس بعدما أفتى بعض العلماء بجواز ذلك بعد عقد اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣م بين السلطة الفلسطينية بقيادة عرفات والحكومة الصهيونية بقيادة إسحاق رابين، وأعلنها الإمام الراحل بعزة المؤمن الذي لا يخشى إلا الله: (إن من يذهب إلي القدس من المسلمين آثم آثم.. والأولى بالمسلمين أن ينأَوا عن التوجه إلي القدس حتى تتطهر من دنس المغتصبين اليهود، وتعود إلى أهلها مطمئنة يرتفع فيها ذكر الله والنداء إلي الصلوات، وعلى كل مسلم أن يعمل بكل جهده من أجل تحرير القدس ومسجدها الأسير).

وكان للإمام الراحل موقف واضح وقوي من رفض التطبيع فقد رفض أن يستقبل الرئيس الإسرائيلي عيزرا وايزمان إبان زيارته للقاهرة، وبعد عقد اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣، مما سبب حرجاً شديداً للحكومة المصرية ولرئيس الكيان الصهيوني.

وكان لفضيلته مواقف شجاعة في التصدي للممارسات الإسرائيلية الإجرامية ضد الشعب الفلسطيني، فأدان فضيلته الحادث الإجرامي البشع الذي قام به يهودي متطرف عندما قتل عشرات المصلين الفلسطينيين في شهر رمضان داخل الحرم الإبراهيمي عام ١٩٩٤م، وقد سبق وأيد الإمام الراحل الانتفاضة الفلسطينية المباركة، والعمليات الاستشهادية للمجاهدين الفلسطينيين، مؤكداً علي أن تحرير القدس لن يتم إلا بالجهاد والاستشهاد في سبيل الله.

ورفض الإمام الراحل ما تردد عن حصول إسرائيل علي مياه النيل من خلال مشروع ترعة السلام، وقال مقولته الشهيرة: إن حصول إسرائيل على مياه النيل أصعب من امتلاكها سطح القمر.

وعن الأسرى المصريين الذين قتلتهم إسرائيل عمدًا إبان حرب يونيو ١٩٦٧ وأثارتها الصحافة المصرية، قال فضيلته: (القتل العمد ضد أسرانا يستحق القصاص).

٣ – تمسك بحكم الإسلام في مؤتمر السكان:

يعتبر موقف الإمام الراحل من المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، الذي عقد في القاهرة عام ١٩٩٤ من المواقف الخالدة والشجاعة لفضيلته (رحمه الله) أعاد فيه للأزهر مكانته ومقامه الرفيع من القضايا الدولية باعتباره حامي حمي الإسلام والمدافع عنه ضد محاولات التغريب.

فقد أريد من قاهرة الأزهر أن تصدر قرارات تناقض تعاليم الإسلام والأديان السماوية، وتعتدي علي عفاف البشر وكرامة الإنسان، فقد تناقلت وسائل الإعلام المختلفة ونشرت الصحف العالمية قبيل انعقاد المؤتمر وثيقة المؤتمر، والتي تتضمن إباحة الشذوذ الجنسي بين الرجل والرجل وبين المرأة والمرأة، وإباحة الزنى، وحمل الصغيرات العذارى والحفاظ علي حملهن وإباحة إجهاض الزوجات الشرعيات الحرائر.

وفور علم الإمام الراحل بخطوط تلك المؤامرة الخبيثة أمر فضيلته العلماء والمختصين داخل الأزهر الشريف وخارجه بقراءة الوثيقة جيدًا، ودراسة ما فيها وتقديم تقارير عنها، ثم اجتمع فضيلته بمجمع البحوث الإسلامية عندما تأكد من صدق ما تناقلته وسائل الإعلام حول وثيقة المؤتمر لمناقشة وثيقة المؤتمر، وأصدر بياناً شديد اللهجة والصراحة يرفض وثيقة المؤتمر؛ لأنها تخالف شريعة الإسلام، وأكد البيان أن الإسلام لا يقر أي علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعي الذي يقوم بين الرجل والمرأة، كما يحرم الإسلام الزنى واللواط والشذوذ، ويحرم إجهاض الجنين ولو عن طريق الزنى.

وأهاب البيان بالأمة الإسلامية عدم الالتزام بأي بند أو فقرة تخالف شريعة الله.

وقد كان لبيان مجمع البحوث الإسلامية برئاسة الإمام الراحل فعل الزلزال القوي الذي أجهض المؤامرة الغربية التي تستهدف تحطيم الأخلاق الإسلامية الراسخة والتردي في هوة الفساد الجنسي، وقد

سارعت الحكومة المصرية والقيادة السياسية المصرية بتبني بيان شيخ الأزهر، وأصدر الرئيس المصري حسني مبارك بيانه الذي أكد فيه أن مصر المسلمة لن تسمح للمؤتمر بأن يصدر أي قرار يصطدم مع ديننا وقيمنا، وخرج المتآمرون من قاهرة الأزهر يجرّون أذيال الخيبة والفشل الذي لاحقهم في المؤتمر التالي، الذي عقد في مدينة بكين بالصين، وكان الفضل في ذلك لعزم وصلابة الإمام الراحل الشيخ جاد الحق الذي رفض وثيقة مؤتمر بكين مؤكداً أن هدف واضعي الوثيقة هو تدارك ما فاتهم في مؤتمر القاهرة.

وعندما ظهرت أول نتائج مؤتمر السكان في مصر بقيام وزير الصحة المصري بمنع ختان الإناث وتجريمه اتخذ الإمام الراحل قراراً جريئاً بإعلانه بعد دراسة مستفيضة أن ختان الإناث من شعائر الإسلام ولا يجوز لأحد أن يمنعه، وتمسك الإمام الراحل بموقفه، بالرغم من الدعوى القضائية التي رفعتها ضده المنظمة المصرية لحقوق الإنسان بمصر لإصداره فتوى تبيح ختان الإناث.

كما تصدى الإمام الراحل لقرار وزير التعليم المصري بمنع الحجاب في المدارس المصرية والابتدائية وضرورة موافقة ولي أمر الطالبة في المرحلة الإعدادية والثانوية على ارتداء ابنته الحجاب، وأصدرت لجنة الفتوى بالأزهر برئاسة الإمام الراحل بيانًا أعلنت فيه أن القرار الوزاري يخالف الشريعة الإسلامية ونصوص الدستور، واستند المحامون المصريون لهذه الفتوى عند التقاضي أمام المحاكم ضد وزير التعليم المصري حتى تم إلغاء هذا القرار، وعاد الوزير إلي رشده بعد حكم القضاء بإلغاء هذا القرار.

٤ – نهضة الأزهر:

شهد الأزهر الشريف في عهد الإمام الراحل نهضة كبيرة لم يشهدها في عهد من قبله؛ فقد انتشرت المعاهد الأزهرية في كل قرى مصر ومدنها، كما لم تنتشر من قبل، فحين تولى الإمام الراحل مشيخة الأزهر عام ١٩٨٢م كان عدد المعاهد الأزهرية لا يزيد على ستمائة معهد، وبلغت عدد تلك المعاهد في عهده ستة آلاف معهد وبضع

مئات، فقد زرع الإمام الراحل المعاهد الأزهرية في قرى مصر، كما تزرع النخيل في الصحراء.

ولم يقف جهد الإمام الراحل على نشر المعاهد الأزهرية في مصر، بل حرص على انتشارها في شتى بقاع العالم الإسلامي، فأنشأ معاهد أزهرية تخضع لإشراف الأزهر في تنزانيا وكينيا والصومال وجنوب أفريقيا وتشاد ونيجيريا والمالاديف وجزر القمر.. وغيرها من البلدان الإسلامية.

كما فتح الإمام الراحل باب الأزهر واسعاً أمام الطلاب الوافدين من الوطن الإسلامي وخارجه، وزاد من المنح الدراسية لهم حتى يعودوا لأوطانهم دعاة للإسلام.

ونجح الإمام الراحل في فتح فروع لجامعة الأزهر في جميع أنحاء مصر وعقدت الجامعة في عهده لأول مرة مؤتمرات دولية في قضايا طبية وزراعية وثقافية مهمة تحدد رأي الأزهر والإسلام فيها.

وكان الإمام الراحل حريصاً على الدفاع عن علماء الأزهر الشريف، وإبراز الوجه المشرق لهم، انطلاقاً من إيمانه الكامل بعظمة الرسالة التي يقومون بها، ورفض وصف هؤلاء العلماء بأنهم علماء سلطة، وأكد أن علماء الأزهر يجهرون بما يرونه حقاً وعدلاً في كل المواقف والأزمات وتاريخ علمائه وشيوخه حافل بما يؤكد ذلك، ورد على من اتهم الأزهر وعلماءه بالتقصير في مواجهة الإرهاب والتطرف بقوله: مكِّنوا علماء الأزهر من منابر المساجد عندها لن يجرؤ أمير أو غفير، أو أي مدَّع على الإسلام أن يعلو المنبر عندها لن يسمع عامة الناس وصفوتهم للجهلاء أن يخطبوا فيهم ويعلموهم.

ودعا الإمام الراحل إلى ضرورة قيام علماء الأزهر الشريف بمحاورة الشباب المتطرف الذي يفهم الإسلام فهماً خاطئاً.

وكان آخر قرارات الإمام الراحل لنهضة الأزهر وإبراز دوره في نشر رسالة الإسلام هو تحويل الأزهر الشريف إلي مدرسة مسائية للرجال والنساء ولنشر الثقافة الإسلامية الرفيعة، ولتوضيح حقائق الدين

السمحة البعيدة عن التعصب والتشرذم والداعية للحب والسلام على شكل مركز مفتوح للدراسات الإسلامية، ويتم فيها تدريس جميع فروع العلوم الإسلامية.

علاقته بالشعراوي

جمعت الشيخ جاد الحق علاقة وطيدة بالإمام محمد متولي الشعراوي. وبرغم أن الشعراوي كان يكبره بست سنوات- حيث إن الشعراوي ولد عام ١٩١١ وجاد ولد ١٩١٧ - فإن الشيخ الشعراوي كان يصر على تقبيل يده في أي مكان وزمان. وكان يحاول في كل مرة منع الشعراوي من دون جدوى والشعراوي كان لا يعبأ بفعل هذا في وجود العامة والخاصة ولا يخشى من قيامه بتقبيل يد شيخ الازهر حتى ولو على شاشات التلفزيون. ويقول الشعراوي: إنني حينما أوقر شيخ الإسلام فإنني أنصر ديني، وكما كنت أقبل يد شيخي وأستاذي الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الاسلام والمسلمين فأنا أحرص أيضاً

على تقبيل يد الشيخ جاد الحق حتى ولو كان أصغر مني سناً فالإسلام أكبر منا جميعاً.

قالوا عنه

لم ينزلق جاد الحق بالأزهر إلى الفتاوى التي زلّت فيها أقدام آخرين، وحافظ على كرامة الأزهر ومجمع بحوثه، الذي يمثل السلطة العليا للفتوى في الشئون الإسلامية في مصر، وكان متعاوناً مع العاملين في الحقل الإسلامي، واقفاً كالصخرة الصماء في وجه العلمانيين والمتغرّبين الذين يريدون أن يسلخوا الأمة من جلدها، وأن يبعدوها عن شريعة ربها، فلم تلن قناته في مواجهتهم، وتحدي أباطيلهم.

وعاش جاد الحق، رحمه الله، عزيز النفس، نزيه الروح، حريصًا على أن تكون أفكاره مناسبة لصميم الدين.

وفاته

توفي بالعاصمة القاهرة فجر الجمعة في ١٥ من مارس ١٩٩٦ م بعد أن فرغ فضيلته من مراجعة أوراق الأزهر وبريد الجهات الرسمية الأزهرية والبريد الوارد لمكتبه من كافة أنحاء العالم.

مات (رحمه الله) ومشاكل الأمة في صدره وأوراق الأزهر في يده يقلب فيها، ومات متوضئاً وهو يشرع لأداء الصلاة في الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم الجمعة، حيث شعر بدوار مفاجئ فجلس على سريره ليستريح، ولكنه فارق الحياة بعد لحظات، وكانت وصيته أن يدفن بجوار مسجده الذي بناه في قريته بطرة، وأن يشهد غسله ويؤم صلاة الجنازة عليه الشيخ محمد متولي الشعراوي، وتم تنفيذ وصية الإمام الراحل، حيث صلى الجنازة عليه الشيخ الشعراوي الذي نعاه بقوله: لقد تعلمنا منه ألا نُعصرِن الدين، بل نُدَيِّن العصر، فعصرنة الدين تعني أنه غير كامل حاشا لله.

محطِّم الأصنام
أبو الفضل البُرقعي

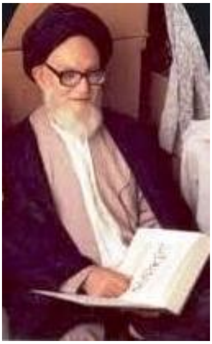

آية الله العظمى السيد أبو الفضل بن الرضا البرقعي من سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان من أقران الخميني وأعلى مرجعية منه في المذهب الشيعي الإثنا عشري، خرج من التشيع وأعلن اعتناقه مذهب السنة في عهد الشاه بعد دخوله معركة البحث عن الحقيقة بسلاحين اثنين هما كتاب الله القرآن الكريم، وسلاح العقل الفطري اليقيني.

تلقى علمه في الحوزة العلمية في قم في إيران ونال درجة الاجتهاد في المذهب الجعفري الإثنا عشري، وله مئات التصانيف والمؤلفات والبحوث والرسائل.

وهو من أهل قمّ وقد أقام أجداده منذ ثلاثين جيلاً فيهاً، وكان جدّه الأعلى موسى المبرقع ابن الإمام محمد التقي بن على بن موسى الرضا، وقد وفد إلى قم وقبره الآن مشهور في قم. ولأن نسبه يصل إلى موسى المبرقع فيقال له البرقعي ويصل إلى الإمام الرضا وفق سلسلة نسبه وشجرة عائلته كما وردت في كتب الأنساب.

إرجاع الخمس لأصحابه

كان البرقعي رحمه الله في شبابه شيعياً متعصباً للمذهب الجعفري الإثنا عشري، ثم نبذ التعصب، وقد نادى في أتباعه بأن من أعطاه الخمس فليستعيده منه إبراءً لذمته، ثمّ أفتى بحرمة أخذ الخمس من غير الغنائم الحربية بنص القرآن (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) فتأثر به بعض أتباعه واعتنقوا معه مذهب أهل السنة،

وجدير ذكره أنه قد ظهر من قبله في إيران من خرجوا على المذهب الإثنا عشري ومنهم سيد أسد الله الخرقاني وآية الله شريعت سنغلجي وأحمد كسروي ودكتور شعار وسيد مصطفى طبطبائي وكلهم كتبوا مقالات في الرد على عقيدة الشيعة.

مؤلفات البرقعي

ألف آية الله البرقعي كتباً ومقالات ورسائل بالمئات، ومن أشهرها:

١- تحطيم الصنم أو كسر الصنم: عرض فيه أخبار الأصول على القرآن والعقول، وهو في الرد على أصول الكافي للكليني الشيعي ويقع في ٤١١ صفحة بالفارسية و٣٦٠ صفحة بالعربية وهو دراسة حديثية للكتاب المذكور حيث يقارنه بالقرآن والعقل ثم يفنده وينقض من خلاله عقيدة القوم بشكل غير مسبوق.

٢- تضاد مفاتيح الجنان مع القرآن: مفاتيح الجنان أهم كتاب دعاء لدى القوم ويحملونه معهم في جميع الزيارات والمشاهد والحج، وهو

يدرسه دراسة حديثية، حديثاً حديثاً على أساس المذهب نفسه كالكتاب السابق، ثم يعرض أحاديثه تلك على القرآن والعقل ثم يرد عليها ويرد على عقيدة القوم من خلاله ويقع في ٢٠٩ صفحات.

٣- دراسة علمية في أحاديث المهدي: إن أساس عقائد المذهب الشيعي هي عقيدة المهدي المنتظر ويدرس في هذا الكتاب ثلاثة مجلدات من كتاب البحار للمجلسي والتي تتعلق رواياته بالمهدي ثم يفندها طبقاً للمذهب أيضاً ويقع في ٢١١ صفحة.

٤- دراسة في نصوص الإمامة: يدرس المؤلف فيه النصوص الواردة في الإمامة والخلافة لدى السنة والشيعة ثم يفند الروايات الشيعية ويثبت بأدلة قاطعة أن الخلافة حق والإمامة المنصوصة لا أساس لها ولا دليل ويقع في ١٧٠ صفحة.

٥- الجامع المنقول في سنن الرسول: وهو عدة مجلدات، ويورد فيه المؤلف الروايات الفقهية الصحيحة لدى السنة ثم يدعمها بما وردت

لدى الشيعة أي أن كل ما ورد لدى السنة ورد لدى الشيعة إلا أن الشيعة لا يأخذون بها تعصباً وعناداً وهو يقع في ١٤٠٦ صفحات.

٦- نقد على المراجعات وهو رد على كتاب المراجعات لعبدالحسين شرف الدين الموسوي الذي لفَّقه على شيخ الجامع الأزهر الشيخ سليم البشري، وقد ألفه عبدالحسين الموسوي بعد وفاة شيخ الجامع الأزهر بأكثر من عشرين سنة.

٧- سوانح الفكر: وهو ترجمة شخصية كتبها بعد إلحاح تلامذته عليه عندما أحسوا بدنوِّ أجله فاستجاب لهم ودوَّن فيه مواقفه مع الخميني والشاه والثورة الإسلامية وما لقيه من كل هؤلاء من إيذاء ومحاربة. وله كتبٌ أخرى ومؤلفات وصلت أكثر من خمسمائة كتاب ورسالة.

سنة الابتلاء للصالحين

عانى الشيخ ما يعانيه جميع المصلحين الذين برزوا في التاريخ الإسلامي فقد سُجن وأهِين ونفي بعد التعذيب، وقد طورد بعد هدايته إلى

المذهب الحق وأطلق عليه أحد حراس الثورة النار وهو في بيته يصلي فدخلت الرصاصة في خده الأيسر وخرجت من خده الأيمن لكنه لم يمت كما أراد القاتل، فحمل إلى المستشفى وهو مغمى عليه ومُنع من العلاج لكن الله شفاه إلى حين أجله، وبعد شفائه بسنوات حكم عليه بالسجن ثلاثين سنة، ولأنه كان شيخاً بسيطاً ولم تكن له جماعة منظمة، فلم تشعر الدولة بخطره كما شعر به أقرانه، فتم إطلاق سراحه.

كان للشيخ البرقعي مسجدٌ يصلي فيه في غذر وزير دفتر في طهران قريباً من ميدان توبخانه وأقام صلاة الجمعة فيه بعد ما اهتدى إلى الحق واجتمع مشايخ قم بزعامة مرجعهم حينذاك شريعتمداري وأرسلوا إلى الشاه ستة آلاف توقيع بأن هذا اليهودي الناصبي يريد هدم دين أهل البيت، فأُخذ إلى المحكمة ولما تكلم معه المحقق قال لهم: كيف قلتم إن هذا يهودي وهو يدافع عن القرآن؟ فأطلق سراحه من جديد وعاد إلى مسجده، لكنه لم يسلم فهاجموا المسجد وخربوه وأغروا به الأوباش

والعوام واستولوا عليه، وبعد ذلك تحول إلى بيت في طهران ليقيم صلاة الجمعة بمجموعة من أهل السنة قرب ميدان "انقلاب" في شارع جمال زاده.

حرية الأديان في إيران ما عدا السنة

كانت إيران ومازالت تكفل حرية الأديان لليهود والنصارى والقاديانيين والبهائيين، لكنها لا تقبل بحرية الدين لأهل السنة حتى يومنا هذا، ففي طهران لا يوجد مسجد لأهل السنة، بينما توجد معابد لكل الطوائف المختلفة، ومن المضحك المبكي أن عذر الحكومات المتعاقبة على إيران أن منع أهل السنة تمييز لهم عن غيرهم، فلا فرق بين الشيعي وأخيه السني، فجميع مساجد وحسينيات طهران مفتوحة لأهل السنة كما يشاءون!

وفي عهد آية الله البرقعي رحمه الله تم الاستيلاء على المسجد الذي أسسه، ثم تحول منه إلى بيت ليقيم فيه صلاة الجمعة لكنهم لم يتركوه

لشأنه رغم أنه يوجد مقابل بيته كنيسة للنصارى ومسبح للعاريات دون اعتراض من أحد، وقد كتب كلاماً عن هذا الحال فقال:

"إنه في بلدنا هذا يستطيع المسيحي واليهودي والعلماني والذي لا دين له أن يعيش بحرية وأمان، أما أهل السنة فلا حرية لهم في بلدنا ولا يستطيعون العيش بين هؤلاء المشركين".

سوانح الأيام

وكتابه سوانح الأيام أو أيام من حياتي، سيرة ذاتية جريئة، كتبها قبل اغتياله من قبل حماة الخرافة في إيران. يقع الكتاب في ٣٩٢ صفحة من القطع الكبير، وفي آخر ٥٠ صفحة منه ملحقات بالوثائق والإجازات العلميّة التي حصل عليها البرقعي من كبار علماء ومراجع الشِّيعة في إيران والعراق ثم مجموعة من الصُّور، وقد سطَّر المؤلف-رحمه الله- سيرته لسببين اثنين أوضحهما حين قال: " وقد كتبت هذه الكلمات حتى لا يقول المسلمون في المستقبل: ألم يكن بين هؤلاء الناس في القرن العشرين وعصر الثورة الإيرانية عالم بصير؟! وإن

وجد... فلماذا سكت؟!" وقال في موضع آخر إنَّه كتبها خوفاً من اختلاق الكذب عليه؛ وحسناً صنع إذ الكذب يجري في دماء الخرافيين وعلى ألسنتهم لترويج باطلهم.

يقول البرقعي معترفاً بفضل القرآن عليه: " في هذه السنوات كنت أجد فسحة في الوقت فاشتغلت بالمطالعة والتأليف، والتدبر في آيات كتاب الله، وثبت لي شيئاً فشيئاً أنني وجميع علمائنا غارقون في الخرافات، وأننا كنا نجهل معاني كتاب الله، وأن أفكارنا لا توافق القرآن، وببركة تدبر القرآن استيقظت شيئاً فشيئاً، وفهمت أن علماءنا ومقلديهم قد غيروا دين الإسلام، وأنهم باسم المذهب تركوا الإسلام الحقيقي".

وقال في موضع آخر حين سُئل عن موقفه من الأئمَّة: " لا إمام لنا موجود بيننا إلا القرآن".

وبصراحة العالم الصَّادق الباحث عن الحقِّ يقول- رحمة الله عليه: "الأخبار والآثار التي أوردها المجلسي والصدوق والكليني التي تحدد

عدد الأئمة باثني عشر هي أخبار مكذوبة ومتناقضة من خلال التحقيق العلمي"، وأكَّد رأيه الجريء بقوله: "كُتُب المذهب مثل الكافي والبحار مملوءة بما يخالف القرآن والعقل، وهي ليست من كلام أئمة الهدى، بل هي من دس أعداء الإسلام".

وفاته

مات رحمه الله مقتولاً، وقيل مسموماً، وأوصى بدفنه في مقابر أهل السنة، فرحمه الله رحمة واسعة.

كاشف الحقائق

أحمد الكاتب

أحمد الكاتب باحث وكاتب عراقي، من أعلام حركة إصلاح التراث الإسلامي ولد في مدينة كربلاء التاريخية بالعراق عام ١٩٥٣م، واسمه الحقيقي عبدالرسول عبدالزهرة عبدالأمير بن الحاج حبيب الأسدي، أما اسم أحمد الكاتب فكان الاسم الحركي له أثناء عمله في منظمة العمل الإسلامي المناهضة لنظام صدام حسين.

نشأ في بيئة شيعية في مدينة كربلاء، والتحق بكتّاب الشيخ عبدالكريم وهو كتّاب صغير كان يشغل زاوية بصحن مسجد العباس

بكربلاء؛ حيث أكمل فيه حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل للمدرسة الدينية، وهي أشبه بحوزة صغيرة تلقى فيها العلوم الدينية، وحين بلغ سن ال ١٣ أشار عليه معلمه الأول الشيخ الشيرازي أن يرتدي العمامة، وزي رجال الدين.

هجرته خارج العراق

اتبع مرجعية وتيار السيد محمد حسن الشيرازي. وبعد فترة من سجن الشيرازي رحل إلى الكويت، ولحق به تلميذه أحمد الكاتب عام (١٩٧٣) وهو يحمل مرارة كبيرة للنظام الحاكم الذي تبنى النهج العلماني الاشتراكي المناهض للدين وللعلماء.

انتقل إلى سوريا، والسودان، ولبنان؛ حيث تزوج من الجنوب عام (١٩٧٧)، وحكم عليه بالإعدام غيابياً في العراق مع شيخه الشيرازي لتنظيمهم حركة سياسية معارضة، ولإصدارهما دورية "عراق الغد" المناهضة للنظام البعثي. ومع اندلاع الثورة الإيرانية بقيادة آية الله الخميني سافر الكاتب إلى إيران من لبنان في أول طائرة تهبط مطار

طهران بعد الثورة، وانبهر الكاتب بالنظام الذي حلم به طوال حياته، ورأى الولي الفقيه يتولى سدة الحكم بعد غيبة أشبه بغيبة الإمام المنتظر، وتمنى لو يحدث ذلك في وطنه العراق، فتبنى مع مجموعة من رفاقه توجيه رسائل ثورية للشعب العراقي عبر أثير الإذاعة من طهران، مما زاد من توتر وتوجس النظام العراقي من الثورة الإيرانية.

وفي عام (١٩٨٢) ألف أحمد الكاتب كتاب "تجربة الثورة الإسلامية في العراق" الذي حاول فيه انتقاد الحركة الإسلامية العراقية والمرجعية الدينية، خصوصاً تجربة السيد الشيرازي السلمية، متأثراً بتجربة الإمام الخميني الحركية الفاعلة. في تلك الأثناء كانت الحرب العراقية الإيرانية بدأت تأخذ طابعاً عبثياً، ودموياً رهيباً، وأخذ السيد الشيرازي يدعو إلى إيقافها ويقول: إنها تسير في طريق مسدود، ويدعو أتباعه للخروج من إيران، وهنا فضَّل الكاتب التوجه نحو إكمال دراساته الحوزوية التي أهملها منذ خروجه من العراق. وفي عام (١٩٨٥) دعاه السيد تقي المدرسي إلى التدريس في (حوزة الإمام القائم) التي كان يشرف عليها

وتضم طلبة من السعودية والخليج وبعض العراقيين والأفغان وغيرهم، وتقع على مشارف طهران الشرقية في منطقة تسمى (مامازند)، وكانت أشبه بمدرسة كوادر حركية منها بحوزة علمية؛ حيث كان الطلبة يجمعون بين الدراسة الفقهية والإسلامية، وبين العمل التنظيمي، والقيام بمهمات حركية مختلفة.

التطور الفكري والمراجعة

كانت تلك الفترة من أهم الفترات في حياة الكاتب؛ حيث بدأ التأمل والمراقبة لنظام ولاية الفقيه في إيران، معتقداً أنه النظام الأمثل للتطبيق في العراق بعد إقصاء صدام حسين، إلى أن حدثت واقعة غريبة كانت بداية التحول في فكر أحمد الكاتب.

وقام بدراسة وتحليل أكثر من مائة موسوعة فقهية شيعية تغطي فترة (الغيبة الكبرى) أي ألف عام من تاريخ الفقه الجعفري الإمامي الإثنا عشري، فوجد أغلبها يرتكز على نظريتين متميزتين:

الأولى: نظرية التقية والانتظار للإمام المهدي المنتظر الغائب.

والثانية: نظرية ولاية الفقيه.

ووجد أن هذه النظرية تطورت منذ حوالي مائتي عام، على أساس نظرية (نيابة الفقهاء عن الإمام المهدي) ثم تطورت إلى أن أصبحت تشمل قضايا سياسية قريبة من الدولة، كإعطاء الفقهاء الإجازة للملوك للحكم نيابة عنهم، باعتبارهم مصدر الشرعية الدستورية في عصر الغيبة؛ لأنهم نواب الإمام المهدي. وأول من طبق هذه النظرية كان المحقق الشيخ علي عبدالعالي الكركي (٨٦٨ هـ ٩٤٠ هـ) عندما منح الشاه الصفوي (طهماسب) الإجازة للحكم باسمه.

أما قبل ذلك التاريخ فقد كانت تخيم على الشيعة نظرية التقية والانتظار، التي كانت تحرم إقامة الدولة في عصر الغيبة إلا عند ظهور الإمام المهدي، وذلك تبعاً لنظرية الإمامة الإلهية التي كانت تشترط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في الإمام.

ومن هنا وُجد تناقضٌ كبيرٌ بين النظريتين، وأن النظرية الثانية (ولاية الفقيه) تعتبر انقلاباً على نظرية التقية والانتظار، خلافاً لما كان يُعتقد حتى ذلك الوقت من أن نظرية ولاية الفقيه (أو المرجعية الدينية) هي امتداد لنظرية الإمامة، وقد أوصى بها الإمام المهدي لدى غيبته كنظام سياسي للشيعة في ظل (الغيبة الكبرى).

وتساءل الكاتب إذا كان ذلك صحيحاً فلماذا لم يعرفه جميع علماء الشيعة الأقدمون الذين كانوا يلتزمون بنظرية التقية والانتظار؟

ولإكمال الصورة كان عليه أن يبحث فترة (الغيبة الصغرى) التي امتدت حوالي سبعين عاماً بعد وفاة الإمام الحسن العسكري سنة ٢٦٠ هـ، والتي يقال إن ولده (محمد المهدي المنتظر) كان يتصل فيها بمجموعة وكلاء أو نواب خاصين، إلى أن انقطعت النيابة الخاصة بوفاة النائب الرابع محمد بن علي الصيمري سنة ٣٢٩ هـ، وذلك ليرى ما هي النظرية السياسية التي كان يلتزم بها أولئك "النواب الخاصون"؟

وهذا ما جرّه إلى بحث موضوع فترة الغيبة الصغرى، وهناك بدأ يتعرف لأول مرة على مسألة وجود الإمام محمد بن الحسن العسكري، وما كان يلفُّها من غموض وتساؤلات!

وبالرغم من كونه نشأ في بيئة دينية شيعية ودرس في الحوزة حتى الدراسات العليا، وانخرط في حركة سياسية تعمل من أجل تطبيق نظرية سياسية تقوم على فكرة وجود (الإمام المهدي)، وكتب حوالي خمسة عشر كتاباً حول أئمة أهل البيت والفكر الشيعي الإمامي، وقام بالدعوة لهذا الفكر وأسس حركة شيعية في السودان.. برغم كل ذلك إلا أنه لم يكن قد سمع بوجود عدة نظريات شيعية أو اختلاف داخلي حول وجود أو عدم وجود ذلك (الإمام الثاني عشر) الذي كان يعتبره حقيقة لا يعتريها الشك، وبديهة عاش عليها وانتظر قدومها في أية لحظة.

يقول الكاتب: وكانت صدمتي الكبرى عندما وجدت مشايخ الفرقة الإثنا عشرية كالشيخ المفيد والسيد المرتضى والنعماني والطوسي،

يصرحون ويلوّحون بعدم وجود دليل علمي تاريخي لديهم على وجود وولادة (ابن) للإمام الحسن العسكري.

كتبه ومؤلفاته

ألف الكاتب كتاباً عن الإمام الحسين تحت عنوان: "الحسين كفاح في سبيل العدل والحرية"، حاول فيه أن يقدم قراءة جديدة مغايرة لما كان متعارفاً عليه.

وألف الكاتب أيضاً كتاب "الإمام الصادق معلم الإنسان".

وأصدر عدة كتب أثارت جدلاً لم ينته حتى الآن في الأوساط الشيعية، من أهمها "تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه" و"الإمام المهدي حقيقة تاريخية؟ أم فرضية فلسفية" و"السنة والشيعة، وحدة الدين، خلاف السياسة والتاريخ".

عقيدة أحمد الكاتب

بعد ما لقيه الكاتب من مضايقات في لبنان ذهب إلى لندن ليعيش لاجئاً سياسياً هناك حتى اليوم حفظه الله، وليكمل رسالته السامية في التنوير والشرح والنقد العلمي الموزون، والذي تكلل في نهاية عام ٢٠٠٨ بإنشاء تكتل شيعي علمي مستقل سطر أحمد الكاتب أهم مرتكزاته العقائدية فيما يلي:

نشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

نؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين جميعاً.

نلتزم بالإسلام عقيدة ومنهاجاً وقيماً وعبادات وأحكاماً وأخلاقاً.

نؤمن بخاتمية نبوة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، كما جاء في القرآن الكريم: "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"، وأن الرسالة الإسلامية قد ختمت بمحمد (صلى الله عليه وسلم)، كما أن الوحي قد انقطع من

بعده، وأن الناس مكلفون باتباع القرآن والسنة الصحيحة والعقل السليم.

نؤكد على سلامة القرآن الكريم من التحريف والتلاعب والزيادة والنقصان. وأن الله تعالى قد تكفل بحفظه، حيث قال: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"، وأن كل ما قيل أو ورد في الكتب الغابرة هي أحاديث ضعيفة وضعها الغلاة في تراث أهل البيت. وقد قام علماء الشيعة عبر التاريخ بنقد تلك الأحاديث والتبرؤ منها. ونأسف لاستمرار بعض خصوم الشيعة بترديد أسطورة تحريف القرآن، واتهامهم بها عبر التاريخ، واستعمالها أداة لضربهم واتهامهم بالكفر وانحراف العقيدة.

نجلُّ صحابة رسول الله الطيبين من المهاجرين والأنصار، وأهل البيت، ونترضى على الصالحين منهم، ولكن لا نعتقد بعصمتهم. ونحرِّم الإساءة إليهم أو سبَّهم، وخصوصاً الإساءة إلى السيدة عائشة أم المؤمنين، ونؤمن ببراءتها من قضية الإفك، لأن الله برأها في ذلك.

نعتقد أن الإسلام دين يوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، على أسس أخلاقية سليمة، ولكنه لا ينص على نظام سياسي معين، فقد أوصى بمبدأ الشورى، وترك للمسلمين حرية اختيار نظامهم السياسي حسب الظروف الزمانية والمكانية. ولذلك لم ينص الرسول الأعظم (ص) على خليفة من بعده. فاجتهد الصحابة الكرام واختاروا الخلفاء الراشدين الخمسة (أبا بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن) رضي الله عنهم.

لا نعتقد بأن الإمامة جزء ملحق بالنبوة أو أنها تشكل امتداداً لها. ولا نعتبرها أصلاً من أصول الدين، ولا ركناً من أركانه، لأن القرآن الكريم لم يتحدث عنها، ولكنها مسألة فرعية قد تدخل في باب الفقه السياسي، إذ إنها تقوم على أساس بعض الروايات القابلة للنقاش، والتأويلات الظنية البعيدة للقرآن الكريم. كما لا نعتقد بضرورة وجوب كون الإمام (أي رئيس الدولة) معصوماً كالأنبياء، أو أنه يتلقى الوحي من الله مثلهم، أو أن له الحق بالتصرف في الناس. أو

أن أوامره كأوامر الرسول ونواهيه. ولا نعتقد بأن الأمة الإسلامية بحاجة دائمة إلى رئيس معيَّن من الله تعالى، أو أن الأرض لا يمكن أن تخلو من حجة، وإلا لساخت.

نعتقد أن أهل البيت كانوا يؤمنون بنظام الشورى، ولم يعرفوا نظرية "الإمامة الإلهية" القائمة على الوراثة العمودية في سلالة معينة، ولم يدَّعوا العصمة لأنفسهم. ولا العلم بالغيب. وأنهم كانوا علماء ورواة للحديث النبوي، وليسوا معيَّنين ولا منصوبين من الله تعالى، ولا يعلمون الغيب، وليست لهم أية ولاية تشريعية أو تكوينية، كما يدعي الغلاة. وأن القول بوجود النص الجلي على الإمام علي بالخلافة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نشأ في القرن الثاني الهجري، ولم يكن له وجود سابقاً، وأن الجدل حوله عقيم، لا يقدِّم ولا يؤخِّر، ولا يُعيد عقارب الساعة إلى الوراء. وأما فضل الإمام علي فهو لا ينكر، ولا يكمن في النص عليه، وإنما في منهج الإمام وعمله وسيرته وأخلاقه المتمثلة في الإيمان بالله وبرسوله والتضحية من أجل الدين،

والتزام الحق والعدل والمساواة بين المسلمين، والزهد في الدنيا والتواضع والشورى واحترام إرادة الأمة. وأنه أصبح إماماً وأميراً للمؤمنين عندما بايعه المسلمون طواعية بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان.

وأن الإمام علي ترك الأمر شورى بعده، كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولم يعيِّن ابنه الحسن ولياً للعهد، وإنما اختاره المسلمون طواعية إماماً لهم. وهكذا فعل أهل الكوفة مع الإمام الحسين، الذي لم يعيِّن أحداً من بعده ولم يفرضه على الشيعة. وأن بقية الأئمة من أبناء الحسين لم يوصوا ولم يعيِّنوا أحداً من أبنائهم أو يفرضوه على المسلمين.

نؤمن بأن الإمام الحسن العسكري توفي سنة ٢٦٠ للهجرة دون ولد، ودون أن يوصي إلى أحد من بعده بالإمامة، أو يشير إلى وجود ولد مخفي لديه، كما هو الظاهر من حياته، ومن هنا: لا نعتقد بوجود "إمام ثاني عشر" غائب اسمه (محمد بن الحسن العسكري) وعمره أكثر من ألف ومائة وخمسين عاماً، لأن هذا قول وهمي لم يقم عليه

دليل شرعي أو تاريخي. وإنما هو أمر افترضه فريق من الإماميين الذين وصلوا إلى طريق مسدود بوفاة العسكري دون ولد. ولا نؤمن بالحكومة العالمية للمؤمنين، فالدنيا دار عيَّنها الله تعالى مستقَراً ومتاعاً للمؤمنين والكفار على سواء، ولا دليلَ قطعياً على ظهور "إمام مهدي" في المستقبل.

وتبعاً لذلك: لا نؤمن بالنيابة الخاصة (للسفراء الأربعة) ولا النيابة العامة (للفقهاء) عن "الإمام المهدي الغائب"، الذي لم يولد أبداً حتى يغيب. ونعتقد أنها فرضيات ظنية ادعاها بعض الناس بلا دليل شرعي، وفي محاولة من أجل حل بعض الإشكاليات التي كانوا يعيشونها نتيجة الفراغ القيادي، بسبب إيمانهم بوجود الإمام الثاني عشر وغيبته.

لا نؤمن أن في الإسلام مؤسسات دينية "مرجعية" تشبه الكنيسة، بل علماء يرجع إليهم عند الضرورة، ولذلك لا نؤمن بوجوب التقليد للفقهاء مدى الحياة، أو الاقتصار على فقيه واحد في كل شيء. بل

نعتقد بحرمة التقليد ونعتقد بأنه بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وندعو جميع المكلفين القادرين، للاجتهاد والتفكير والنظر في الأصول والفروع، كما كان يقول الشيخ الطوسي، الذي كان يحض على دراسة الآراء المختلفة واختيار الرأي الصائب من بينها. كما ندعو "المجتهدين" إلى عدم الاقتصار في دراساتهم على الفقه والأصول، بل دراسة العقيدة الإسلامية والتاريخ، وخاصة نظرية "الإمامة الإلهية". وما تفرع منها من كفرضية وجود الإمام الثاني عشر.

نعتقد بضرورة مراقبة "العلماء" ومحاسبتهم ونقدهم، فليس كل ما يفتون به صحيح ومطابق للشرع دائماً. فكثيراً ما يقع "العلماء" في الشبهات والأهواء فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل (كقولهم بوجوب الخمس، وعدم وجوب صلاة الجمعة عيناً). ومن هنا نرى أن فتاوى "العلماء" غير مُلزمة شرعاً أو قانوناً، إلا إذا اتخذت صبغة دستورية مجمع عليها في مجالس الشورى المنتخبة من الأمة.

نقدِّر "المدرسة الأصولية" التي فتحت باب الاجتهاد، وأعادت إلى التشيع توازنه واعتداله، ورفضت الكثير من خرافات الإخباريين وأساطيرهم، ونطالب الفقهاء بممارسة مزيد من الاجتهاد في الأصول والفروع والرجال والحديث، ومكافحة الغلاة "المفوِّضة" الذين ينسبون إلى أئمة أهل البيت صفات الربوبية ويغالون فيهم ويدَّعون لهم مقامات عليا، وأدواراً فوق مستوى البشر، ومهمات من أعمال الله تعالى، كإدارة الكون أو الخلق والرزق وما إلى ذلك، تحت غطاء نظرية (الولاية التكوينية).

وفي الوقت الذي نحيي جهود علماء الشيعة، وخاصة الأصوليين، الذين قاموا بدراسة الحديث وعلم الرجال، وتضعيف أربعة أخماس "الكافي"، ندعوهم الى مواصلة البحث والتحقيق فيما تبقى منه من أحاديث، وإعادة النظر في كثير ممن يوثقهم السابقون، فإن مشكلة الحديث عند الإخباريين تنبع من توثيق بعض الغلاة الذين نجحوا في دس أنفسهم في صفوف الرواة، وتقبل رواياتهم بالتصديق. وهذا ما

يدفعنا الى التشكيك بصحة تسعة وتسعين بالمائة من أحاديث الكليني في "الكافي". واعتبارها سبباً من أسباب استمرار الخلاف بين المسلمين.

لا نؤمن بحكومة "رجال الدين" ولا بنظرية "ولاية الفقيه"، القائمة على فرضية "النيابة العامة عن الإمام المهدي الغائب"، والتي تعطي الفقيه صلاحيات مطلقة وتجعله فوق الأمة والقانون، وتسمح له بتجاوز الدستور وإلغاء أية اتفاقية شرعية يعقدها مع الأمة. وفي الوقت الذي نعتبر نظرية "ولاية الفقيه" تطوراً إيجابياً كبيراً في الفكر السياسي الشيعي، بالنسبة لفكر الانتظار السلبي للإمام الغائب، نحو التحرر من نظرية "الإمامة الإلهية" القائمة على اشتراط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في الإمام، والإيمان بشرعية الشورى والانتخاب، ونعتقد أن نظرية "ولاية الفقيه" نظرية حادثة، ولا دليل عليها من الشرع، ولم يؤمن بها محققو الفقهاء، ولأنها تكرس الصفة الدينية للحاكم (الفقيه)، وتضفي عليه هالة مقدسة تحُول دون

محاسبته ومراقبته ونقده وتغييره، وتجعل منه ديكتاتوراً مستبداً. ومن هنا ندعو إلى تطوير النظرية نحو الأفضل وقيامها على أساس الانتخاب والتقيد بحدود الصلاحيات التي يمنحها الشعب.

نؤمن بالانفتاح على المذاهب الإسلامية الأخرى، واحترام اجتهاداتها، وندعو إلى مزيد من عمليات الاجتهاد المشتركة بين السُّنة والشيعة، والعودة إلى القرآن الكريم، واعتباره المصدر التشريعي الأول والأعلى من جميع المصادر التشريعية الأخرى.

نحترم جميع المصادر الحديثية للشيعة والسُّنة، ولكن نطالب بتنقية المصادر من الأحاديث الضعيفة المنسوبة للنبي الأكرم وخاصة المخالفة للقرآن والعقل والعلم.

ندعو إلى دمج المعاهد الدينية والحوزات العلمية السُّنية والشيعية، من ناحية البرامج والطلاب والأساتذة، وخلق بيئة وحْدوية للحوار والمقارنة والتفكير الحر. كما ندعو إلى الانفتاح الثقافي على الآخر

وتوفير الحرية الإعلامية للجميع، وعدم فرض الرقابة على أي منتج ثقافي مخالف.

نؤمن بوحدة العالم الإسلامي، ونرفض التمييز الطائفي، ونعمل من أجل تعزيز الوحدة الوطنية الداخلية في كل بلد، والمشاركة السياسية بين جميع الطوائف، على أساس المواطنة والحرية والعدالة والمساواة.

نؤمن بأن حل المشكلة الطائفية جذرياً يكمن في قيام المؤسسات الدستورية والأنظمة الديموقراطية والتداول السلمي للسلطة، والتي نعتقد أنها تحول دون انفجار الصراع بشكل عنيف، ولا تسمح باستيلاء العسكريين على السلطة بالقوة.

ندعو إلى وقف الجدل الطائفي العقيم، والامتناع عن القيام باستفزاز الآخرين من خلال التهجم على رموزهم، وخاصة من الصحابة وأهل البيت، وأئمة المذاهب، ونحيي في هذه المناسبة "مؤتمر النجف الأشرف" التاريخي، الذي عقد في شوال من عام ١١٥٦هـ الموافق لكانون الأول عام ١٧٤٣م، وضم مجموعة من كبار العلماء الشيعة

والسنة من العرب والفرس والترك والأفغان، وكان على رأسهم مفتي العراق السني الشيخ عبدالله السويدي، ومفتي الأفغان الملا حمزة القلنجاني، ومفتي إيران الملا باشي علي أكبر والمرجع الكربلائي السيد نصر الله الحائري، والذي أصدر بياناً موحداً من علماء السُّنة والشيعة يرفض فيه سب الصحابة. واعترف فيه علماء أهل السُّنة بالشيعة، وعبر فيه الجميع عن تسامحهم والتزامهم بحرية الاختلاف في بعض الفروع، وتحريم دماء الفريقين المسلمين من أمة محمد.

نعتقد أن النقد والسب واللعن والتكفير والاتهام بالردة والنفاق، كان مع الأسف الشديد إفرازاً من إفرازات الفتنة الكبرى التي عصفت بالمسلمين. ولا بد من إغلاق ذلك الملف، إذ لا يعقل أن يبقى ذلك التاريخ السيئ جرحاً مفتوحاً إلى يوم القيامة. ولا بد من طي صفحة الماضي، وعدم الغوص كثيراً في أحداث التاريخ السحيق إلا من أجل أخذ العبرة فقط.

نعتقد أن التشيع يحمل مبادئ إيجابية كثيرة كمبدأ العدل، وروح الدفاع عن الإسلام والعمل في سبيل الله والثورة على الظالمين، وهي أمور يحتاجها المسلمون اليوم للنهوض بأنفسهم والتحرر من الطغاة والمحتلين الأجانب، ولكنا نرفض الجدل حول نظرية "الإمامة الإلهية" ودعوى النص على الأئمة من الله، لأنه بحث عقيم وبلا فائدة عملية، ويضر أكثر مما ينفع، ويجرُّ إلى ما لا تحمد عقباه، وقد يثير مشاعر الآخرين ويؤلب المسلمين بعضهم ضد بعض.

نعتقد بوجوب الزكاة، وندعو إلى العمل بها، وإلى عدم التفريق بين السُّني والشيعي في دفع الزكاة، لأن الله تعالى لم يحدد دفعها لأهل دين معين بل فرضها لصالح الفقراء من البشر.

ولا نعتقد بوجوب الخمس الذي لم يَرِد إلا في غنائم الحرب، ولم يعمل به الإمام علي بن أبي طالب خلال حكمه. بل إن روايات الشيعة الصحيحة وفتاوى العلماء السابقين تؤكد على إباحته في ما يسمى بــ"عصر الغيبة". وبالطبع لا نؤمن بوجوب إعطاء الخمس

للفقهاء أو وكلائهم. فهذا أيضاً رأي جديد لم يكن يعرفه مشايخ الشيعة السابقون كالمفيد والمرتضى والطوسي، الذين كانوا يعبرون عن حيرتهم حوله أو يفتون بدفنه في الأرض أو تخزينه إلى يوم ظهور المهدي. وندعو "العلماء" إلى الاشتغال بالفقه والدعوة والإرشاد، بدل الانغماس بجمع الأموال وتعريض أنفسهم للشبهات والأقاويل.

ندعو إلى تنظيم التبرعات المالية في جمعيات خيرية، تغطي المشاريع الاجتماعية والثقافية، ومنها رعاية المساجد والمدارس الدينية وعلماء الدين، وتخضع للمحاسبة والرقابة وتلتزم بالشفافية ونشر كشوف تفصيلية بحساباتها وميزانياتها.

نؤمن بوجوب صلاة الجمعة عيناً على كل قادر تتوافر فيه الشروط، ونقدِّر قيام الشيعة بأداء صلاة الجمعة بعد انتصار الثورة الإسلامية، في إيران والعراق ولبنان وسائر المناطق، ونحث الجميع على أدائها بصورة عامة والالتزام بها بدقة وانتظام. ونعتبر صلاة الجمعة مناسبة

عظيمة للحث على التقوى ومعرفة الله تعالى وليست مناسبة سياسية للدعاء للظالمين وتبرير أفعالهم.

نرفض زيادة ما يسمى بالشهادة الثالثة في الأذان، وهي: "أشهد أن علياً ولي الله". ونعتقد أن هذه الزيادة من فعل الغلاة "المفوضة"، كما يقول الشيخ الصدوق في كتابه: "من لا يحضره الفقيه" وأنها بدعة وسبب للتفرقة بين المسلمين.

نرفض ممارسة التقيَّة بتلك الصورة المشوهة، كما نرفض التصديق بما اشتُهر عن الإمام الصادق من أن: "التقيَّة ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقيَّة له"، حيث نعتقد أنه حديث مكذوب على الإمام، ولا مبرر عقلي أو تاريخي له، فكيف تصبح التقيِّة جزءاً من الدين؟ ومتى كان الأئمة يمارسون التقيِّة؟ وممن كانوا يخافون؟ ومن هنا نحسب أن هذا الحديث موضوع من قبل الغلاة كغطاء لتمرير نظرياتهم المنحرفة باسم أهل البيت الذين كانوا يتبرءون منها علناً. وهذا ما يدعونا لقراءة فكر أهل البيت وتراثهم على أساس الظاهر من حياتهم، وعدم

قبول أي تأويل باطني معاكس لأقوالهم وأفعالهم. وفي الوقت الذي نطالب بتوفير الحرية والأمن لكل إنسان للتعبير عن رأيه، نعتقد أن عهد التقيِّة قد مضى وولى، وأنه لم يعد عند الشيعة ما يعيب لكي يُخفوه أو يتَّقوا الآخرين منه، ولا يوجد ما يمنعهم من التعبير عن آرائهم. خصوصاً بعد أن أصبح للشيعة حكومات قوية ويعيشون في بلاد ديموقراطية حرة كثيرة، ولذلك فإنهم يعبرون عن آرائهم بحرية وشجاعة وصدق. وليس كل من أنكر فكرة معينة يمارس التقيَّة بالضرورة، فليس كل الشيعة يؤمنون بكل ما ورد في الكتب الغابرة. وهؤلاء هم "العلماء" يقومون بنقد الكثير مما جاء في كتب الأولين ويتبرءون منها.

لا نؤمن بكثير من الأدعية والزيارات الموضوعة من قبل الغُلاة والمتطرفين، وندعو "العلماء" إلى تنقيحها وتهذيبها. ونرفض "الزيارات" المنسوبة لأئمة أهل البيت، مثل "الزيارة الجامعة" و"زيارة عاشوراء" و"حديث الكِساء" وغيرها من الزيارات والأدعية التي تحتوي على

مواقف سلبية من الصحابة، وأفكاراً مغالية بعيدة عن روح الإسلام ومذهب أهل البيت، والتي اختلقها الغُلاة كذباً ونسبوها للأئمة.

لا نؤمن بشفاعة الأئمة يوم القيامة، التي تقف وراء الكثير من الطقوس والعادات الدخيلة، كزيارة قبور الأئمة، والبكاء على الحسين والتطبير واللطم على الصدور، بل نعتقد بما كان يقول الإمام جعفر الصادق عن الأئمة: "إنهم موقوفون ومحاسبون ومسئولون".

نرفض الاستغاثة بالأئمة أو دعائهم، أو النذر لهم، ونعتبر ذلك نوعاً من الشرك بالله تعالى. وهو على أي حال عمل لا يقوم به إلا الجهلة والبسطاء من الناس، وأما عامة الشيعة فهم يزورون قبور الأئمة والأولياء ليستغفروا الله لهم ويترحموا عليهم أو يستلهموا العبر من حياتهم وكفاحهم في سبيل الدعوة إلى الله.

ندعو إخواننا إلى عدم التطرف في مراسم عاشوراء وتجنب الطقوس المبتدعة التي تشوّه صورة الشيعة في العالم، والتي لم ينزل بها من الله سلطان. ونرفض بشدة أقوال الغلاة الذين زعموا بأن الله تعالى خلق

الكون من أجل الخمسة "أصحاب الكساء". وإنما خلق الخلق ليرحَمَهم ويبلوَهم.

ندعو الجميع إلى عدم تضخيم الخلافات الجزئية التي حدثت في التاريخ بين الصحابة، مثل موضوع الخلاف بين السيدة فاطمة الزهراء والخليفة أبي بكر حول "فدك" التي استرجعها منها باعتبارها من الأموال العامة، وقالت الزهراء إن النبي أعطاها لها منحة، فقد كان خلافاً شخصياً جزئياً محدوداً، ولا نستطيع أن نفعل نحن إزاء ذلك شيئاً.

ندعو إخواننا إلى رفض أسطورة الهجوم على بيت السيدة فاطمة الزهراء، وما يقال عن "كبس بيت الإمام عليّ من قبل عمر من أجل إجباره على بيعة أبي بكر، وما رافق ذلك من تهديد بحرق بيت فاطمة على من فيه، أو قيامه بحرق باب البيت وضرب الزهراء وعصرها وراء الباب، وإسقاط جنينها (محسن) والتسبب في وفاتها" أو إثارة تلك القصة كل عام، وإقامة مجالس العزاء واللطم والبكاء، وما يرافقها من

اللعن والسب والانفعالات العاطفية؛ إذ إنها قصة أسطورية لم تثبت في التاريخ، ولا يُعقل حدوثُها، وهي تسيء إلى شخصية الإمام علي قبل أن تسيء إلى الخليفة عمر بن الخطاب.

وندعو إلى رفع الصبغة الطائفية عن مساجد الله، وجعلها مفتوحة لجميع المسلمين، وذلك بأداء الصلاة المشتركة وراء الأئمة من السُّنة والشيعة، والصلاة في جميع المساجد دون استثناء، ورفض الفتاوى الطائفية الضيقة التي تحرم الصلاة خلف المذاهب الأخرى.

- ندعو إلى كسر الطائفية والتفرقة بين المسلمين بإشاعة الزواج المختلط بين الطوائف، وإلغاء الفتاوى غير الشرعية القاضية بتحريم الزواج المختلط بين المسلمين.

ندعو إخواننا من أهل السُّنة وسائر الطوائف الإسلامية إلى الانفتاح على إخوانهم الشيعة، والتعرف عليهم أكثر، والتمييز بين المعتدلين منهم (وهم عامة الشيعة) والغلاة والمتطرفين، وعدم الحُكم عليهم بناءً على أقوال الشواذ والسابقين، والنظر إلى واقعهم الجديد، وملاحظة

التطورات الجذرية الفكرية والسياسية التي حصلت وتحصل في صفوفهم، وتأييد النشاطات الإيجابية والتضحيات الجسيمة التي قدموها ويقدمونها في سبيل تحرير بلدانهم من نير المستعمرين والمحتلين.

قلت: والله هذا كلام عظيم صحيح يقرِّب ولا يباعد ويحبب ولا يبغِّض، هُدي فيه الأستاذ الأخ الحبيب أحمد الكاتب إلى الحق والصواب. ولعمري لو أخذ به إخواننا السُّنة وإخواننا الشيعة لكان فيه خير كبير للمسلمين ونصر من الله وفتح قريب.

أبو زهرة

فاضح الشعوبية

موسى الموسوي

موسى الموسوي (١٩٣٣ - ١٩٧٧ م) مفكر إيراني إسلامي شيعي مشهور ويعتبر من أشهر منتقدي الثورة الإسلامية. وهو حفيد السيد «أبو الحسن الموسوي الأصبهاني» ولد في النجف عام ١٩٣٠، وأكمل الدراسات التقليدية في جامعتها الكبرى، وحصل على الشهادة العليا في الفقه الإسلامي «الاجتهاد». وحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة باريس (السوربون) عام ١٩٥٩. حصل على شهادة الدكتوراه في التشريع الإسلامي من جامعة طهران

عام ١٩٥٥. عمل أستاذاً للاقتصاد الإسلامي في جامعة طهران ١٩٦٠ – ١٩٦٢ عمل أستاذاً للفلسفة الإسلامية في جامعة بغداد ١٩٦٨ – ١٩٧٨ انتخب رئيساً للمجلس الإسلامي في غرب أمريكا منذ ١٩٧٩ أستاذاً زائراً في جامعة هالة بألمانيا الديمقراطية، وأستاذاً معاراً في جامعة طرابلس بليبيا عام ١٩٧٣ – ١٩٧٤، وأستاذ باحث في جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٥ – ١٩٧٦، وأستاذ موفد إلى جامعة لوس آنجلوس في عام ١٩٧٨.

يعتبر نموذج فريد من مفكري إيران. حيث أنه بالرغم من أنه إيراني الجنسية، لم يكن يتوقف عن نقد النزعة الشعوبية لدى رجال التشيع الصفوي، بطريقة أكثر جذرية من غالب من تصدَّى لهذا الموضوع من الأدباء العرب. وقد بَيَّن آلية المزج في الموروث الشيعي الروائي ما بين السلطة الإيرانية والنبوة الإسلامية.

ويعتبر واحداً من القلائل الذين استطاعوا التجرد بعيداً عن هوى المذاهب والتمذهب. وسعى بكل ما أوتي من قوة إلى لملمة الصفوف تجاه الوحدة فانتقد ما سماه "التعصب الشيعي" ودعا الي التقارب بين "التشيع العلوي" و"التسنن المحمدي".

من أشهر كتبه

١ – من الكندي إلى ابن رشد عام ١٩٧٢م طبعة بيروت.

٢ – إيران في ربع قرن عام ١٩٧٢م طبعة بيروت.

٣ – قواعد فلسفية عام ١٩٧٧م طبعة النجف الأشرف.

٤ – الجديد في فلسفة صدر الدين عام ١٩٧٨م طبعة بغداد.

٥ – من السهروردي إلى صدر الدين عام ١٩٨٠م طبعة بيروت.

٦ – فلاسفة أوروبيون عام ١٩٨٠م طبعة بيروت.

٧ – الثورة البائسة عام ١٩٨٣م طبعة لوس انجلوس.

٨ – الجمهورية الثانية عام ١٩٨٥م طبعة لوس انجلوس.

٩ – الشيعة والتصحيح الصراع بين الشيعة والتشيع.

الموسوي من كلامه

يقول الموسوي عن نفسه في كتابه الشهير "الشيعة والتصحيح":

في مثل هذه البيئة المليئة بكل ما قيل ويقال في التشيع والشيعة، وبكل الظروف والملابسات التي كانت تحكي عن الخلاف الطائفي بين الشيعة والسنة والذي دام قروناً وقروناً، كنت أعيش آلام الخلافات المريرة بين الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى، وأشاهد عواقبها الوخيمة عن كثب، وفي ظل إرساء العلاقات الصحيحة بين الشيعة والسنة للوصول إلى الوحدة الكبرى بين الطائفتين، والتي كانت تصطدم بالسياسات الاستعمارية الحاكمة في العا لم الإسلامي، تساندها عقول متحجرة وأناس متعصبون ومتاجرون بالطائفية البغيضة، بدأت أدرك خطورة المهمة وقداستها في نفس الوقت.

وقد زاد إيماني بها عندما بدأت أعرف أن السبب في قتل والدي بين صلاة المغرب والعشاء في الحضرة العلوية في النجف الأشرف، وعلى يد مجرم في لبوس رجل الدين الذي ذبحه كالكبش وهو يصلي في المحراب، إنما كانت خطة استعمارية لكي تثني السيد أبا الحسن عن خطواته الإصلاحية ولكن السيد أبا الحسن احتمل المصيبة صابراً محتسباً لله، وضرب أروع الأمثال في تلقين المصلحين درساً لا زال التاريخ الشيعي لا ينساه، ألا وهو العفو عن القاتل الذي قتل فلذة كبده، وأعز الناس إلى قلبه، وذلك ليثبت أن قلب المصلح لا تزلزله العواصف ولا تضعفه المصائب، ولا تتحكم فيه الأحقاد والثارات، وأنه يبقى كالطود الشامخ يذود عن العقيدة التي يريد إرساءها في المجتمع ولدى الفرد.

وبعد كل هذا كان من الطبيعي أن تكون لديَّ فكرة الانطلاق نحو تصحيح الشيعة في بعض عقائدها أو أعمالها، ولا سيما تلك التي سببت الخلاف مع الفرق الإسلامية الأخرى، والتي كانت بحد ذاتها

تتناقض مع روح الإسلام والمنطق السليم، وهي كما أعتقد كانت ولم تزل وبالاً على المذهب الشيعي حيث أدت إلى تشويه سمعته ومسخ معالمه في العالم الإسلامي بل وفي العالم كله.

وأعتقد في الوقت نفسه أن سرد الأسباب لا يكفي لحل المعضلة فحسب بل لا بد من تقديم حلول عملية أطلب من الشيعة في كل أرجاء الأرض أن يلتزموا بها إذا أرادوا خيريِ الدنيا والآخرة معاً، وقد وصلت إلى نتيجة حاسمة في تتبعي للخلاف بين الشيعة الإمامية والفرق الإسلامية الأخرى، وهي أن الخلاف بينهما ليس بسبب الخلافة بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو أن الإمام علياً أولى بالخلافة من غيره، لأنني أرى الشيعة الزيدية وهي تؤلف طائفة كبيرة تربو على الملايين، تعتقد بأحقية علي بالخلافة بعد الرسول الكريم، ولكن الوئام والأخوة والمحبة يسود بينها وبين أهل السنة والجماعة.

إذن: السبب الأساسي في الخلاف بين الشيعة الإمامية والفرق الإسلامية الأخرى ليس هو موضوع الخلافة، بل هو موقف الشيعة من الخلفاء الراشدين وتجريحهم إياهم، الأمر الذي لا نجده عند الشيعة الزيدية وبعض الفرق الأخرى، ولو اكتفت الشيعة الإمامية بسلوك الزيدية لقلَّت الخلافات ولضاقت مساحة الشقاق، ولكن الشيعة الإمامية وقعت في الخلفاء الراشدين تجريحاً وانتقاصاً فكانت الفتنة.

وقد كنت أدعو الله في آناء الليل وأطراف النهار أن يلهمني العلم والبصيرة، ويمنحني القوة والتوفيق لأداء رسالة التصحيح التي كنت أصبو إليها منذ سني الشباب، فكانت نتيجة تلك الدعوات الصالحات هي كتابي: (الشيعة والتصحيح: الصراع بين الشيعة والتشيع) الذي أقدمه اليوم إلى الشيعة في كل زمان ومكان.

إنه نداء للشيعة مبعثه الإيمان المطلق بالله وبرسالة الإسلام الخالدة وبقوة المسلمين وكرامة الإنسان.

إنه نداء يدعو إلى الطرق الإصلاحية الكبرى لمحاولة إنهاء الخلاف الطائفي بين الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى إلى الأبد وإلى أن تقوم الساعة.

إنها صرخة لله ولاستيقاظ الشيعة من نوم عميق دام ألفاً ومائتي عام، إنها قصة الصراع المرير بين المسلمين حتى يومنا هذا.

إنه نداء العقل والإيمان إلى الشيعة كي تنفض عن نفسها غبار السنين، وتثور ثورة لا هوادة فيها ولا انتظار على تلك الزعامات المذهبية التي سببت لها هذا التخلف الكبير في الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية.

وهكذا يدفعني اعتقادي وواجبي أن أوصي ملايين الشيعة وأؤكد عليهم قراءة هذا الكتاب: (فَمَن اهتَدَى فَإِنَّمَا يَهتَدِي لِنَفسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُل إِنَّمَا أَنَا مِن المنذِرِينَ).

جهود الموسوي التصحيحية

- خالف الموسوي جمهور الشيعة الإمامية في موقفهم من الصحابة، فعلى العكس من موقف الشيعة المنتقص من حق الصحابة والمكفر لعامتهم، كان الموسوي يرى أنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، وأن الفترة التي عاشها الخلفاء الأربعة هي الفترة التي جسدت العدالة والصلاح في تاريخ هذه الأمة. مبيناً أن السبب في موقف الشيعة المعادي من الصحابة يعود إلى ما في كتب المذهب من روايات مكذوبة تطعن في صحابة النبي وتشوه صورتهم.

- حارب الموسوي الكثير من البدع الشيعية، ومنها ما أحدثوه من ضرب القامات والصدور بالسلال واللطم، وكان يرى أن هذه الأعمال قد أسهمت في تشويه صورة الإسلام في أذهان الكثيرين، وكان يدعو الطبقة المثقفة من الشيعة الإمامية أن تبذل قصارى الجهد لمنع الجهلة من القيام بمثل هذه الأعمال.

- كما اعترف بإيمان الشيعة بعقيدة البداء، التي تجيز الجهل على الله - تعالى الله عما يقول الظالمون - مبيناً أن القول بالبداء عند الشيعة الإمامية والإصرار عليه والإبقاء عليه في كتب الزيارات والروايات معاً هو النموذج الأكمل في الإصرار على العزة بالإثم.

- كما انتقد استغلال الزعامات الشيعية لأتباعها، مبينًا أن الشيعة هي الطائفة الإسلامية الوحيدة التي سلمت نفسها إلى زعاماتها المذهبية بلا قيد ولا شرط؛ كي تركلها بأقدامها في ساحات الوغى مرة، وساحات الغيلة والإرهاب مرة أخرى.

- كما انتقد الموسوي بدعة الخمس وبدعة ولاية الفقيه الشيعيتين، مبينًا أن فكرة ظهور رجل من آل محمد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً فكرة جميلة ومليئة بالآمال الخيِّرة ولكن علماء الشيعة ألصقوا بالإمام "المهدي" جناحين أثقلا كاهل الشيعة في كل زمان ومكان، وهذان الجناحان هما: بدعة الخمس في أرباح المكاسب، وبدعة ولاية الفقيه،

فالأولى تعني دفع ضريبة مالية ما أنزل الله بها من سلطان والثانية تعني عبودية الإنسان للإنسان بلا قيد ولا شرط.

- كما انتقد على الإمامية تركهم لصلاة الجمعة حتى عودة الإمام (المهدي) المنتظر، وبين فساد ما هم عليه من معارضة للنصوص الصريحة في وجوب صلاة الجمعة.

رائد الصحوة في الشام

مصطفى السباعي

مصطفى بن حسني السباعي من مواليد مدينة حمص في سورية عام ١٩١٥م، نشأ في أسرة علمية عريقة معروفة بالعلم والعلماء منذ مئات السنين، وكان والده وأجداده يتولون الخطابة في الجامع الكبير بحمص جيلاً بعد جيل، وقد تأثر بأبيه العالم المجاهد والخطيب البليغ الشيخ حسني السباعي الذي كانت له مواقف مشرّفة ضد الأعداء المستعمرين، حيث قاومهم بشخصه وجهده وماله كما كان أحد محبي الخير ومؤسسي الجمعيات الخيرية الإسلامية والمشاريع الاجتماعية، مما كان له الأثر الكبير في نشأة ابنه مصطفى السباعي.

كان مصطفى السباعي يصحب أباه إلى مجالس العلم، التي يحضرها علماء حمص أمثال طاهر الريس وسعيد الملوحي وفائق الأتاسي وراغب الوفائي، وحين خطب للزواج أخبر الخاطبون أهل الفتاة أن السباعي مشغول في معظم أوقاته بأعباء الدعوة الإسلامية، ليكونوا على علم بذلك فوافقوا وتمت الخطبة.

شارك مصطفى السباعي في مقاومة الاحتلال الفرنسي لسورية، وكان يوزع المنشورات ويلقي الخطب ويقود المظاهرات في حمص وهو في السادسة عشرة من عمره، وقد قبض عليه الفرنسيون واعتقلوه أول مرة عام ١٩٣١م بتهمة توزيع منشورات في حمص ضد السياسة الفرنسية، كما اعتقل مرة ثانية من قبل الفرنسيين أيضًا، بسبب الخطب الحماسية التي كان يلقيها ضد السياسة الفرنسية والاحتلال الفرنسي، وآخرها خطبة الجمعة في الجامع الكبير بحمص حيث ألهب حماس الجماهير وهيج مشاعرهم ضد الفرنسيين، بل قاوم الفرنسيين بالسلاح

حيث قاد مجموعة من إخوانه في حمص وأطلقوا الرصاص على الفرنسيين ردًا على اعتداءاتهم.

في مصر

وفي عام ١٩٣٣م ذهب إلى مصر للدراسة الجامعية بالأزهر، وهناك شارك إخوانه المصريين عام ١٩٤١م في المظاهرات ضد الاحتلال البريطاني كما أيد ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد الإنجليز، فاعتقلته السلطات المصرية بأمر من الإنجليز مع مجموعة من زملائه الطلبة وهم: مشهور الضامن وإبراهيم القطان وهاشم الخازندار وفارس حمداني وعلي الدويك ويوسف المشاري، وبقوا في المعتقل قرابة ثلاثة أشهر، ثم نقلوا إلى معتقل (صرفند) بفلسطين حيث بقوا أربعة أشهر، ثم أطلق سراحهم بكفالة.

في فلسطين

وفي عام ١٩٤٤م ذهب السباعي إلى الحج لأول مرة، وفي عام ١٩٤٧م وأنشأ جريدة (المنار) حتى عطلها حسني الزعيم بعد الانقلاب العسكري الذي قاده بتدبير ودعم من الأمريكان عام ١٩٤٩م.

وقد في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م مع إخوانه المصريين والأردنيين والفلسطينيين، حيث قاد الأستاذ السباعي الكتيبة السورية، وشاركوا في معركة القدس بخاصة ومعارك لفلسطين بعامة، وأبلوا البلاء الحسن في الوقوف مع إخوانهم المجاهدين الفلسطينيين الذين تكالبت على حربهم دول الكفر مجتمعة لتشريدهم وإخراجهم من ديارهم ومصادرة أموالهم وهدم بيوتهم.

وبعد أن تمت المؤامرة وتمثيلية الحرب المصطنعة بين الدول العربية وإسرائيل، حيث جُرِّد المجاهدون الفلسطينيون من أسلحتهم وسُلِّمت

البلاد لليهود لقمة سائغة، واعتقل المجاهدون وزج بهم في معسكرات الاعتقال، ثم نقلوا إلى السجون.

عاد السباعي إلى سورية غاضبًا يصبُّ جام غضبه على المأجورين والعملاء، ويفضح خطط المتآمرين، ويكشف عمالة الأنظمة، ويشرح ما جرى من مهازل القادة العسكريين الذين كانوا تحت إمرة الجنرال (كلوب) الإنجليزي، ويكشف قضية الأسلحة الفاسدة التي زود بها الجيش المصري، ويفضح تصريحات القادة العراقيين عن عدم وجود أوامر لضرب اليهود (ماكو أوامر) ولولا جهاد المتطوعين من الفلسطينيين والمصريين والسوريين والأردنيين لما وجد ثمة قتال حقيقي ضد اليهود، بل هدنة ثم هدنة لتمكين اليهود من العرب، وإمدادهم بالأسلحة الأوروبية والأمريكية والمقاتلين الأجانب لترجيح كفة اليهود على الفلسطينيين، ثم تسليم البلاد وتهجير أهلها واعتقال المتطوعين للذود عن ديار المسلمين المقدسة.

يقول الأستاذ مصطفى السباعي في كتابه (عن حرب فلسطين):

"كنا نشعر ونحن في قلب معارك القدس، أن هناك مناورات تجري في الصعيد الدولي، وفي أوساط السياسات العربية الرسمية، فتشاورنا في كتيبة سوريا فيما يجب علينا فعله، بعد صدور الأوامر إلينا بالانسحاب من القدس، فقرَّ رأينا على أننا لا نستطيع مخالفة الأوامر الصادرة إلينا بمغادرة القدس لاعتبارات متعددة، وأننا بعد وصولنا إلى دمشق سنرسل بعض المتطوعين خفية إلى القدس مرة ثانية، لدراسة ما إذا كان بالإمكان عودتنا بصورة إفرادية، لنتابع نضالنا في الدفاع عن فلسطين، وعدنا إلى دمشق مع سائر أفراد الحامية وقيادتها، التابعة لجيش الإنقاذ حيث تسلمت قيادة جيش الإنقاذ أسلحتنا ووعدت باستدعائنا مرة ثانية عند الحاجة.

وقمت بجولة في سورية تحدثت فيها عن معارك فلسطين وألقيت في ذلك محاضرات في كل مكان من دمشق وحمص وحماه وحلب واللاذقية ودير الزور وغيرها من المدن السورية، وذهل الجمهور لما

أبديته من حقائق لم تكن معروفة لديهم تمامًا، حتى شك بعضهم فيها، ثم انكشف الأمر وتبين صدق ما أدَّعي من العوامل الخفية والظاهرة التي كانت تُسيِّر معركة فلسطين، هذا بينما كان فريق من المجاهدين قد عادوا إلى فلسطين خفية، لتنفيذ ما اتفقنا عليه" انتهى.

في سورية

عاد السباعي إلى سورية ليخوض حرباً لإصلاح الفساد في الداخل، وتربية الأمة من جديد على منهج الإسلام الصحيح، الذي يعنى بتربية الفرد المسلم، ثم الأسرة المسلمة، ثم المجتمع المسلم، لتكون الثمرة قيام الحكومة المسلمة التي تحكم بشرع الله وتنفذ أحكامه وترعى مصالح البلاد والعباد، وتقضي على الشر والفساد، وتحارب الزيغ والإلحاد.

ولقد عمل السباعي وإخوانه على إدخال مواد التربية الإسلامية إلى المناهج التعليمية، كما سعى لإنشاء كلية الشريعة في الجامعة السورية، ثم شرع في إنشاء موسوعة الفقه الإسلامي التي أسهم فيها

العلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي لتقديم الفقه الإسلامي في ثوب جديد، يعالج قضايا العصر ويحل مشكلاته على ضوء الكتاب والسنة وفقه السلف الصالح، واجتهاد العلماء الذين يملكون وسائل الاجتهاد وأدواته.

في البرلمان

واختارت دمشق الدكتور مصطفى السباعي نائبًا في الجمعية التأسيسية عام ١٩٤٩م وهو ابن حمص ولم يمض على إقامته في دمشق سوى بضع سنين، وسرعان ما لمع نجمه كبرلماني شعبي متفوق، إذ كان الصدى الحقيقي المعبر لأماني الشعب وآلامه، والصوت المدوي الذي يصدع بالحق ولا يداري، ويقارع الباطل ولا يهادن، ويترفع عن المكاسب والمغانم ولا يساوم، فاتجهت إليه الأنظار والتفَّت حوله القلوب، وانتخب نائبًا لرئيس المجلس، وأصبح عضوًا بارزًا في لجنة الدستور، وقد بُذلت له العروض بإلحاح وإغراء، للدخول في الوزارات المتعاقبة فرفضها، مؤثرًا العمل الشعبي والعيش مع مشكلات

الجماهير وقضاياها، وكان عضوًا في لجنة الدستور وأحد الأعضاء التسعة الذين وضعوا مسودة الدستور، ولقد قاد معركة القرآن تحت قبة البرلمان، كما قاد المظاهرات في دمشق من أجل الدستور، وتمكن السباعي وإخوانه من استبعاد الطابع العلماني عن الدستور، وفرض الطابع الإسلامي على معظم أحكامه الأساسية سنة ١٩٥٠م.

قال الأستاذ السباعي في كتابه القيم "دروس في الدعوة": نعتقد أن كل نظام صالح في العالم، لا يمكن أن ينتفع به ما لم تؤيده حكومة حرة قوية صالحة، ومن أجل ذلك آمنا بوجوب تحرير العالم العربي والعالم الإسلامي من الاستعمار مهما كان شكله أو لونه، كما آمنا بتوحيد البلاد العربية في الوطن العربي الكبير والتعاون مع البلاد الإسلامية والصديقة بأي شكل من أشكال التعاون الذي يحقق قوة العالم الإسلامي ونجاته من الاستعمار ونهوض شعوبه من الفقر والجهل والتأخر، وفي سبيل هذه الغاية عملنا في حقل القضايا العربية والإسلامية بنشاط لم يعهد في غيرنا من الهيئات والجماعات" انتهى.

وفي نفس هذا العام عام ١٩٥٠م عُيِّن السباعي أستاذًا في كلية الحقوق بالجامعة السورية، وفي عام ١٩٥١م حضر الدكتور السباعي المؤتمر الإسلامي العام، الذي انعقد في باكستان وحضرته وفود من جميع أنحاء العالم الإسلامي، كما ذهب السباعي في العام نفسه إلى الحج للمرة الثانية، وفي عام ١٩٥٢م تقدم السباعي إخوانه بطلب إلى الحكومة السورية للسماح لهم بمشاركة إخوانهم المصريين لمحاربة الإنجليز في قناة السويس، فما كان من رئيس الحكومة أديب الشيشكلي إلا أن أمر باعتقال السباعي وإخوانه وإلقائهم بالسجن. ثم أصدر أمره بفصل السباعي من الجامعة السورية وأبعده خارج سورية إلى لبنان.

وفي عام ١٩٥٣م عقد المؤتمر الإسلامي العام في القدس وحضره ممثلو الشعوب الإسلامية، وفي عام ١٩٥٤م عقد المؤتمر الإسلامي المسيحي في بحمدون بلبنان، وشارك فيه السباعي للرد على أعداء الإسلام من المستشرقين والصليبيين. وفي عام ١٩٥٥م ذهب الدكتور

السباعي مع أساتذة وطلاب الجامعة السورية إلى الحج وهي المرة الثالثة بالنسبة له.

وفي السنة نفسها أسس مع إخوانه مجلة (الشهاب) الأسبوعية، والتي استمرت في الصدور إلى قيام الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨م، وفي العام نفسه ١٩٥٥م حصل على ترخيص إصدار مجلة (المسلمون) الشهرية بعد توقفها في مصر، وظلت تصدر في دمشق إلى عام ١٩٥٨م حيث انتقلت إلى صاحبها د.سعيد رمضان في جنيف بسويسرا، فأصدر السباعي بدلها مجلة (حضارة الإسلام الشهرية) وظل السباعي قائمًا على هذه المجلة حتى توفاه الله، حيث تولى إصدارها د. محمد أديب الصالح بدمشق.

وفي عام ١٩٥٦م عقد المؤتمر الإسلامي بدمشق وفي السنة نفسها أوفدته الجامعة السورية إلى ديار الغرب لزيارة الجامعات الغربية والاطلاع على مناهج الدراسات الإسلامية فيها، فزار إيطاليا، وبريطانيا، وأيرلندا، وبلجيكا، وهولندا، والدنمارك، والنرويج، والسويد،

وفلندا، وألمانيا، والنمسا، وسويسرا، وفرنسا، واجتمع فيها بالمستشرقين وناقشهم في مؤلفاتهم عن الإسلام وكشف لهم أخطاءهم العلمية والتاريخية.

وفي عام ١٩٥٧م ذهب السباعي مع عمداء الكليات في الجامعة السورية إلى روسيا بدعوة من جامعة موسكو زار خلالها معظم الجامعات الروسية في مختلف الأقاليم، والتقى أساتذة الدراسات الشرقية والتاريخية والاجتماعية، وناقشهم وفنَّد مقولاتهم وأبطل مزاعمهم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين.

مؤلفاته

والدكتور السباعي له باع طويل في التأليف، فهو من العلماء المحققين، والفقهاء المجتهدين، الذين استوعبوا الفقه الإسلامي من أصوله المعتمدة ودرسوا قضايا العصر المستجدة وقاسوها على ما سبق من أحكام مستمدة من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة، ومن أهم مؤلفاته:

- شرح قانون الأحوال الشخصية (ثلاثة أجزاء)، من روائع حضارتنا، المرأة بين الفقه والقانون، عظماؤنا في التاريخ، القلائد من فرائد الفوائد، السنة ومكانتها في التشريع، هكذا علمتني الحياة (ثلاثة أجزاء كتبها فترة المرض)، اشتراكية الإسلام، أخلاقنا الاجتماعية، أحكام الصيام وفلسفته، الدين والدولة في الإسلام، نظام السلم والحرب في الإسلام، هذا هو الإسلام (جزءان)، السيرة النبوية دروس وعبر، الاستشراق والمستشرقون، المرونة والتطور في التشريع الإسلامي، منهجنا في الإصلاح، العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في التاريخ.

مرضه وشدته

ومن الغريب أن فترة مرضه على قساوتها وشدتها، كانت من أخصب أيام حياته، وأكثرها إنتاجًا من الناحية العلمية، يقول د. محمد أديب الصالح: "كان السباعي -رحمه الله- حريصًا كما علمت منه قبل وفاته بيوم واحد على كتابة مؤلفات ثلاثة هي: العلماء الأولياء، والعلماء المجاهدون، والعلماء الشهداء".

وقد ذهب الدكتور مصطفى السباعي إلى الحج للمرة الرابعة وهي الأخيرة عام ١٩٦٤م حيث كان يعاني من المرض العضال والآلام المبرحة، التي لم تكن تبارحه، ولكن فضل الله عليه في هذه الرحلة المباركة كان عظيمًا، حيث يقول بنفسه: "لأول مرة منذ سبع سنوات يهدأ الألم في دماغي وأقوى على الصلاة واقفًا على قدمين، وأجلس للتشهد فيها، ولقد قدمتُ مكة المكرمة، فطفت طواف العمرة محمولًا على المحفة، ثم غادرتها وطفت طواف الوداع على قدميّ، وأكرمني الله بزوال آثار مرض السكر منذ وصلت المدينة المنورة، فكنت أتصبّح بسبع تمرات من تمرها، إيمانًا مني بالحديث الصحيح الوارد في التمر وهو من الطب النبوي.

زاره أحد أصدقائه مواسيًا فكان جواب السباعي: "إني مريض أتألم ليس في ذلك ريب، وإنك لتشاهد الألم على وجهي وعلى يدي وفي حركتي، ولكن انظر إلى حكمة الله فيّ، إن الله قدير على أن يشل حركتي وقد شل بعض حركتي ولكن انظر ماذا شل، لقد شل طرفي

الأيسر وأبقى لي الطرف الأيمن فما أعظم النعمة التي أبقى لي: أكنت أستطيع أن أخط بالقلم لو شل اليمنى مني؟".

واستمر المرض ثماني سنوات ضرب السباعي فيها أروع آيات الصبر على البلاء، والتسليم لقضاء الله، والرضى بحكم الله عز وجل، وكان كثير الحمد لله والتسبيح له والاستغفار، آناء الليل وأطراف النهار، ولم يمنعه هذا المرض العضال، من النهوض بواجباته كصاحب دعوة حق، وداعية مسلم، يروي الأخ عبدالعزيز الحاج مصطفى عن الدكتور حسن هويدي في وصف حال السباعي في مرضه حيث يقول: "ولقد رأيته في مرضه، يتكأ على العصا، غاديًا إلى الجامعة ورائحًا، في الوقت الذي قعد فيه الأقوياء، وخمل فيه الأصحاء، ويا رُب مريض مشلول أشد من سيف مسلول، وما كان استمراره في الجهاد (رحمه الله) على الرغم من شلله وإصابة قلبه وضغط دمه، إلا دلالة صادقة وحجة ساطعة، على أن الرجل سجيته الجهاد، وطبيعته الكفاح، وغريزته التضحية، وفطرته الشجاعة والفداء، فأنى يجد الرياء إلى نفسه سبيلًا،

أو الفتور إلى نفسه مسلكًا أو التردد إلى عزيمته منفذًا فسبحان من منحه وأعطاه وتفضل عليه وأرضاه" انتهى.

ويقول عنه الشيخ عبدالفتاح أبو غده في مجلة (حضارة الإسلام): "كان طيب الله ثراه، عذب النفس، رقيق الحاشية، مرهف الذوق، والشعور، يستجيب للدعابة، ويجيدها ولايبذلها إلا في مواطنها، وكان صافي النفس وفيًا، محبب العشرة، شهم الإخاء، سريع النجدة كريمها، وكانت له مسامرات ومحاورات تفيض ذوقًا وعذوبة نفس مع صديقه الصفي وأخيه الكريم الشيخ محمد الحامد، وإن الإنسان قد يعجب – ولا عجب– حين يقرن بين وقار النابغة السباعي في مواطن الجد ومخاشنة لأعداء الله والأمة وانقباض نفسه عن المنافقين والنفعيين، وبين شفافية روحه وانطلاق جنانه وتلطف لسانه في معاشرة أحبائه وإخوانه ولكن لا عجب فهو للإسلام والعمل به على بصيره". انتهى

وفاة الدكتور مصطفى السباعي

وفي يوم السبت ٣-١٠- ١٩٦٤م انتقل المجاهد العامل والداعية الصابر، الأستاذ الدكتور مصطفى حسني السباعي إلى جوار ربه بمدينة حمص، بعد حياة حافلة بالجهاد المتواصل، وقد شيعت جنازته في احتفال مهيب وصلي عليه في الجامع الأموي بدمشق، وتوالى الخطباء يؤبنون الفقيد بكلمات مؤثرة وهم: الدكتور حسن هويدي، والأستاذ محمد المبارك، والأستاذ محمد المجذوب، والأستاذ مشهور حسن، والشيخ عبدالرؤوف أبو طوق، والدكتور محمد أديب الصالح، والشاعر محمد الحسناوي وغيرهم

ولقد كتب سماحة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني كلمة منها: "فقدت سورية علمًا من أعلامها، ومجاهدًا من كبار مجاهديها، وفقد العالم الإسلامي عالماً من علمائه الأجلاء، وأستاذاً من أساتذته الفضلاء، وداعية من دعاته البلغاء، ولقد عرفته، فعرفت فيه الصدق والإخلاص، والصراحة ومضاء العزيمة والاندفاع في سبيل العقيدة

والمبدأ، وكانت له قدم صدق، ويد بيضاء، في خدمة القضايا الإسلامية والعربية، وفي طليعتها قضيتا سورية وفلسطين، وكان على رأس كتيبة المجاهدين السوريين دفاعًا عن بيت المقدس عام ١٩٤٨م" انتهى.

ويذكر أبو الحسن الندوي عن لقاءاته مع السباعي حين زار سورية عام ١٩٥١م فيقول: "لقد أعطاني الحاج محمد أمين الحسيني كتاب تعريف للشيخ السباعي وأثنى عليه ثناءً عاطرًا، فلما زرت المركز في السنجقدار بدمشق، كان لقائي الحار بالأستاذ السباعي.

وقد حضرت مع السباعي جلسات البرلمان السوري كما زرت معه الجمعية الغراء والتقينا معظم علماء سورية كالأستاذ عمر بهاء الأميري والأستاذ محمد المبارك، والشيخ محمد نمر الخطيب، والشيخ أحمد الدقر، والشيخ عبدالرؤوف أبو طوق، والشيخ محمد بهجت البيطار، والشيخ أمجد الطرابلسي، والأستاذ سعيد الأفغاني، والأستاذ أحمد مظهر العظمة وغيرهم، وقد استضافني أكثر من مرة في بيته، كما

ذهبنا معه إلى مصيف الأشرفية وزرت معه حمص حيث ألقيت محاضرة، وزرنا مسجد خالد بن الوليد، والشيخ عبدالعزيز عيون السود، والشيخ محمد توفيق الأتاسي، حتى غادرت سورية حيث كان في وداعي بالمطار" انتهى.

أما الأستاذ حسني أدهم جرار فيقول في كتابه القيم: "مصطفى السباعي قائد جيل ورائد أمة": "كان السباعي علمًا بارزًا من أعلام الفكر والدعوة والجهاد في زماننا المعاصر، وكان منارة من منارات الإسلام الشامخة، ونموذجًا مشرقًا على امتداد تاريخنا الطويل، وكان عالماً متفتح الذهن، آتاه الله علمًا واسعًا، وذكاءً حادًا، وبديهة حاضرة، وأسلوبًا في الحوار نادرًا، وجرأة في الحق، وقدرة على التصدي للباطل، وقوة في الإيمان، ويقظة في الضمير.

ويقول العلامة الكبير محمد أبو زهرة: "إنني لم أر في بلاد الشام، أعلى من السباعي همة، وأعظم منه نفسًا، وأشد منه على الإسلام والمسلمين حرقة وألماً".. انتهى

من شعره

احملوني إلى الحبيب وروحوا واطرحوني ببابه واستريحوا

أنا من هيّج الغرام شجاه وبراه الهُيام والتبريحُ

طال سُقمي وطال فيه عنائي ليت شعري متى يصحُّ الجريحُ؟

شِدّةٌ إثر شدّة تتوالى ها أنا اليوم في الفِراش طريحُ

لست آسى على لذائذ عيشٍ أو على الجاه والشباب أنوحُ

غير أني انتُزعت من بين صحبي فارساً مَعْلماً بجسمي جروحُ

قدَرُ الله لا يُرد بسخطٍ ليس إلا الخضوع والتسبيحُ

يا سهامَ الأقدار خلّي ثلاثًا هي عندي وجه الحياة الصبيحُ

أُتركي لِيَ عقلي أفكّر فيه وعيوني أرنو بها وأروحُ

ويدي تملأ الصحائف علماً وبلاغًا وبالشجون تبوحُ

ربِّ قد أعجز الأطباءَ دائي　　ما لدائي سواك ربّي يزيحُ

وإذا شاءت العناية أمراً　　يسرته من بعد يأس يلوحُ

في رحاب الكريم ألقيت رحلي　　إنّ قصدَ الكرام رأيٌ نجيحُ

ولقد يقبل الكرام جَناةً　　قد تراموا ودمعهم مسفوحُ

علم الله ذِلّتي وانكساري　　ودموعي وذو الهوى مفضوحُ

يا رسول السلام إني محبٌّ　　ناله في هواك ضرٌّ صريحُ

يا رسول الوفاء إني وفيٌّ　　لم يبدِّل هواه والوفاء شحيحُ

لي إلى ذاتك العظيمة قربى　　شرف باذخ ومسك يفوحُ

وبحسبي وإن لم يكن لي انتسابٌ　　أنت قلبي وأنت للروح روحُ

يا حبيبي قد أثخنتني جراحي　　ويد منك للجراح مَسوحُ

يا حبيبي قد أثقلتني الرزايا　　دعوةٌ منك بالرزايا تطيحُ

سوف أبقى على الوفاء مقيماً   عسلاً ذقتُ أو طعاميَ شيحُ

سوف أبقى أحدو للركب مادمت حياً   زاد بي الضرُّ أو أبلَّتْ قروحُ

رائد الإعجاز العلمي

عبدالمجيد الزنداني

عبد المجيد بن عزيز الزنداني سياسي وداعية يمني وهو المؤسس لجامعة الإيمان باليمن ومؤسس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في مكة المكرمة ورئيس مجلس شورى حزب التجمع اليمني للإصلاح.

ولد عبد المجيد الزنداني في قرية الظهبي في مديرية الشعر من محافظة إب إحدى محافظات الجمهورية اليمنية في عام ١٩٤٢م، ولكن أصله من منطقة "زندان" في مديرية أرحب في محافظة صنعاء وينتمي لقبيلة أرحب، تلقّى التعليم الأوَّلي في الكتّاب إبان الحكم الإمامي في اليمن ثم في عدن وأكمل الدراسة النظامية فيها.

في مصر

خرج لمواصلة الدراسة الجامعية في جمهورية مصر العربية، وهناك التحق بكلية الصيدلة ودرس فيها لمدة سنتين ثم تركها، ثم أخذ يقرأ في علوم الشريعة، والتقى بعلماء في الأزهر الشريف، وطلاب يمنيين في مصر مثل الزبيري وعبده محمد المخلافي.

في اليمن

عاد لليمن وساهم في جهود حماية الثورة الجمهورية التي قضت على الحكم الإمامي ١٩٦٢م، وقدَّم عبر إذاعة صنعاء برنامج الدين والثورة. وقد اغتيل الأستاذ محمد محمود الزبيري في بلاد برط وكان الزنداني بجواره. رحل إلى مدينة عدن وتولى إدارة معهد النور العلمي في حي الشيخ عثمان ثم عاد إلى مدينة صنعاء بعد نجاح الانقلاب الأبيض الذي قام به الرئيس عبد الرحمن الإرياني ضد الرئيس عبد الله السلال عام ١٩٦٧م، والمعروف بحركة الخامس من نوفمبر.

وتولى إدارة الشئون العلمية في وزارة التربية والتعليم، وساهم بالتدريس لعدد من المواد العلمية في مدارس الجمهورية كمادة الأحياء، ثم تعيّن رئيسًا لمكتب التوجيه والإرشاد منذ إنشائه عام ١٩٧٥م، وخلال عمله هذا عمل على إحداث تفاعلات فكرية واسعة عبر استقدام عدد من كبار المفكرين العرب والمسلمين إلى اليمن.

عين في وزارة المعارف – التربية والتعليم – وبدأت حياته بالتصنيف والتدريس، فألف كتاب التوحيد مع مجموعة من العلماء كمنهج في المدارس الإعدادية والثانوية، ولقد سجلت له كثير من الأشرطة الدعوية والمحاورات في دعوة غير المسلمين ومنها شريط إنه الحق، وتُرجم كثير من كتبه إلى عدة لغات وكذا بعض أشرطته.

في السعودية

انتقل إلى المملكة العربية السعودية وعاش فيها حقبة من الزمن، وقام بالتدريس وإلقاء المحاضرات، وساهم في تأسيس الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في المملكة العربية السعودية وترأسها بعد ذلك. ثم عاد إلى بلده اليمن وأسس جامعة الإيمان للعلوم الشرعية،

وتواصلت مصنفاته وأبحاثه في علم الإيمان والإعجاز، وكذا في الدعوة ومنهجها ولقد مُنح شهادة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان.

ثم عاد إلى بلده اليمن وأسس جامعة الإيمان للعلوم الشرعية، حتى أضحت منارة ساطعة في الوطن العربي والإسلامي، وتواصلت مصنفاته وأبحاثه في علم الإيمان والإعجاز حتى صارت حزمة كبيرة في علم الإيمان، والإعجاز وكذا في الدعوة ومنهجها.

مؤلفات الزنداني

- أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ
- الأقمار الصناعية تشهد بنبوة محمد
- منطقة المصب والحواجز بين البحار
- علم الإيمان
- طريق الإيمان
- نحو الإيمان
- التوحيد

اقتحام منزله من الحوثيين

أقتحم الحوثيون منزله في أبريل ٢٠١٥ للبحث عنه، وذلك بعد حملة اعتقالات شنها الحوثيون طالت العديد من قادة حزب التجمع اليمني للإصلاح، بعد شن السعودية ضربات جوية واسعة ضد الحوثيين والوحدات العسكرية الموالية لعلي عبد الله صالح.

شائعة مغرضة

وقد تابع مكتب الشيخ عبدالمجيد بن عزيز الزنداني ما تم تداوله عبر وسائل التواصل الاجتماعي من أخبار تفيد بأن السلطات السعودية قامت باستدعاء فضيلة الشيخ والتحقيق معه ومنعه من الاتصالات والزيارات، ومكتب الشيخ إذ يستغرب تداول هذه الأخبار ينفي صحتها ويؤكد أن الشيخ يسكن مع عائلته منذ دخوله المملكة العربية السعودية ضيفاً على حكومتها وهو موجود حاليا مع أسرته في محل إقامته بمكة المكرمة. نسأل المولى سبحانه أن يحفظ فضيلة الشيخ وبلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية وسائر بلاد المسلمين من كل سوء ومكروه.

الإعجاز العلمي

هيئة الإعجاز العلمي أنشئت بناءً على قرار المجلس الأعلى العالمي للمساجد برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بوصفها منظمة علمية مستقلة تسعى لإظهار وجوه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تحت اسم هيئة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة.

وضم المجلس التأسيسي عشرين عضواً، منهم: د/ أحمد محمد على، الشيخ/ عبد المجيد بن عزيز الزنداني، الشيخ/ عبد الله العقيل، وقد تولى منصب الأمين العام للهيئة (أول مرة) الشيخ عبد المجيد بن عزيز الزنداني. وقد أصدرت الهيئة كتيبات أوضحت فيها أهدافها، ووسائل وسبل تحقيق هذه الأهداف.

مع علماء الغرب

للشيخ الزنداني مقابلات ومناظرات مع علماء الغرب نصارى أو ملحدين ناقشهم فيها نقاشاً علمياً أسلم بعضهم بسببه، ومنها هذه المقابلة التي يقول عنها الشيخ الزنداني:

قابلت مرة البروفيسور (روبرت) وهو من أشهر علماء (أمريكا)، وكان يدير معهدًا تشترك فيه ٥٧ جامعة وكان موضوع بحثنا ولقائنا (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة)، وعندما عرضت عليه ما عندنا في ذلك من إعجاز، سَلَّمَ بكل سَهولة! أقول له: الحقيقة العلمية كذا، والآية القرآنية تقول كذا فيسلِّم، ثم لما رأيت تسليمه بكل ذلك طمعت في إسلامه، فسألته عبر المترجم: هل هذا الرجل عنده استعداد أن يواصل البحث حول الإيمان بالله، فإني أراه قد أنصفنا في أبحاث الإعجاز العلمي؟

قال: إن له قصة طويلة، وتصنيفه بين العلماء من (اللاأدرياء)، فهناك متدينون وعلماء ملحدون، وعلماء ما بين بين، في خانة (اللاأدري)! فقلت له: لماذا ذلك؟

قال: قبل ١٥ سنة ذهب إلى الكنيسة، وهو متخصص في الأرصاد والفلك، وقد أحس أن له ربًّا وخالقًا يريد عبادته وشكره، فذهب إلى الكنيسة، وقال: أرجو أن تقبلوني عندكم، فرحبوا به، ثم قالوا له: تفضل اشرب هذا الشراب.

فقال: حاضر.

قالوا له: ويجب قبل أن تشربه أن تعتقد أنه دم المسيح!

قال: لعله رمز لدم المسيح.

قالوا: لا، بل هو دم المسيح، أخذ شكله ولونه وطعمه من دم المسيح.

فقال لهم: أنا عمري ٦٠ ولا أخوض قضية إلا بدليل، واليوم تريدون مني أن أسلِّم لكم بدون دليل، لا، سأعود لعقلي كما هو، ولا حاجة لي بما أنتم عليه. فبدأت هنا أناقشه، ورأيت أن أساسه مهزوز؛ قلت له: هل العدم يفعل شيئا؟ قال: لا يفعل.

قلتُ: فعلى ذلك رِجلُك ويدك لم تكونا موجودتين ثم وُجدتا، فمن أوجدهما؟ ولا تقل لي: العدم!! فقال: لا، ليس العدم.

قلت: بل الجنس البشري نفسه لم يكن موجودًا في وقت من الأوقات، كما يقرر علماء الجيولوجيا ذلك، وكذلك مر وقت لم تكن فيه بحار ولا جبال ولا نبات، فهل العدم أوجدها؟

قال: لا.

قلت: النجوم والكواكب والانفجار العظيم والذي بدأ علماء الكون بعد عام ١٩٦٤ يتجهون إلى هذه الفكرة: بأن الكون ليس أزليًّا - كما كان يدعي (الشيوعيون) - فمن أوجد كل ذلك.

قال: الطبيعة.

فقلت له: آتيك بمصباح .. فهل فيه زجاج؟

قال: نعم، والدليل أننا نراه، قلت: فهل عند صائغه غطاء معدني؟

قال: نعم.

قلت: وهل عنده قدرة على جعل هذا الغطاء المعدني محكمًا مع فتحة الزجاج؟

قال: نعم.

قلت: وعنده عِلم بأن التيار الكهربي إذا مر على هذا السلك يضيء؟

قال: نعم.

قلت: فأنت إذن تشهد ببعض صفات مَنْ صَنَعَ، فهل رأيته؟

قال: لا.

قلت: فكيف تصدق بصفاته وما تشاهده وأنت لم تره؟!

قال: مِنْ صُنْعِهِ الذي بين يديك.

قلتُ: فكذلك الله، وأنت مَن صنعه، ونستطيع أن نعرف بعض صفات الله، فهو عليم وخبير وحكيم، وأخذت أضرب له الآيات والأمثلة، وأخذ النقاش يومًا كاملًا.

وعن لقاء آخر يقول الزنداني:

وفي مؤتمر دولي عقد في "الدمام" وكنت أنا مسئولًا عن لجنة تسمى (الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) جاءنا عالم من أمريكا اسمه (مارشال جونسون) من مشاهير علماء أمريكا، فدخل وقال: ما هو عمل هذه اللجنة؟

قلنا: الإعجاز في القرآن والسنة.

قال: ما معنى هذا؟

قلنا: القرآن ذكر أشياء قبل ١٤٠٠ عام وكشف عنها العلم الحديث .. بما في ذلك الطب.

قال: مثل ماذا؟

فذكرت له مثالًا يعرفه جيدًا: كانت أوروبا وأطباؤها طوال القرن السابع عشر وبعد اكتشاف الميكروسكوب يقولون: إن الإنسان يخلق خلقًا كاملًا من رأس ورجلين وجسم كامل في رأس المنوي، ولذلك صوروه في رأس المنوي وهو جالس القرفصاء!! وبقيت الفكرة هذه طوال القرن السابع عشر، وفي القرن الثامن عشر اكتشفوا البويضة

الموجودة عند المرأة، فوجودها أكبر، فقالوا: هو ليس مخلوقًا خلقًا كاملًا في المنوي، إنما هو مخلوق خلقًا كاملًا في البويضة.. وصورة في البويضة، وكتب الطب تحمل هذه الصور، وتعتبر من تاريخ أوروبا إلى منتصف القرن التاسع عشر، حيث قالوا: لا يوجد خلق كامل، وإنما المسألة أطوار، يبدأ خلية واحدة، ثم عدة خلايا ثم يأخذ شكلًا، فشكلًا آخر، فأشكال أخرى حتى يصل إلى شكل إنسان متكامل.

فقلت للعالم (مارشال جونسون): هذا الذي تخبطتم فيه مدة قرنين ونصف ثم وصلتم إلى الحقيقة.. القرآن قررها منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، يقول تعالى: (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) وقال تعالى: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) وقال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) فاستغرب العالم الأمريكي أشد الاستغراب، ثم قال: أنا عندي ثلاثة تفسيرات لهذا الذي قلتموه..

قلت: ما هو أول تفسير لك؟

قال: محمد قال هذا صدفة.

قلنا: أمامنا ٢٥ نصًّا من الكتاب والسنة كلها تتكلم عن هذه الأطوار، ولها أسماء.. الأول نطفة، والثاني علقة، والثالث مضغة، كل هذا صدفة؟ وكيف تكون الأسماء صدفة مع دقتها وصدقها؟

قال: إذن فمحمد قصد هذا، ولكن كان عنده ميكرسكوبات ضخمة!!

قلنا: إذا كان عنده هذه الميكروسكوبات الضخمة فهذا يعني تقنية عالية في الآلات البصرية، وفي العدسات، وهذا يعني مصانع زجاج ومصانع مطورة عمن قبله، فأين هذا كله؟

ثم قلت له: سأذكر لك شيئًا.. القرآن قرر في طور النطفة أمورًا لم تكتشفوها إلا بعد عام ١٩٤٥.

قال: مثل ماذا؟

قلت له: عندما اكتشفتم (الكروزومات) كنتم تقولون: الخلية الأولى عندما تأتي من الرجل والمرأة تكون حاملة للبرنامج الوراثي، والبرنامج الوراثي عبارة عن جينات لا ترى إلا بأضخم الآلات والميكرسكوبات، وهذه الجينات هي التي تحكم الجنين، وهذا هو الذي قرره القرآن: أن الإنسان أول ما يخلق باجتماع النصفين يكون خلقه، ثم يقدر ما سيرث من أبيه، وما سيرث من أمه، ويكون الخلق وفقًا لهذا التقدير، يقول تعالى: (قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) خلقه في النطفة، ثم قدره (البرنامج الوراثي) ثم كذلك أهو ذكر أم أنثى؟ إننا نعرف الآن أن حامل الكروسوم إذا كان حرف (Y) ذكر أو (X) أنثى، وهذا لم يعرف إلا في عام ١٩٤٥، والقرآن قال قبل ذلك: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى).

فقال العالم (مارشال جونسون): فلم يبق سوى تفسير واحد وهو أن محمدًا رسول الله.

المراجع

مادة هذا الكتاب كلها مأخوذة من الشبكة العنكبوتية.

وأشهر المواقع التي تمت زيارتها:

- قصة الإسلام
- الألوكة
- إسلام ويب
- المعرفة
- صيد الفوائد
- المحتسب
- ويكيبيديا
- المواقع الشخصية للمترجَم لهم

للمراسلة والتواصل:

محمد علي حسين

mali_111@hotmail.com

الكويت: 98866903

مصر: 01099694140

جدول المحتويات

تمهيد ٣
إمام الدعاة ٦
ناصر العقيدة ٣٨
ناصر السُّنة ٥٦
أديب الدعوة ٧٥
مفتي الإسلام ٩٥
شيخُ الإسلامِ المالكيُّ ١١٣
شيخ إسلام روسيا الحديثة ١٢٠
سفير الإسلام ١٢٧
مجدد الصحوة الإسلامية ١٤٠
حبيب المسجد النبوي ١٤٩
بديع الزمان خادم القرآن ١٥٥
رئيس علماء الهند ١٦٥
فقيه السُّنة ١٧٢
صاحب المنار ١٨٠
فقيه الشام ١٩٠
ابن الأزهر ١٩٥
كاشف المعجزات العلمية ٢٠٣
فقيه العراق ٢١٤
أديب الإسلام ٢٢٣

شمس الأئمة أبو الأشبال ٢٤٤
صاحب القلب الفيّاض ٢٥٦
شيخ الأزهر ٢٦٤
فارس المنابر ٢٨٢
ناصر الشريعة ٢٩١
هازم العلمانية ٣٠٤
أبو الصحافة الإسلامية ٣١٤
شاعر الإسلام ٣٢٩
حامل هموم الأمة ٣٤٠
شيخ الأزهر ٣٦٠
محطِّم الأصنام ٣٧٩
كاشف الحقائق ٣٨٩
فاضح الشعوبية ٤١٧
رائد الصحوة في الشام ٤٢٨
رائد الإعجاز العلمي ٤٥٠